أصول الدعوة ومناهجها

دراسة تأصيلية تحليلية

إعداد

الدكتور
رمضان محمَّد مطـاريد

الدكتور
محروس محمَّد بسيوني

الدكتور
نبيل محمَّد درويش

2019

(نسخة مزيدة ومنقحة)

ISBN: 978-1-64570-704-2

جميع الحقوق محفوظة

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

يوسف: ١٠٨

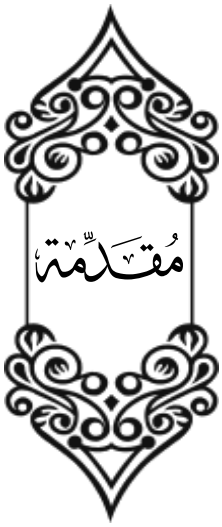

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نِعَمَهُ ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دَرْبِهِ، واستنَّ بسنَّتِه إلى يوم الدين. وبعد،

فإنَّ للدعوة إلى الله تعالى معالمَ وأصولًا يجبُ على العلماء العاملين إبرازها، ومناهج يحسن الاستفادة منها، وتاريخًا ينبغي شرحه والوقوف على ما فيه من عِبرٍ وعظات، وهو ما نقصد إليه في هذا الكتاب المتخصص في أصول الدعوة ومناهجها وتاريخها.

وإذا كانت الدعوة إلى الله ﷻ تُعنَى بنقلِ الأُمَّةِ مِنْ مُحِيطِ الجهل والكفر والضلال، إلى محيط الهداية والإيمان والرشاد، ومن حالٍ سَيِّءٍ إلى حالٍ حسنٍ، ومن حالٍ حَسَنٍ إلى ما هو أحسن منه، وطلبِ تغيير الواقع الحياتي للناس بالقول والفعل؛ ليكون موافقًا للشريعة في جميع نواحي الحياة؛ فإن هذه الصفحات تتضَمَّن موضوعات دعوية تَخَصُّصِيَّةً، غايةً في الأهمية لطلاب المرحلة الجامعية عامة، ولطلاب وطالبات برنامج العقيدة والدعوة بصفةِ خاصة؛ لِيُبَلِّغُوا عن الله شرعه، وعن نبيه ﷺ سُنَّته وهَدْيَهُ، حتى يكون الجميع على بصيرة وبَيِّنَةٍ بما يدعون إليه، وبالمنهج الذي يحملونه ليقوموا بتبليغه على خير وجه.

وقد عنيت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على معالم الدعوة إلى الله تعالى عبر تاريخ البشرية بصورة إجمالية، وذكرت بعض النماذج من دعوة الرسل السابقين عليهم السلام..

كما بيَّنت أصول الدعوة الإسلامية . والمتمثلة في: موضوع الدعوة ومناهجها التي تخاطب العقل والوجدان والحواس. والداعية القائم بالتبليغ والتطبيق، وبيان صفاته، وكيفية إعداده ليقوم بواجب الدعوة خير قيام. وأنواع المدعوين، وما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات، وكيفية دعوة كل صنف منهم. ثم الوسائل والأساليب الدعوية، التي من خلالها تصل موضوعات الدعوة إلى المدعوين.. هذه العناصر التي لا تقوم الدعوة إلا بها، ولا يتحقق النجاح إلا بتسديدها. وكلما كان الصواب والنجاح فيها، كانت النتائج أعظم

فائدة، وأطيب ثمارًا، وسنفرد لكل عنصر منها فصلًا كاملًا. إن شاء الله تعالى.

وناقشت هذه الدراسة . كذلك . بعض المشكلات المتعلقة بأركان الدعوة، وذكرت أسبابها، والحلول المقترحة التي يمكن أن تُسْهِمَ في عِلاجها.. كما خُتِمتْ بذكر بعض النماذج الدعوية المعاصرة ذات الأثر الدعويّ الفاعل في القارتين الأفريقية والآسيوية؛ بُغية الاقتداء بها، والسير على نهجها، إكمالًا للمسيرة الدعوية المعاصرة.

ولقد قمنا بإعداد هذا الكتاب كمنهج دراسي للمرحلة الجامعية، وحرصنا أن يتوافر فيه خصائص أربعة:

الخاصية الأولى: الاعتناء بتوثيق الجوانب الفكرية والعلمية توثيقًا منهجيًا صحيحًا، بالرجوع للمصادر الأصيلة في الموضوعات المطروحة.

الخاصية الثانية: أن تكون صياغة الكتاب في مستوى الدارس، وحيث تسمح بتناوله تناولاً سهلاً دون الإخلال بالمعلومات والقضايا، ودونما إغراق في التفريعات والتفصيلات التي تشتت ذهن الدارس أو تبعده عن تحقيق الهدف الأساس من دراسة المقرر.

الخاصية الثالثة: روعي في إعداد الكتاب أن يستوفي متطلبات كتاب المنهج الدراسي؛ وذلك باشتماله على تحديد أهمية دراسة كل فصل وأهدافه التعليمية وخريطته الإجمالية، وأن يختم كل فصل بخلاصة وافية وأسئلة متنوعة، والإرشاد إلى مصادر للقراءات الإضافية.

الخاصية الرابعة: حرصنا على تضمين الكتاب مجموعة من الأفكار تكون محورًا للأنشطة الصفية واللاصفية المتعلقة بموضوعات كل فصل على حدة، كما قدمنا - في ملاحق الكتاب - تصميمًا مقترحًا لبعض أوراق العمل التي يمكن للقائم بالتدريس الاسترشاد بها في تقديم أنشطة تغطي كل موضوعات المقرر.

هذا؛ والأمل في الله قائم أن تُؤتي تلك الصفحاتُ أُكُلَها، وتثمر بإذن ربها النفع والفائدة لطلابنا وطالباتنا... والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الهدف العام

من دراسة مقرر أصول الدعوة ومناهجها

يهدف المقرر إلى عِدَّةِ أمورٍ تتمثل في الآتي:

1. بناء الشخصية الدعوية فِكْراً وسلوكاً وتحصينها من الغلو والتطرف.
2. تعريف الداعية بمسؤولياته تجاه مجتمعه، والمجتمعات الإنسانية الأخرى.
3. إعداد الداعية الناجح القادر على المساهمة في عملية الإصلاح.
4. بيان منهاج الرسل -عليهم السلام-في دعوتهم لأقوامهم إلى الله، وإمكانية الاستفادة منها في العصر الحاضر.
5. إعدادُ داعيةٍ قادرٍ على التفاعل مع مقتضيات العصر، متمكن من استخدام الوسائل الحديثة؛ لنشر الإسلام وتبليغ دعوته.
6. تدريب الطالب على رصد المشكلات الدعوية واقتراح حلول لها.
7. الاستفادة من النماذج المعاصرة للدعاة البارزين.

خارطة المقرر

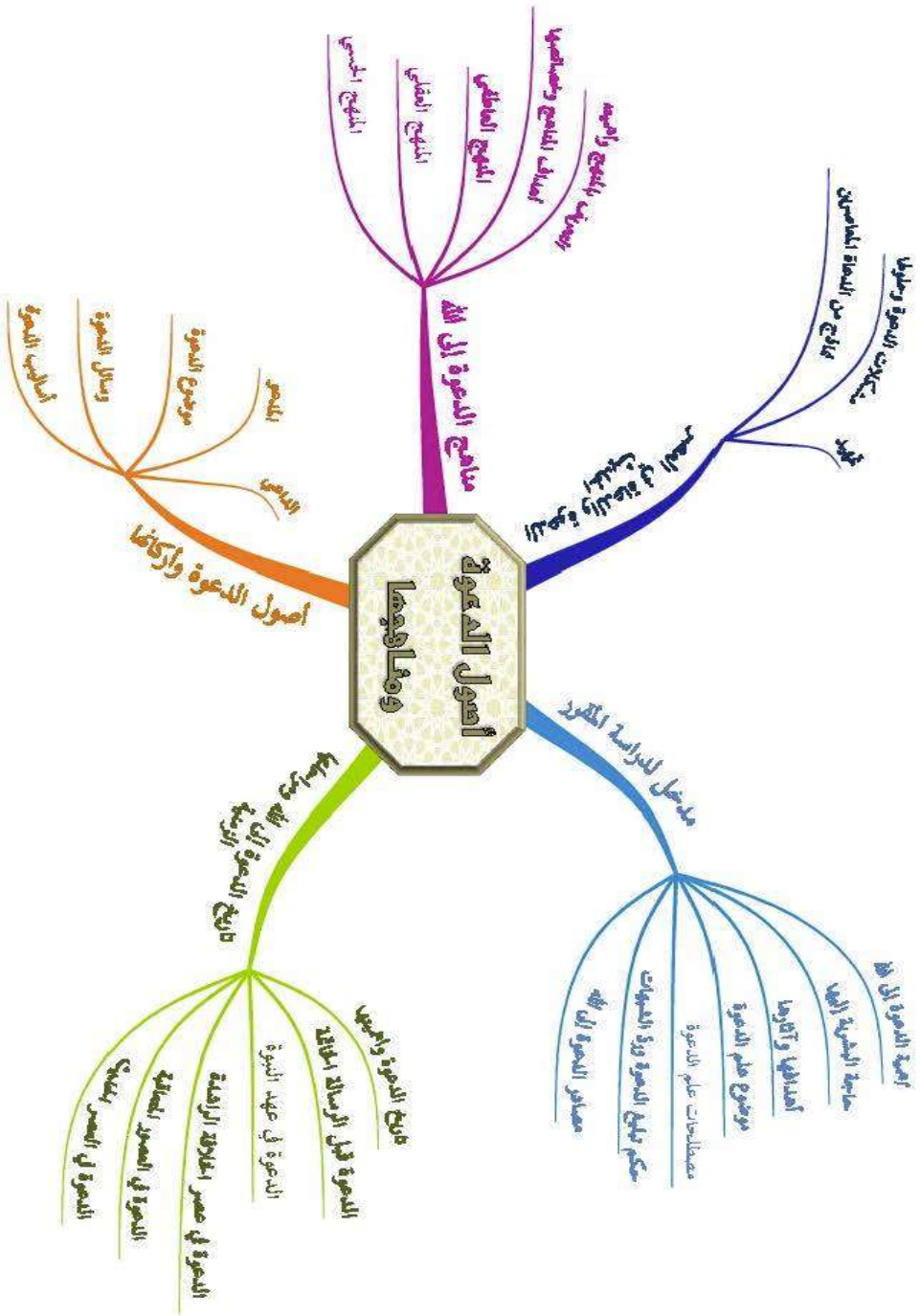

..تمهيد..

مدخل لدراسة المقرر

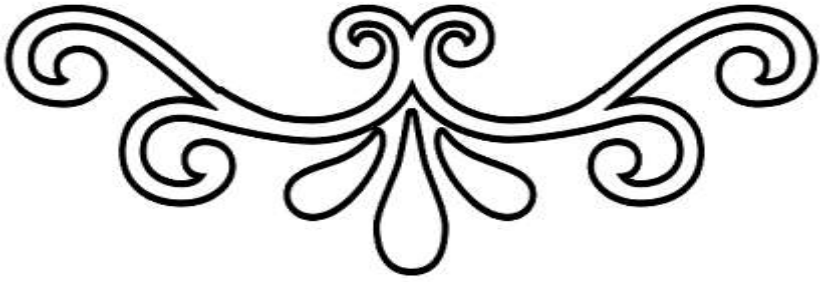

خارطة المدخل التمهيدي

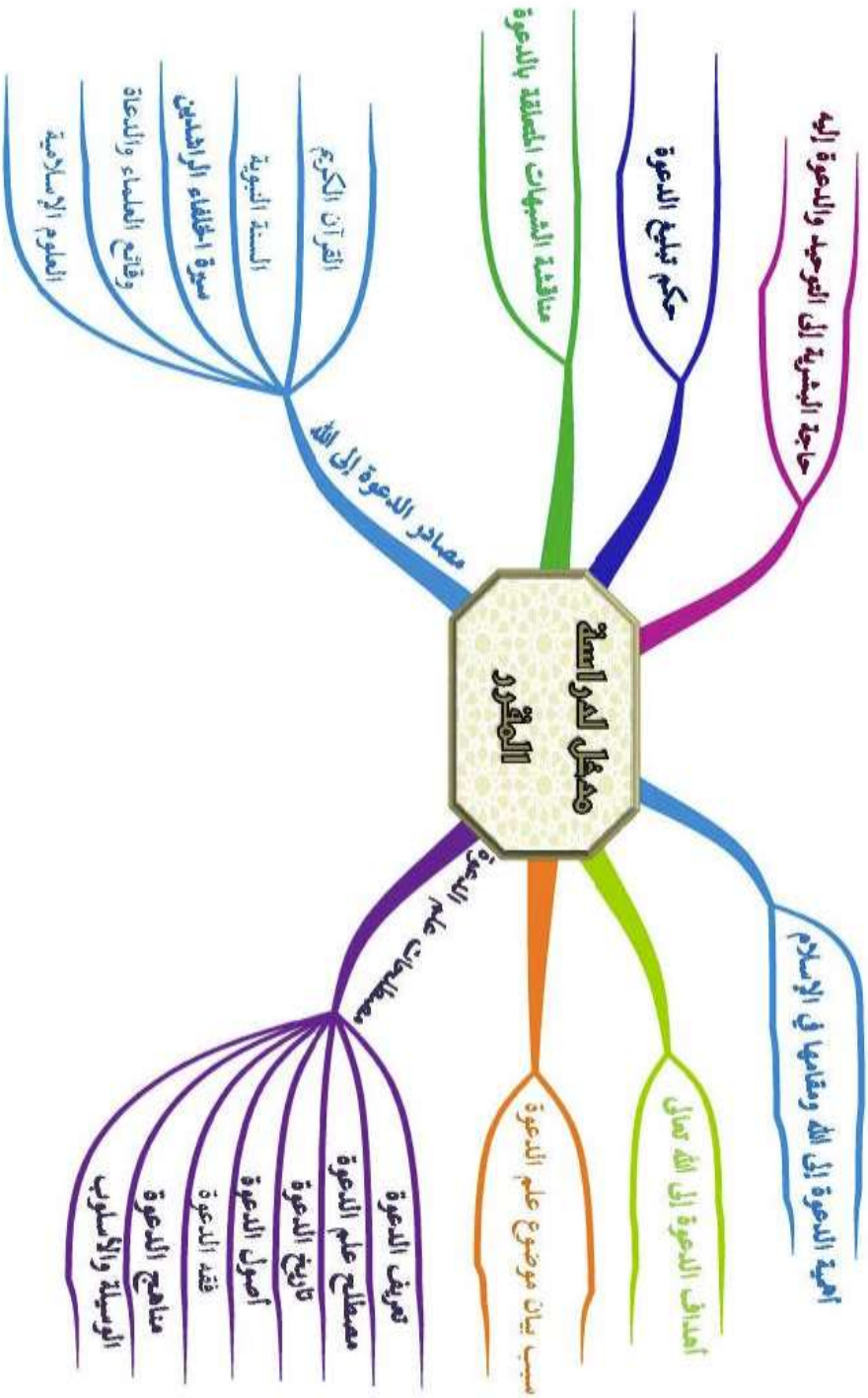

محتويات مدخـــــل الدراســـــة

1- أهمية الدعوة إلى الله تعالى

2- حاجة البشرية إلى التوحيد والدعوة إليه

3- أهداف الدعوة إلى الله وآثارها

4- السبب في بيان موضوع علم الدعوة.

5- بيان المصطلحات المتعلقة بعلوم الدعوة:

أ- تعريف الدعوة لغة واصطلاحا

ب- مصطلح علم الدعوة

ج- تاريخ الدعوة

د- أصول الدعوة

ه- فقه الدعوة.

و- مناهج الدعوة

ز- الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

6- حكم تبليغ الدعوة وأدلته

7- مصادر الدعوة إلى الله تعالى

أهمية دراسة المدخل التمهيدي:

معرفة المقدمات الضرورية لدراسة علوم الدعوة الإسلامية المتعددة مع الاقتدار على التمييز بينها، مع بيان خصائص كل علم منها وهي: (تاريخ الدعوة الإسلامية – أصول الدعوة – مناهج الدعوة ووسائلها وأساليبها – فقه الدعوة)، وبيان وجه الحاجة إلى هذه العلوم، وحكم الدعوة إلى الله تعالى، وأهميتها وفوائدها، مع الإلمام بالمصادر الأساسية والإرشادية لعلم الدعوة.

الأهداف التعليمية:

يُرجى منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذا الموضوع:

1ـ أن تتعرفَ حاجة البشرية إلى الدعوة الإسلامية.

2ـ أن تُدركَ أهمية الدعوة إلى الله وأهدافها وآثارها.

3 ـ أن تميزَ بين فنون الدعوة وعلومها.

4 ـ أن تُعِدَّ نفسك للإسهام في الدعوة إلى الله على بصيرة.

5 – أن تعتزَّ بانتمائك إلى دعوة الإسلام وتسعى إلى نشرها.

6 – أن توضحَ الشبهات التي تثار حول الدعوة إلى الله وتفندها.

تمهيد:

الإسلام ـ الشريعة الخاتمة ـ هو دعوة التوحيد التي بُعِثَ بها رسول الله ﷺ لِتكُونَ نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادِّيَّة في كل زمانٍ ومكانٍ. وهذه قضية واضحة كالشمس، يُسْتَعْلَنُ وضوحها في البصائر حتى لَتَحُلَّ في كياننا محلَّ الضرورة الفطرية التي لا تحتاج إلى دليل.

وهذا التمهيد يوضح المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالدعوة. فالمفاهيم لها أبعادها ودلالاتها، وتنشأ مع الفرد منذ نشأته الأولى، وتنتقل معه في مراحل حياته، وفي هذه المراحل قد تترسَّخ هذه المفاهيم أو يتم تعديلها، وقد تتلاشى بفعل عوامل الثقافة والتنشئة الاجتماعية بغض النظر عن نوعيَّة هذه المفاهيم بين إيجابية وسلبية.

فالمفاهيم لها دلالات حسيةٌ مقصودةٌ وأخرى غير مقصودة، إلا أنها بعد فترة من الزمن تصير لها صورٌ ذهنيةٌ في الخلفية الفكرية للإنسان، فيتعايش معها وبها، ومن خلالها تتكون شخصيته ويتغير نمط حياته.

والدعوة الإسلامية ـ كمفهوم ـ قد تَعَرَّضَتْ ـ كما تَعَرَّض غيرها من المفاهيم ـ لكثير من التزييف والتحريف، فأصبحت تُعني: الكلامَ دون الأعمال ـ عند البعض ـ وتُطْلَقُ على الوعظ والإرشاد دون القدوة والتطبيق العملي.

ولن تنجح عملية الدعوة إلا بعد بيان المفهوم الصحيح للدعوة وما يتفرع عنها من علوم الدعوة؛ ليعود الإنسان المسلم لصفاء نفسه وسلامة فهمة ووعيه. وهذه الصفحات فيها تجلية لمفهومها، وبيان لحكمها، ووجه الحاجة إليها، مع بيان لمصادرها وأصولها.

أهمية الدعوة إلى الله ومقامها في الإسلام

مقام الدعوة في الإسلام عظيم، بل هي أساس من أسس انتشارِه، وركن من أركان قيامه.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، ولولاها لما اهتدى عبدٌ، ولما عَبدَ الله عابدٌ.. ولما دعا الله داعٍ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ المائدة: ٦٧

قال الشيخ علي محفوظ-رحمه الله: «ومن أمعن النظر، علم أن الدعوة إلى الله حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان، ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة، وما تداعت أركان ملةٍ بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها، إلا بترك الدعوة؛ فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب، سواءً أكان ذلك الأمر حقًا أم باطلاً.. ولقد علمنا التاريخ أنه ما قام أحد يدعو إلى شيء إلا وجد له أنصارًا وأتباعًا، وها نحن أولاء نرى المذاهب الباطلة تنمو بالدعوة، والمذاهب الحقة بإهمال الدعوة تتضاءل، ولو كان الحق يقوم بنفسه وينتشر بذاته لأنه الحق لما فرضت علينا الدعوة إليه، ولما كان ثمَّ حاجة إلى الأنبياء والمرسلين، وورثتهم من العلماء العاملين والمرشدين الناصحين» [1]

فبالدعوة إلى الله تعالى: يُعبَد الله وحده، ويهتدي الناس، فيتعلمون أمور دينهم، من توحيد ربهم، وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام، ويتعلمون حدود ما أنزل الله.

وبالدعوة إلى الله تعالى: تستقيم معاملات الناس، من بيع وشراء، وعقود، ونكاح، وتصلح أحوالهم الاجتماعية والأسرية.

وبالدعوة إلى الله تعالى: تتحسن أخلاق الناس، وتقل خلافاتهم، وتزول أحقادهم وضغائنهم، ويقل أذى بعضهم لبعض.

---

(1) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة. الشيخ علي محفوظ، (ط:9، دار الاعتصام بالقاهرة، 1979م) ص14.

وإذا ما قامت الدعوة على وجهها الصحيح، واستجاب الناس لها، تحقق للدعاة وللمدعوين سعادة الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يونس: ٢٥، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَالِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٤١

وبالدعوة تعم الرحمة بين العباد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء:107

وبالدعوة إلى الله ينتشر الأمن، ويسود السلام، ويتحقق العدل بين الأنام.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ النور: ٥٥

وإذا استجاب الناس للدعوة، وعملوا بالشريعة، حُفظت الأموال، وعُصِمَتِ الدماءُ، وصينت الأعراضُ، فأمن الناس على أنفسهم، واطمأنوا على أموالهم وأعراضهم، وانتشر الخير، وانقطع الفساد.

قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧

كل ذلك لا يتم إلا بالدعوة إلى الله عز وجل، لذلك كان للدعوة في الإسلام، الحُظوة الكبرى، والقِدْح المعلاّ، والفضل العظيم، وكانت وظيفة الأنبياء الأولى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦

فالدعوة إلى الله، شرف عظيم، ومقام رفيع، وإمامة للناس، وهداية للخلق، فضلاً عما ينتظر الداعين في الآخرة من أجر عظيم، ومقام كريم.

حاجة الناس إلى الدعوة

مما لا ريب فيه أن شأن الدعوة إلى الله تعالى عظيم، والناس جميعًا في أشدِّ الحاجة إليها، إذْ لا قوام لحياتهم إلاَّ بها، فهي نداء الفطرة السليمة، ومبعث للسعادة والطمأنينة، تنقذ حياتهم من الضلال والضياع الناتج عن الأهواء البشرية، والمذاهب والديانات الوضعية، وتسمو بهم من الشك إلى اليقين، وتجلي لهم الحكمة من وجودهم في هذه الحياة، وتستجيب لفطرتهم السليمة وتلبي حاجاتها، وتجسِّدُ لهم الإيمان بحقيقته فيرونها كاملة فتطمئن قلوبهم، وتستقر حياتهم. والدين هو الملاذ الوحيد للإنسانية عندما تعصف بهم الحياة بما تحمله من أهوال وأحوال.

★ ويمكن إدراك حاجة الناس إلى الدعوة من وجوه:

1- **حاجة البشرية إلى دين الإسلام:** يرى العاقلُ أنَّ البشرية كلها في حاجة إلى مَنْ يُبَصِّرُهَا بالحق ويهديها إليه، والترغيب فيه والاستقامة عليه، والتحذير من الباطل وآثامه، والدعوة إلى الله تعالى كفيلة بكل ذلك.

يقول ابن القيم-رحمه الله-: «حَاجَة النَّاس إِلَى الشَّرِيعَة ضَرُورِيَّة فَوق حَاجتهم إِلَى كل شَيْء... وَالْحَاجة إِلَى التنفس، فضلًا عَن الطَّعَام وَالشرَاب؛ لِأَن غَايَة مَا يُقَدَّرُ فِي عدم التَّنَفُّسِ وَالطَّعَام وَالشرَاب موتُ الْبدن، وتَعَطُّلُ الرّوح عَنهُ. وَأما مَا يُقَدَّرُ عِنْد عدم الشَّرِيعَة ففسادُ الرُّوح وَالْقلب جملَة وهلاك الْأَبدَان. وشتان بَين هَذَا وهلاك الْبدن بِالْمَوْتِ فَلَيْسَ النَّاس قطّ إِلَى شَيْء أحْوج مِنْهُم إِلَى معرفَة مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول وَالْقِيَام بِهِ والدعوة إِلَيْهِ وَالصَّبْر عَلَيْهِ وَجِهَاد من خرج عَنهُ حَتَّى يرجع إِلَيْهِ وَلَيْسَ للْعَالَم صَلَاح بِدُونِ ذَلِك الْبَتَّةَ، وَلَا سَبِيل إِلَى الْوُصُول إِلَى السَّعَادَة والفوز الْأَكْبَر إِلَّا بالعبور على هَذَا الْجِسْم.»[1]

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - السعودية، د. ت) ص 864.

إن حرمان البشرية اليوم من خصائص الإنسانية، وضمانات الحياة الكريمة لها، ومقومات الحضارة من الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية، والإشباع الروحي، يجعل الدعاة إلى الله يتلمسون حاجة هذا العالم المُلِحَّة إلى مَنْ يأخذ بيده، ويدلُّه على ربه، ويبصره بِخُطَاهُ، ويهديه إلى الصواب.[1]

لقد مضت سنة الله في خلقه، بوجود الكفر وأهله، ووجود الإيمان وأهله. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ التغابن: ٢

وكذلك مضت سنة الله في تناقص إيمان بعض المؤمنين، وقساوة قلوبهم، وفي الجهل في الدين، والانحراف عن الصراط المستقيم، كلما ابتعد الناس عن معين الوحي، وطال بهم العهد عن منبع الرسالة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ الحديد: ١٦

واقتضت حكمة الله إزالة الكفر، ورد الكافرين إلى أصل الفطرة، وحظيرة الإيمان، وبيان المحجة لهم. كما اقتضت تجديد إيمان المؤمنين، وجلاء قلوبهم، وإعادة وصلها بالله، كيما يقوى الإيمان، وتستقيم النفوس على طريق الهداية، وتبقى القلوب موصولة بالله.

وسبقت رحمة الله أن تكون وسيلة الإسلام إلى هداية الكافرين، وإلى تجديد إيمان المؤمنين، وإصلاح ما فسد هي: الدعوة إلى الله تعالى، بشروطها، وأسلوبها المقرر﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٤١

فكلما كانت الدعوة قائمة بشروطها، فعّالة بأسلوبها المشروع، كان الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعدَ عن الفساد. وكلما كانت الدعوة ضعيفة في أدائها، أو منحرفة في منهجها، كان الناسُ أقربَ إلى الشر والسوء، وأبعدَ عن الخير والاستقامة.

---

(1) مقومات الدعوة والداعية في ضوء سيرة السلف الصالح. بدير محمد بدير (ط: 1، دار نور الإسلام بالمنصورة- مصر، 1416 هـ-1995م) ص 5-6 بتصرف كبير.

ولا أدل على ذلك من التفاوت في التدين بين الشعوب، فترى بعضها أحسنَ الناس عقيدة، وأفضلهم اتباعًا، وأقلَّهم فسادًا وانحرافًا؛ ذلك لِمَا كان قائمًا بينهم من دعوة صحيحة، ذات جذور قوية... وترى آخرين قد اختلَّت عقائدهم، وكثرت بِدَعُهم، وظهر الفساد والانحراف في مجتمعهم؛ وذلك للتقصير الدعوي فيهم.

وكل ما ظهر من الفساد العقائدي، والانحراف المنهجي، والسوء الخُلقي، والتطرف الفكري، ثم العملي الذي تفشى بين كثير من المسلمين، كان من التقصير في الدعوة إلى الله عز وجل، أو من الانحراف بها عن مقاصدها النبيلة التي رسمها لها الإسلام، أو لغياب منهجية الاعتدال فيها.

لذا بات مِنَ الضروري لهداية مَن ضل، ولإصلاح ما فسد، واستقامة ما انحرف، ولتقوية إيمان من ضعف، إحياء الدعوة إلى الله عز وجل على أسس سليمة، ومنهجية معتدلة، وأساليب متجددة مباحة، كي يعم الصلاح، وينقطع الفساد.

وهكذا كانت سنة الله تعالى في خلقه، كلما انحرف الناس، وانتشر الشَّرُّ، أرسل الله فيهم رسولًا، أو بعث فيهم نبيًّا.. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ٢١٣

قال ابن كثير – رحمه الله – عند هذه الآية: «... وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام، قال ابن عباس: «ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام، والأنداد، والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته، وبيناته وحججه البالغة، وبراهينه الدامغة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ﴾ الأنفال: ٤٢ (1)

(1) تفسير القرآن العظيم. أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع – السعودية، 1420هـ/ 1999م) 2/ 426

وهكذا كان منهج الأنبياء في دعوتهم ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: ٨٨

ولما لم يكن نبي بعد رسول الله ﷺ فقد وُكِلَت الدعوة إلى العلماء والدعاة من أمته، يُعلِّمون الناس ما جهلوا، ويذكرونهم ما نسوا، ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم، ومن هنا جاءت أهمية الدعوة، وأهمية تأصيلها، وجاءت أهمية دور الدعاة، وأهمية إعدادهم. (1)

2- **عجز العقول البشرية عن إدراك المصالح** لأن العقول البشرية وحدها لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية-فضلاً عن الأخروية -ولا تهتدي وحدها إلى تمييز الخير من الشر والمعروف من المنكر.

3- **تغلب الأهواء والشهوات على العقول:** فإن العقول البشرية إذا اهتدت إلى إدراك الخير والشر فقد تتغلب عليها الشهوات فلابد من الدعوة لتتحقق الهداية الكاملة.

4- **اختلاف المدارك والميول:** حيث إنه إن خلصت العقول من أثر الشهوات فإن الإنسان يختلف في مداركه وميوله (فقد يستحسن الإنسان ما قد يستقبحه غيره بل وقد يستحسن شيئًا في وقت ما ويستقبحه في وقت آخر) لذلك كانوا في حاجة إلى دعاة ناصحين يعلمونهم ما شاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير والسعادة.

5- **واقع المسلمين المرّ وانتشار الفساد في كل نواحي الحياة**.. فقد استعملت كل أنواع الأسلحة لحرب الإسلام.. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١

أ) ففي الحياة الاجتماعية.. تمَّ هدمُ البيت، ودفع بالمرأة في جحيم الشقاء بدعوى

(1) منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسُّنَّة. عدنان بن محمد آل عرعور (البحث الحائز على جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة (ط:1، 1426هـ-2005م) ص:26-28 بتصرف.

التحرر، وزجوا بها إلى دور الأزياء ودكاكين التجميل والبغاء المحرَّم المُسَمَّى بالفَنِّ ومعاهد لتعليم الرذيلة وغير ذلك. إضافة إلى الإعلام وما يقدمه من فحش وفجور.

ب) وفي مجال التشريع.. تم استبدال شريعة الله بشرائع أرضية مناهضه لها، وصاحبها تشكيك فى المصدرين الأساسين للتشريع الإسلامي الكتاب والسنة، ونصب البشر أنفسهم آلهة من دون الله تعالى يشرعون للناس بما تملي لهم شياطينهم وتسول لهم أهواؤهم. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٣٦-٣٧

ج) كذا في التربية ومناهج التعليم. وهذا واضح في الهدم الذي يزداد يومًا بعد يوم وتفريغ المناهج من كل ما هو إسلامي. ومن وسائل الاستبدال الحرب على اللغة العربية واستبدالها بالعامية حيث تعتبر اللغة العربية السياج الحافظ للقرآن والسنة ولهوية الأمة. ولا تزال الحرب الضروس معلنة على الإسلام وتاريخه ولغته ومصدره من علمانيِّ هذه الأيام.

د) وفى الحياة الاقتصادية – أيضًا.. فرغم تمتع الدول الإسلامية بالموارد المائية والمعدنية والبشرية والموقع الاستراتيجي في العالم كله استطاع الغرب بتفريطنا في إسلامنا أن يطوقنا اقتصاديا وإنتاجيًا، وجعلوا من العالم الإسلامي عالة عليهم في كل شيء.. فإذا أردنا أن نقاتل يجب أن يوافقوا أولا، وإذا أرادوا سلامًا استطاعوا أن يفرضوا علينا ما شاءوا.

ه) وفى الحياة السياسية تم فصل الإسلام عن الحكم عن طريق ترويج فكرة (الفصل بين الدين والدولة) أو (الفصل بين الدين والسياسة) بعد أن تناثرت حبات عقد الخلافة الإسلامية بفعل (مصطفى كمال أتاتورك) فتمكن من العباد والبلاد من لا خلق لهم ففسدت بهم الأوضاع في كل الميادين قال تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ يونس: ٨١، فبهؤلاء بيعت الأوطان وضاعت المقدسات ووجهت الضربات الشرسة للدعاة إلى الله تعالى، وعلا صوت النعرات الجاهلية على حساب الوحدة والدين، وهان المسلمون على أعدائهم بما وصلوا إليه ليصدق قوله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت». (1)

ونتج عن هذا الفساد الذي ضرب كل نواحي الحياة انحسار الإسلام عن شتى نواحي الحياة فانحسر نظامه السياسي والاجتماعي والعسكري والتعليمي والأخلاقي، وحل محلها مفاهيم مستوردة من الدول الغربية، وكذلك انحسرت العبادات والعقائد.. حتى إنك نادرًا ما تجد بين مثقفي العالم الإسلامي إنسانًا صافي العقيدة سليمها.

إن هذا الواقعَ السَّيِّءَ الذي يمرُّ به عالمنا لابد له من تغيير، والتغيير يقع على عاتق الدعاة إلى الله تعالى، فهم خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المسئولون على رتق الخرق الذي أحدثه العابثون المضللون فيها قبل أن تغرق بالجميع.

أهداف الدعوة إلى الله تعالى وآثارها

للدعوة إلى الله أهدافٌ سامية، وغاياتٌ نبيلة، ومن أهم هذه الأهداف والغايات:

الأول: تعريف العباد بخالقهم، وحقِّه عليهم، وحقِّهم عليه: فالإنسان بطبيعته فقير إلى غيره، وهو أفقر إلى خالقه منه إلى سواه، فإذا فقد الصلة بالله، وجهل خالقه وحقوقه، حصل في النفس البشرية ضياعٌ، وأصبح فيها فراغ، وحدث فيها قلق لا تستقر معه النفس.

---

(1) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع إسناد أحمد جيد.

والفرد عضوٌ من هذه البشرية، فإذا عمّ هذا الأمر، اضطربت البشرية اضطرابًا شديدًا، فأكل الناس بعضهم بعضًا، وقاتلت الأمم بعضها بعضا، وعاشت في فوضى لا تبقي ولا تذر، فلا أمان ولا سلام، ولا معيشة طيبة ولا اطمئنان. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ طه: ١٢٤

وأما إذا عرف العبد خالقه، وعلم مُراده، وعمل بذلك، استقرت النفس، واطمأن القلب، وحصلت الاستقامة في تصرف الأفراد.

ومعرفة الخالق لا تعني مجرد الإيمان بوجوده، بل لابد من العلم به وبحقوقه، والالتزام بما يريده في كتبه، وعلى ألسنة رسله (عليهم السلام) في طاعته فيما يأمر، والانتهاء عما ينهى عنه.

وأن يؤمن بأن ثمة حسابًا عن كل صغيرة وكبيرة، وكل قول وعمل، ثم الجزاء الأوفى، بما أعد الله للطائعين من كرامة وجنان، وما أعد للعاصين من خزي ونيران.

والفرد جزء من البشرية، فإذا عمّ هذا الأمر، استقرت البشرية، واطمأنت الخليقة، فتعاون الناس على البر والتقوى، بدل التعاون على الإثم والعدوان، فانتشر الأمان، وعم السلام، وعاش الناس في بُلَهنِيَّةٍ من العيش ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧

وفوق هذه الحياة الطيبة في الدنيا، فإن للمستجيبين الحياة الأطيب، والسعادة الأكبر في الآخرة.. **هذا هو الهدف الأول والأسمى للدعوة إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة.**

الثاني: نشر الخير والصلاح، وقطع دابر الشر والفساد.. بكل ما في كلمتي الخير والصلاح من معنى وعمل، فإن الإسلام يأخذ به ويدعو إليه، وبكل ما في كلمتي الشر والفساد من معنى وعمل، فإن الإسلام يأباه... وينهى عنه.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ النحل: ٩٠

وقال تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ....﴾ الأعراف: ١٥٧

فما من أمر في الإسلام – مهما ظن العبد أن فيه شرًّا – إلا وهو خيرٌ عظيم، وما من مَنْهِيٍّ عنه في الإسلام – مهما ظن العبد أن فيه خيرًا – إلا وفيه شرٌ كبير.

قال تعالى: ﴿.. وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١٦

الثالث: تعارف الشعوب، وتوحيد الأمم، ونشر السلام بينهم.

إن من أعظم غايات الإسلام وأهدافه؛ تعارف هذه الشعوب المنتشرة على سطح المعمورة، وتقاربها... وتوحيد هذه الأمم تحت راية واحدة–راية توحيد الخالق–وتفاهمها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ﴾ الحجرات: ١٣

فإذا تعارفت الشعوب وتقاربت، وتوحدت الأمم وتفاهمت، على رب واحد، ودين واحد، وقبلة واحدة، وبالإيمان بالرسل جميعًا، وأصبح عامل تفاضلها تقوى الله، إذا حصل هذا، أصبح الناس جميعًا عبادًا مؤمنين، وأخوة متحابين، فيزول ما بينهم من عداء، وينطفئ ما بينهم من نيران الحروب والبغضاء، فيعيشون وقتئذ بسلام، وينعمون بأمان.

★★**وأما آثار الدعوة إلى الله تعالى** فللدعوة آثارٌ عظيمة، وثمارٌ نافعة، تَعُمُّ العباد. وتنتشر في البلاد. والآثار هي الأهداف إن تحققت، ولذلك نجد اشتراكًا كبيرًا بينهما وتوافقًا، وهذه الثمار نفسُها متداخلةُ المعاني فيما بينها، ومترابطةُ الأسباب، بل منها ما هو سبب للآخر، ومشاركٌ له في كثير من شُعبه، ويمكن إيجازها في ستة أمور وهي:

– إحقاق الحق، ودحض الباطل.

– انتشار العدل، ورفع الظلم.

– انتشار الصلاح، وقطع دابر الفساد، واتقاء النَّقَمَاتِ الإلهية.

- انتشار الخيرات، ونزول البركات.
- انتشار الإخاء والسلام، والأمن بين الأنام.
- سعادة العباد في الدارين.

السبب في بيان موضوع علم الدعوة

يرجع السبب في بيان موضوع علم الدعوة إلى: دفع الالتباس والتداخل بين موضوع الدعوة (الإسلام) وموضوع علم الدعوة، وهو مصطلحٌ يشمل جميع المسائل العلمية، والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية للقيام بدعوته على الوجه الصحيح، وهي التي تتمثل الآن في المؤسسات التعليمية التي تُعنَى بأمر الدعوة الإسلامية، والمتمثلة في: تاريخ الدعوة وتطورها عبْرَ الزمان، وأصول الدعوة، ومناهجها، وأساليبها، ووسائلها، ومشكلاتها وعوائقها داخليًّا وخارجيًّا؛ لذا فالأمر يتطلب بيان المصطلحات دفعًا للالتباس.

تحديد مصطلحات علم الدعوة

تعريف الدعوة

لغة: قال ابن منظور: «دعا الرجل دعوًا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا أي صحت به، واستدعيته... وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا.. والدعاة: قوم يدعون إلى هدىً أو ضلالة، وأحدهم داعٍ. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة. والنبي ﷺ داعي الله ﷻ، وكذلك المؤذن، والدعوة مختصة بادعاء النِّسْبَة، وأصلها للحالة التي عليها الإنسان نحو: القعدة والجلسة. الدعاء للشيء والحث عليه.[1] قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ

(1) لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ط:3، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، 1419هـ – 1999م) مادة «دعا» 5/ 267 ـ 270.

يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يونس: ٢٥.

اصطلاحًا: إذا أطلق مصطلح الدعوة فإنه يراد به في الغالب معنيان:

الأول: الإسلام ذاته (الرسالة).

الثاني: عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة [1].

وعلى المعنى الأول جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة؛ منها:

أنها «دين الله الذي ارتضاه للعالمين، تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضروراتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشؤونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريمًا لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم»[2].

وأيضًا: «الدعوة هي الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، وهي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، والذي أنزل تعاليمه وَحْيًا على رسولِ الله محمدٍ ﷺ وأمره بتبليغه إلى الناس كافة؛ لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، وتحقيق السعادة لهم في الدارين.»[3]

وأما على المعنى الثاني فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله: «الدعوة إلى الله ﷻ هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد

(1) انظر: المدخل إلى علم الدعوة. محمد أبو الفتح البيانوني (ط:4، دار الرسالة العالمية- بيروت، 1431هـ - 2010م) 39-40، وانظر: نصوص الدعوة في القرآن الكريم- دراسة تأصيلية. حمد بن ناصر العمار (ط:2، دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، 2002م) ص 15-20.

(2) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية. محمد الراوي (مكتبة الجامعة الأردنية، 2014) ص 39.

(3) الدعوة الإسلامية: أصولها - وسائلها-أساليبها في القرآن الكريم. أحمد أحمد غلوش (مؤسسة الرسالة- القاهرة، 2005م) ص:31-33. بتصرف.

الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه» [1].

وقيل: إن الدعوة إلى الله هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه [2].

وقيل: إن الدعوة نداءُ الحق للخلق، ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء غير مشركين، متبعين غير مبتدعين [3].

ولعل من أجمع التعاريف للدعوة -على هذا المعنى -ما عرفها به البيانوني، حيث قال: هي «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيَّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[4]، وهذا التعريف يظهر جليًّا من خلال بيان مهمة الرسول ﷺ في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة:٢ وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ تبليغ لهم ما يوحَى إليه من ربه. وقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ تعليم لهم وتربية على المبادئ الصحيحة التي جاء بها الوحي. وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ تربية وتطبيق لتعاليم الدين فيما بينهم.[5]

مصطلح علم الدعوة

يقصد بمصطلح علم الدعوة «مجموعة القواعد والأصول (العِلْميَّة) التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيَّاهم، وتطبيقه فيما بينهم».[6]

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ-2004م) 15/ 157، 161.

(2) محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، ص 17.

(3) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته. عبد رب النبي علي أبو السعود (مكتبة وهبة - القاهرة، 1992) ص 19.

(4) المدخل إلى علم الدعوة، ص 16-18. مرجع سابق.

(5) انظر: نصوص الدعوة في القرآن الكريم، ص40. مرجع سابق.

(6) المرجع السابق. ص: 19

وهو العلم الذي به تُعرَفُ أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنيَّة المتنوعة التي يقوم بها القادر على تبليغ الإسلام على الوجه المشروع، وتحقيق انتشاره بين الناس وَفْقَ خطة علميَّةٍ مدروسة.[1]

فهو علم ـ يهتم بالجانب النظري، والتأصيلي ـ له أصوله وقواعده العلمية التي يُبنى عليها، والتي ـ من خلال دراستها وفقهها ـ يستطيع الداعية إيصال رسالة الإسلام بما تحمله من قِيَمٍ وأَخْلَاقٍ وأحكامٍ وتشريعاتٍ، إلى المدعوين على اختلافهم، وتنوع مشاربِهم... ***وبناءً على ذلك فالدراسات المتخصصة في علم الدعوة أفردت تصنيفات حول: تاريخ الدعوة – وأصول الدعوة – وفقه الدعوة – ومناهج الدعوة؛ فكان من الأولى بيان مدلولات هذه المصطلحات هنا لتتكون عند الدارس دراية ووعي بهذه الفنون دونما خلط أو التباس..***

تاريخ الدعوة

إذا نظرنا إلى هاتين الكلمتين في أصلهما اللغوي وعند اصطلاح أهل الدعوة، يمكن استخلاص تعريف مستقل لتاريخ الدعوة مفاده أنه: «فن يبحث فيه عن كيفية نشر الإسلام، وإقناع الناس باتباعه، ثم إثباتها بالتعيين والتوقيت لإطلاع الأمة عليها وإفادتهم منها»

وقد قدّم الدكتور عبد الرحمن الخليفي شرحًا لهذا التعريف فقال: «في قولنا: هو فن: الفن هو الضرب من الشيء، أي النوع. فتاريخ الدعوة نوع مستقل بذاته عن غيره من العلوم، وفي قولنا: ثم إثباتها بالتعيين: أي رصد هذه المعلومات بتعيين الحادثة وأبرز الأشخاص الذين شاركوا فيها، وفي قولنا: والتوقيت: أي ربط ذلك بالتوقيت الزمني لهذه الأحوال والمراتب».[2]

---

(1) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، ص:36. مرجع سابق.

(2) تاريخ الدعوة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء– السعودية، العدد: 38 – الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1420هـ، ص 229.

ثم خلُص إلى ما يبرز أهمية هذا العلم بأنه يعطينا التصور المطلوب عن كيفية نشر الإسلام، مثبتة بتعيين حوادثها والأشخاص الذين شاركوا فيها، مقرونة بالتوقيت، مما يعين على الاستفادة الكاملة من دراسة هذه المادة كما سيفصل في هذا الكتاب إن شاء الله.

أصول الدعوة

تعريف الأصول لغة: أصل الشيء: قاعدته التي يقوم عليها، وأصل البنيان: القواعد التي يقوم عليها البيت، ومَجْدٌ أصيل إذا تأصَّل وأصبح يفخر بعزةٍ لأصالته في قومه، وكانت العرب تقول: فلان لا أصل له ولا فصل، إذا لم يُعْرَفْ له نسبٌ.

أصول الدعوة اصطلاحًا: خلاصة القول بناءً على المدلول اللغوي لكلمة الأصل: فإن أصول الدعوة تعني القواعد والجذور التي تقوم عليها الدعوة القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل يتطلب بذل الجهد واستفراغ الوسع وتحمل الصعوبات في سبيل نشر تعاليم هذا الدين في سائر أنحاء الأرض.

وحيث كانت كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام ذاته، وعلى نشره بين الناس، ومجيئها في السياق هو الذي يحدد المعنى المراد، فإذا قيل: هذا من رجال الدعوة، فهي تعني محاولات النشر والتبليغ، وإن قيل: اتبعوا دعوة الله، كان المراد بها الإسلام. وعليه فقد تعددت الاتجاهات في بيان معنى أصول الدعوة.

فيُقصدُ بأصول الدعوة من جهة: مصادر الدعوة التي تستند إليها، أو تسترشد بها، وهي ستة مصادر تتمثل في: القرآن الكريم ـ السنة النبوية ـ السيرة النبوية ـ سيرة الخلفاء الراشدين ـ سيرة السلف الصالح ـ وقائع العلماء والدعاة وتجاربهم العملية في ضوء تلك المصادر.

ومن جهة أخرى تعني الأركان التي تبنى عليها العملية الدعوية، من حيث: موضوعها وأدلتها، والداعي، والمدعو، ووسائل الدعوة وأساليبها. كما ترجح لدى

الدكتور عبد الكريم زيدان. [1]

ولما كان تفسير مدلول الأصول بأنه المصادر مما يبعد عن العملية الدعوية باعتبارها علمًا موضوعيًا له محدداته وأركانه، رأينا أن نخصص الفصل المختص بأصول الدعوة للحديث عنها من حيث موضوعها وأركانها.. وإتمامًا للفائدة سنختم هذا التمهيد بالحديث عن المصادر حتى لا نكون أهملنا هذا الوجه في كتابتنا – والله المستعان.. كما سنوضح بعد بيان مصطلح مناهج الدعوة مدلول الوسائل والأساليب والفرق بينهما.. وذلك لكثرة الخلط في هذا الباب.. علمًا بأن هذه الأمور ستزداد وضوحًا عند ورود الفصول المخصصة لها داخل الكتاب – إن شاء الله.

فقه الدعوة

هذا المصطلح مركب من كلمتين ولكل منهما مدلوله؛ أما الدعوة فقد سبق بيان معناها، وأما الفقه فسنوضح مفهومه:

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين لسيادته، وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم [2].

الفقه اصطلاحا: له عدة تعريفات يفسر بعضها بعضًا، منها:

العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفرعية، بالنظر والاستدلال [3].

المراد بفقه الدعوة: يشار إلى فقه الدعوة كعلم بأنه العلم الذي يهدف إلى «استنباط، وفهم تاريخ الدعوة، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها:

---

(1) انظر: أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان (ط:3، مكتبة القدس– بيروت، 1407هـ–1987م) ص 5.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور،3 / 5/ 522، مادة (فقه)، والقاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ط:8، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1426هـ – 2005م) ص 1614 .

(3)الإحكام في أصول الأحكام. سيف الدين علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي (المكتب الإسلامي– بيروت، د. ت)1 / 6/ 6

استنباطًا وفهمًا على ضوء الكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح، يُمَكِّن الدعاة إلى اللهّ تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم، ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم [1] عملا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨

مناهج الدعوة

التعريف اللغوي: المناهج من الفعل نهج، مفردها منهج ومنهاج،[2] وقد جاءت على عدة معان، يمكن إجمالها في المعاني الآتية:

1-الطريق الواضح: يقال نهج نهجاً، إذا سلك طريقاً بيناً واضحاً،[3] ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨، أي طريقاً واضحاً وسهلاً.[4]

2-الطريق الذي يعين على الاستقامة: ومنه أنهجت سبل المكارم إذا أعانت وقوت صاحبها، والنهج هو الطريق المستقيم.[5]

3-الخطة المرسومة: ومنه منهاج الدراسة والتعليم،[6] إذ هي بمثابة خطط مرسومة لتحقيق أهداف محددة.

ويلاحظ من المعاني السابقة أنها تعني خططًا مرسومة تتسم بالوضوح في أهدافها

---

(1) انظر: فقه الدعوة إلى الله. علي عبد الحليم محمود (ط:1، دار الوفاء بالمنصورة، 2000م) 1/ 18، وأيضًا: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري. سعيد بن علي بن وهب القحطاني (ط:1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، 1421هـ) أصل الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1/ 6.

(2) انظر: لسان العرب، لابن منظور، 14/ 365. مرجع سابق.

(3) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة. انظر أيضاً: المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون، (ط:2، دار الدعوة – تركيا، د.ت) 2/ 957.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، 2/ 93.

(5) انظر: لسان العرب، 14/ 365.

(6) انظر: المعجم الوسيط، 2/ 957.

ومعالمها؛ كي تحقق الاستقامة في حياة الناس، وخاصة من تستهدفه هذه المناهج.

التعريف الاصطلاحي: عرَّف صاحب المدخلِ المنهاجَ بأنه: «النظام والخطة المرسومة للشيء»[1]، وعليه فنظم الدعوة وخططها المرسومة هي مناهج الدعوة.[2]

ويلاحظ أن التعريف السابق يعكس معنى المنهاج بشكل عام سواء كان منهاجًا إسلاميًا أو غيره، فإذا ما أريد تقييده بالإسلام فلابد من إضافة ضابط وقيد في التعريف يفيد ذلك، وهو ما يمكن تحقيقه بإضافة لفظ (المشروعة) أو على هَدْيِ النُّبُوَّة، وعليه فالمنهاج الإسلامي بحسب تقدير الباحث هو: «النظام والخطة المرسومة للشيء على هَدْيِ النُّبُوَّة».

الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

لعل الحديث في هذه المسألة فرعٌ عن الحديث في مدلول الأصول والمناهج، وسأكتفي هنا بإيراد المفهوم لكلٍ من الوسيلة والأسلوب، مع ذكر الفرق بينهما..

الوسيلة في اللغة: (وسل) فلان إلى الله بالعمل (يَسِلُ) وسلًا: رغب وتقرّب.[3] والوسيلة القربة، والواسل الراغب إلى الله، وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه.[4]

الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع وسائل[5] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ المائدة: ٣٥

(1) المدخل إلى علم الدعوة. مرجع سابق، ص45.

(2) انظر: المرجع السابق، 46.

(3) المعجم الوسيط، 2 / 1032.

(4) لسان العرب، 2 / 927.

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط:4، دار العلم للملايين – بيروت، 1407هـ–1987م) 5/ 1841.

يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود [1]، ويقول الفخر الرازي: الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود.[2]

وفي المفردات: الوسيلة هي التوصل إلى الشيء برغبة.[3]

ويقول ابن الأثير في النهاية: الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، وجمعها وسائل.[4]

الوسيلة في الاصطلاح: للوسيلة في الاصطلاح جملة تعريفات يُكْتَفَى منها بالآتي:

- الوسيلة: هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو. [5]

- الوسيلة: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو. [6]

- الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس.[7]

⋆ من مجموع تعاريف الوسيلة في اللغة والاصطلاح يمكن القول بأن الوسيلة هي: **الأداة المستخدمة في إيصال المعاني ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو.**

الأسلوب في اللغة: الطريق، والوجه، والمذهب، يُقال: أنتم في أسلوب سوء،

---

(1) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 2 / 53.

(2) مفاتيح الغيب – التفسير الكبير. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط:3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ) 6 / 220.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 523.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م) 5 / 185.

(5) أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص 429.

(6) الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها. أبو المجد السيد نوفل (مطبعة دار الأمانة– مصر، د. ت.) ص 189.

(7) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (ط:1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع – السعودية، 1998م) ص 29.

ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه. والأسلوب بالضم الفن، يُقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي أفانين منه.[1]

وفي المعجم الوسيط: الأسلوب: الطريق، ويُقال: سلكتُ أسلوبَ فلانٍ في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته.[2]

الأسلوب في الاصطلاح: للأسلوب في الاصطلاح تعريفات عديدة، منها:

(أ) الأسلوب: هو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير.[3]

(ب) الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته.[4]

(جـ) الأسلوب: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال.[5]

ومن خلال بيان معاني الأسلوب في اللغة وفي الاصطلاح يمكن تعريف الأسلوب فنقول: الأسلوب هو: فن العرض والتأثير والإقناع.

الفرق بين الوسيلة والأسلوب:

تبين مما سبق أن الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار من

---

(1) لسان العرب، مادة (سلب)، 2 / 178..

(2) المعجم الوسيط، مادة سلب، 1 / 440.

(3) الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. أحمد الشايب (ط: 8، مكتبة النهضة المصرية، 1991م) ص 44.

(4) خصائص القرآن الكريم. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (ط: 9، مكتبة العبيكان- الرياض، 1997م) ص 18.

(5) المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة. أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين، رسالة دكتوراه (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1409هـ) ص 523.

الداعي إلى المدعو. أما الأسلوب فهو: فَنُّ العَرْضِ والتأثير والإقناع. والفرق بينهما أن الوسيلةَ أعمُّ من الأسلوبِ إذْ إنها الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس.

حكم تبليغ الدعوة

تتبوأ الدعوة إلى الله -تعالى-مكانةً عاليةً ومنزلةً ساميةً. وقد تواترت الأدلَّة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يدل على أن القيامَ بالدعوةِ ليس أمرًا ثانويًا، أو عملاً تطوعيًا، بل هو من أوَّلِ الواجبات ومن ألزم الفرائض، وهو ما أكَّد عليه علماءُ الأمة وفقهاؤها.

يقول الإمام النووي: «تطابقَ على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة.» (1)

ورغم اتفاق العلماء فيما بينهم على وجوب تبليغ دعوة الإسلام إلى عموم بني آدم (مسلمهم، وغير مسلمهم)، إلا أنهم اختلفوا في نوعية هذا الوجوب، هل هو على التعيين، أم على الكفاية؟

ولكلٍّ من الفريقين أدلتُه التي استدلَّ بها على ما ذهب إليه من قولٍ وحُكْمٍ، وفيما يلي نتعرف على بعض الأدلة على وجوب القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والتي منها:

أ – قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤

فقوله: (وَلْتَكُنْ) فعلٌ مضارع مقترن بـ«لام الأمر»، وهي صيغةٌ من صِيَغِ الوجوب.

وقد استدل القائلون بالوجوب العيني بأن الآية أفادت توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبة بقدر الاستطاعة، لا يُستثنَى منها كلُّ قادرٍ عليها.

---

(1) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ 2/ 22.

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية: «وَلْتَكُونُوا أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ أَصْحَابُ هَذَا الْوَصْفِ قَدْ أُمِرُوا بِأَنْ **يُكَوِّنُوا** مِنْ مَجْمُوعِهِمُ الْأُمَّةَ الْمَوْصُوفَةَ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْمَقْصُودُ تَكْوِينُ هَذَا الْوَصْفِ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ هُوَ التَّخَلُّقُ بِهَذَا الْخُلُقِ فَإِذَا تَخَلَّقُوا بِهِ تَكَوَّنَتِ الْأُمَّةُ الْمَطْلُوبَةُ. وَهِيَ أَفْضَلُ الْأُمَمِ.»[1]

فالراجح فى قوله: (مِنْكُمْ) أنَّ (مِنْ) للبيان وليست للتبعيض. وقد ذكر السيد رشيد رضا في المنار: «قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَدِّ (لِيَكُنْ لِي مِنْكَ صَدِيقٌ) فَالْأَمْرُ عَامٌّ»[2]. وعلى هذا يكون الوجـوب عينيًّا على كل مسلم، وليس مكلفًا به بعضهم فقط.

ويرجح ذلك عدة أدلة:

1- أن النبي ﷺ طلب من كل مسلم أن يُسْهِمَ بِقَدْرِ استطاعته في إزالة المنكر، ولم يُعْفَ من ذلك أحدٌ، ففي الحديث عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وفى رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»[3]

2- ورود العديد من الآيات التي تأمرُ النبيَّ ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ القصص: ٨٧، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥. والقاعدة أن كلَّ تكليفٍ للرسول ﷺ هو تكليفٌ لأمته

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». محمد الطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر - تونس، 1984) 4/ 38

(2) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). محمد رشيد رضا (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م) 4/ 23

(3) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ط: دار إحياء التراث العربي-القاهرة) كِتَاب الإِيمَانِ. بَاب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإيمان حديث رقم: 73.

ما لم يرد نصٌّ يفيدُ خصوصيةَ النبي ﷺ دون سواه، وليس ثمَّ شيء يفيد هذا التخصيص، فيبقى الأمر على عمومه لجميع المسلمين.

3- إن قيل: إن الدعوة إلى الله شرطٌ لها العلم، وهذا يفيد أن الأمر على الكفاية لا على العَيْنِ، بحيث لو قام به البعض سقط الإثم على الباقين، **أجيب** بأن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ، بل هو بطبيعته يتجزأ، وعليه فإن مَنْ عَلِمَ مسألةً من الدين – وإن قلَّتْ – صار عالمًا بها، وأصبح لزامًا عليه تبليغها، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية»[1]، وقوله: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[2].

وأيضًا: يجاب بما أَشَارَ إليه المُفَسِّرُ (الْجَلَالُ) ونقله صاحب المنار ردًّا على الِاعْتِرَاضِ الوارد على الْقَوْلِ بِالْعُمُومِ وَهُوَ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَأْمُرُ وَيَنْهَى أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَالْمُنْكَرِ الَّذِي يَنْهَى عَنْهُ، وَفِي النَّاسِ جَاهِلُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْأَحْكَامَ، فقال: «لَكِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْمَفْرُوضَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ خِطَابُ التَّنْزِيلِ هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَجْهَلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالْعِلْمِ وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، عَلَى أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ يُرَادُ بِهِ مَا عَرَفَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَالْمُنْكَرُ ضِدُّهُ وَهُوَ مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَلَا يَلْزَمُ لِمَعْرِفَةِ هَذَا قِرَاءَةُ حَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ عَلَى الدُّرِّ، وَلَا فَتْحِ الْقَدِيرِ وَلَا الْمَبْسُوطِ، وَإِنَّمَا الْمُرْشِدُ إِلَيْهِ– مَعَ سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ – كِتَابُ الله وَسُنَّةُ رَسُولِهِ الْمَنْقُولَةُ بِالتَّوَاتُرِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ مَا لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ، وَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا إِلَّا بِهِ، فَالَّذِينَ مَنَعُوا عُمُومَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ جَاهِلًا لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَا

(1) أخرجه البخاري: ك: أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، ب: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها، حديث: 3274.

(2) أخرجه البخاري، كِتَاب الْعِلْمِ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ: حديث: 67، ومسلم، كتاب الْإِيمَانِ، باب: حجة الوداع.

يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ دِينًا». [1]

ونستخلص من هذا أن الدعوة إلى الله تعالى فرضٌ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ بالقَدْرِ الذي يعلمه كل فرد، وأهل العلم يتميزون في هذا المجال لا بأصل التكليف، وإنما بما يُحْتَاجُ في فهمه من مسائل الدين إلى فقه ومعرفة وإلمام بالأحكام وغيرها.

ب-يستدل أيضًا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٥٩ – ١٦٠، وبقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩

ففي الآيات تهديدٌ ووعيدٌ لمن تمكَّن من معرفة أي شيء من الحق، ثم اتصف بالسكوت حيال ما يراه من منكر يشيع أو معروف يضيع، وأن المخرج الوحيد للمرء من استحقاق اللعن أن يبادر بالتوبة والإصلاح، والجهر والبيان لكلمة الحق، والدعوة إلى ما فيه مرضاة الله رب العالمين، دون اعتماد على أن غيرنا سيقوم بهذا الواجب عنا، وهذا كله مما يفيد الوجوب.

- **ومن أدلة السُّنَّة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى – إضافة إلى ما سبق –ما يلي:**

أ – قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده..» الحديث، وقد مر بنا قريبًا.

ووجه الدلالة على وجوب الدعوة من هذا الحديث أن لفظة (مَنْ) من ألفاظ العموم، ويشمل هذا اللفظ كل مسلم ومسلمة، إذ في إمكان أي أحدٍ أن يواجه المنكر بإحدى الوسائل المشار إليها في الحديث، فإذا لم يتحرك المسلم ليغير ما يراه من

(1) تفسير القرآن الحكيم، مرجع سابق، 4/ 23

منكر-ولو بالقلب [1] -فقد لزمه الإثم، وانتفت عنه صفة المؤمن الكامل.

وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث عند الإمام مسلم: «فَمَنْ جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك مِنَ الإيمان حبة خردل» [2].

ب-يضاف إلى ذلك ما سبق ذكره من دعوة النبي ﷺ أصحابه إلى تبليغ دعوة الله إلى من سواهم، وجاءت دعوته تلك في حجة الوداع، حيث اجتمعت الألوف بين يديه، بدأ خطابه بقوله: «أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدرى، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا...» إلى آخر الحديث.

فكان فيما قال ﷺ: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب»، ونظير ذلك قوله: «بلغوا عنى ولو آية» والأمر يقتضي الوجوب، وعدم تحديد فئة معينة بهذا الأمر يقتضي العموم.

★★ نستخلص مما سبق أن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضٌ حتمٌ لازم على كل مسلم، وهو ما يدل عليه ظاهر النصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما يدل عليه عمل النبي ﷺ وصحبه الكرام والأجيال الصالحة التي تَلَتْهُم، وهو ما أمرت به الآية الكريمة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف:١٠٨

فَمَنْ أهمل القيام بهذا الواجب، وتعمَّد تركَ هذه الفريضة فقد فاته شرف الانتساب إلى سبيل النبي ﷺ والذي لا يُنَال إلا بالدعوة إلى الله على بصيرة، كما هو صريح الآية.

---

(1) ليس الإنكار بالقلب كما يتخيل البعض عملاً سلبيًا يحمل الشخص على عدم الرضا مع مشاركته للعاصين، وإلا ما رتب عليه النبي ﷺ إمكانية التغيير به في الفعل، بل هو قيمة إيجابية تتمثل في مقاطعة العصاة ومجالسهم، وإعلان عدم الرضا بصورة عملية، ولو أن كل شخص فعل ذلك مع العصاة لفضحت مسالكهم، وحملهم ذلك على تغيير تصرفهم حتى لا يفقدوا أبناء المجتمع كله إذا وجدوا أن الجميع قاطعهم.

(2) صحيح مسلم، ك: كِتَاب الْإِيمَانِ، ب: من رأى منكم منكرا فليغيره، حديث: 50.

وإذا كانت الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سِمَةً عامَّةً من سمات الأمة بموجب قوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... الآية ﴾ آل عمران: ١١٠. فإن الدعوة تكون واجبة على جميع من ينتسب إليها.

ورغم وضوح الأدلة وتواردها على وجوب الدعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة، إلا أن البعض قد يتشبث ببعض الشبهات التي يدعمها بالأدلة للتنصل من هذه المسئولية، وإلقاء التبعة فيها على غيره.

★★ وفيما يلي نعرض أهم هذه الشُّبَه، ونبين وجه الحق فيها:

الشبهة الأولى:

القول بأن (مِنْ) فى قول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٤ للتبعيض وليست للبيان، وهو ما يفيد وجوب الدعوة على البعض لا على الكل، وقد رددنا على هذا الكلام فيما سبق بما يغني عن إعادته..

قال الطاهر بن عاشور: «وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ بِالضَّمِيرِ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَعًا لِكَوْنِ الْمُخَاطَبِ بِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِيَّاهُمْ أَيْضًا، كَانَتْ (مِنْ) لِلتَّبْعِيضِ لَا مَحَالَةَ، وَكَانَ الْمُرَادُ بِالْأُمَّةِ الطَّائِفَةَ، إِذْ لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ مَأْمُورِينَ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، بَلْ يَكُونُ الْوَاجِبُ عَلَى الْكِفَايَةِ... وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْمَأْمُورُ جَمَاعَةً غَيْرَ مُعَيَّنَةٍ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ حُصُولُ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي فُرِضَ عَلَى الْأُمَّةِ وُقُوعُهُ. **عَلَى أَنَّ هَذَا الِاعْتِبَارَ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ (مِنْ) بَيَانِيَّةً بِمَعْنَى أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْأُمَّةَ** »[1] ***فالواضح حتى على فرضية القول بالتبعيض أن الفرضية العامة هي المرجح لدى أكثر العلماء بدلالة عموم الخطاب.***

(1) التحرير والتنوير، مرجع سابق، 4/ 39

الشبهة الثانية:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ المائدة: ١٠٥ ، حيث توهَّم البعض أن الآية تعفيه من مسئولية الدعوة إلى الله طالما كان صالحًا فى نفسه، مستقيمًا مع خالقه.

ويكفينا للرد على هذا التَّوَهُّمِ ما ورد عن سيدنا أبى بكر ﷺ أنه خطب الناس يومًا وقال: «يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب»[1].

وعلى ذلك فإن الآية الكريمة إنما تتحدث عن أناس أدوا دورهم، وقاموا بواجبهم في الأمر والنهى، لكن لم يُسمَع لهم، ولم يُلْتَفَتْ إلى نصيحتهم، فأخبرهم الله بأنهم لا حرج عليهم، ولا ذنب لهم.

وهذا الفهم يستقيم مع قول الله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾، فالشرط هو الاهتداء، ولا يكون ذلك إلا بأداء المرء ما فرض عليه من الواجبات، وعلى رأسها الدعوة إلى الله تعالى، ومن هنا فإن العبد لا يكون مهتديًا حقًا إلا إذا قام بواجب الدعوة.

الشبهة الثالثة:

قد يتعلل البعض لترك الدعوة بأن الشر قد انتشر، وبأن الباطل قد تمكن، ولم تَعُدْ تجدى محاولات الإصلاح، فالأمور في نظره تمضي من سيئ إلى أسوأ، وبناءً على هذا فإنه يصلح من أمر نفسه، ولا يكلف نفسه دعوة الآخرين.

ويجاب عن هذا بأن قيام المسلم بدعوة الآخرين إلى الله أمرٌ تعبديٌ في ذاته، يفعله المسلم طلبًا لمرضاة الله تعالى دون نظر إلى استجابة الناس له أو عدم استجابتهم، فأمر الاستجابة مرده

(1) رواه أحمد وأصحاب السنن.

إلى توفيق الله تعالى للداعي.

يقول الإمام النووي: «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكونه لا يغير في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فإن الذي عليه الأمر والنهى لا القبول.» (1)

ويؤيد ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥. والآيات صريحة في أن شيوع المنكر واستحقاق فاعليه للعذاب لا يبرر ترك الدعوة، فإن احتمال قبولهم للدعوة واردٌ، وعلى فرض أنه لم يحدث فإن في قيام المرء بالدعوة إلى الله ما يعذره بين يدي خالقه، حتى لا يتهم بالتقصير بين يدي الله ﷻ.

الشبهة الرابعة:

يقول البعض: إن واجب الدعوة كبيرٌ، وإنه فوق طاقتي، والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦.

ونقول لهذا: إن الذي كلفك بالدعوة هو الله، والذي لا يكلف نفسًا إلا وسعها هو الله، «وما دام ربك قد كلّفك فاعلم أنه في وُسْعك، وحين يعلم منك ربك عدم القدرة يُخفِّف عنك التكليف دون أنْ تطلب أنت ذلك»(2)، ثم إن الدعوة درجاتٌ ومراتبٌ، وكل فرد يتحمل من مسئوليتها حسب نصيبه من العلم، ووفق المكانة التي يتبوأها، لكن أصل التكليف مشتركٌ بين الجميع.

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ط:2، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1392هـ) 2/ 22.

(2) تفسير الشعراوي. محمد متولي الشعراوي (ط:1، مطابع أخبار اليوم، 1997م) 16/ 10070

الشبهة الخامسة:

يقول البعض: إن طريق الدعوة صعبٌ، وفيه ابتلاءٌ وأنا لا أستطيع.

نقول له: إن استحضار ثواب الدعوة يجعلك تستسهل الجهد، وإن الابتلاء إذا كان مقدرًا فلن يمنعَه قعودك، وإن لم يحدث البلاء وأنت في طريق الدعوة سيحدث لك وأنت في طريق الدنيا، بالإضافة إلى أن الإنسان يبذل جهدًا خارقًا لطلب المكانة في الدنيا، فلماذا يأتي إلى طريق الجنة ويؤثر الراحة والدعة والنوم؟!

الشبهة السادسة:

يقول البعض: إن الدعوة واجبة على العلماء فقط، وأنا لست منهم.

نقول له: إن رسول الله ﷺ يقول: «بلغوا عني **ولو آية**»، وإن كل واحد يعتبر عالمًا في أي حكم يعرفه، وذلك لأن العلم لا حدود له، فمن عرف مسألة فهو عالم فيها ووجب أن يبلغها للناس.

وإذا نظرنا إلى الواقع نرى أننا عرفنا وسمعنا آيات وأحاديث ومسائل لا حصر لها، ويستلزم الأمر القيام بتبليغها ونشرها حتى تبقى، وإلا نسيناها وسَأَلَنا الله عنها يوم القيامة.

الشبهة السابعة:

يقول البعض: إن لي ذنوبًا ومعاصي، فكيف أقوم بالدعوة وأنا مقصرٌ وعاصٍ، وقد نهى الله عن ذلك فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢ - ٣؟، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

نقول له: ودَّ الشيطان لو ظفر بمثلك، وأيُّنا يفعل كل ما يقول؟!

ولعل عمل الإنسان بالدعوة يجعله يستحيي من الله تعالى فيقلع عن الذنب أو

المعصية فيكون قد أصلح نفسه ودعا غيره، ثم إن العقاب في الآيات والأحاديث خاصٌ بمن كان هذا ديدنه وطبيعته الغالبة، أما من وقع في ذنب مرة أو معصية مرة، وخالف قوله فعله فلا ينطبق عليه الوعيد.

ثم إن الإنسان عليه حيال الأمر واجبان: واجب التنفيذ وواجب الدعوة إليه، ولا يسقط أحدهما بسقوط الآخر، فمن فعل منكرًا لا يسقط عنه وجوب النهي عنه، والله تعالى أعلم.

كيف نجمع بين القولين في حكم تبليغ الدعوة؟

القول بحكم الوجوب في عملية التبليغ لدعوة الإسلام إلى جميع بني آدم متفقٌ عليه بين الفريقين؛ غير أنَّ الاختلاف يكمن بينهما في القول بالوجوب العيني، أو الوجوب الكفائي. فالذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع مَنْ قالوا بالوجوب العيْني في أنه إذا لم تحصل الكفاية؛ لم يسقط الحكم عن الباقين.

والذين قالوا بالوجوب العيني، قيَّدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن لم يكن عالمًا بحكم المنكر، أو بدرجات تغييره، لا يُعَدُّ مستطيعًا بالاتفاق. ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بَقِيَ حكم الندب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣

والواقع أنَّ تحقيق حدِّ الكفاية في تبليغ الدعوة أمرٌ مستحيل؛ لأنَّ للدعوة الإسلامية مجالين أساسيْن هما: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ودعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام على مختلف درجاتهم فيه. وكلٌّ من المجالين متجدد، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه، ولا يمكن تصور الكفاية فيهما إلا على نطاقٍ مُحَدَّدٍ ونادرٍ؛ ولذا كانت النصيحة في أمور الدين والدنيا معًا مطلوبةً مِنْ كل مَنْ يقدرُ على إسدائِها للمسلمين. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ

وَعَامَّتِهِمْ»[1].

كما كان التواصي بالحق، والصبر عليه سببًا في النجاة من الخسران المبين في الآخرة. ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ العصر: ١ -٣.

والواقع أن الدعوة إلى الله تعالى تتفاوت، فمنها ما هو بَيِّنٌ يقوم به كل مسلمٍ، ومنها ما يحتاج إلى علمٍ فيقوم به أهله، وهذا هو المُسمَّى بفرض الكفاية، وتتعيَّن الطائفة التي تقوم بها بتوفر شروط القيام بمثل ذلك الفعل فيها، كالعلم بأمور الدين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك تعيُّنِ العدد الذي يكفي للقيام بذلك.

مصادر الدعوة

في صدر حديثنا عن مدلول أصول الدعوة أشرنا إلى أن هناك من أطلق الأصول على مصادر الدعوة: وهو جميع ما تستند إليه الدعوة، أو تسترشد به، وهناك من أطلقها على أركان العملية الدعوية من حيث **موضوعها وأدلتها، والداعي، والمدعو، ووسائل الدعوة وأساليبها**، وقلنا: إن الإطلاق الثاني هو الراجح لدى كثير من العلماء المتخصصين وهو ما سنخصص فصل (أصول الدعوة) لبيانها. لكن إتماما للفائدة رأينا أن نخصص هذا الجزء من التمهيد للحديث عن مصادر الدعوة. لتتكون لدى الدارس أرضية واعية بالمصادر التي تقوم عليها العملية الدعوية والتي ينبغي على الدعاة الإلمام بها ومعرفة خصائصها وسبل الإفادة منها.

وهذه المصادر ستة تتمثل في: القرآن الكريم ـ السنة النبوية ـ السيرة النبوية ـ سيرة الخلفاء الراشدين ـ سيرة السلف الصالح ـ وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر، أي: التجارب العملية الصادرة عنهم في العمل الدعوي في ضوء تلك

(1) صحيح مسلم. كِتَاب: الإِيمَانِ. بَاب: بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ حديث رقم: 85.

الأحكام الشرعية والعلوم الإسلامية والمعارف الإنسانية. وسنتحدث عن كل مصدر بإيجاز.

المصدر الأول: القرآن الكريم

تعريف القرآن الكريم: (هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ، بلسانٍ عربي مبين، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا نقلًا متواترًا، المتعبد بتلاوته، المعجز في لفظه ومعناه، المتحدي بأقصر سورة منه، والمبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس).

مزايا القرآن الكريم

من مزايا القرآن الكريم: الربانية.. الكمال.. الوضوح والإبانة.. الشمول؛ حيث احتوى على شريعة عامة للبشر فيها كل ما يسعدهم في الدارين.. التوازن والانسجام.. القابلية للتطبيق.. تكفل الله بحفظه الإعجاز بأنواعه الثبوت القطعي.. جاء مؤيدًا ومصدقًا لكل الكتب السابقة عليه، ومهيمنًا عليها القرآن الكريم.

ليس كتابًا في التاريخ، وإن احتوى على معلومات تاريخية. وليس كتابًا في العلوم الكونية والطبيعية، وإن احتوى على معلومات متصلة بهذه العلوم. وليس كتابًا في العلوم الإنسانية المعروفة، وإن كان يزخر بالكثير من المعلومات والأسس والمبادئ التي تتعرض لها هذه العلوم. وليس كتابًا في القانون، وإن كان هو المرجع الأول والرئيس لكل القوانين والشرائع الإسلامية، إنما القرآن كتاب هداية.

لقد كان القرآن ـ وما يزال ـ منارًا للدعوة وحصنًا للدعاة، ومنزلته في الدعوة إلى الله تعالى معلومة لكل مسلم يطالعه ويتدبر آياته. ولَمَّا كانت الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم لها مساحة زمانية لا تُحَدُّ، ومساحة مكانية تستوعب التجمعات البشرية حيثما وُجدت فقد اتجه الدعاة منذ عصر الصحابة ـ إلى يومنا الحاضر ـ فاتحين للبلاد باسم الله، محررين لأهلها من ذُلِّ العبودية والطغيان، كان معهم القرآن يعلمونه للناس، ويحفظونهم

ما تيسَّر منه، كما كان حال النبي ﷺ عندما أرسل دعاته إلى يثرب، وغيرها من البلاد. وكان في الأقاليم غير العربية تُحْفَظُ آياته وتُعَلَّمُ أحكامه للدعاية الدينية أولًا، ولنشر اللغة العربية ثانيًا؛ فيمكن تدوين الدواوين بها.

أمَّا الدِّعاية الدينية فلأن الواجب على كل مسلم ومسلمة ـ مُكَلَّفَيْنِ ـ أن يحفظا قدْرًا من القرآن تُؤَدَّى به الصلاة، وهي عمود كل دين. وفوق ذلك فإنَّ القرآن سِجِلٌّ للأحكام الإسلامية، وهو المرجع لها، فلا يمكن الاستغناء عن تعاليمه، وتَعَلُّمه وحفظه.

والقرآن بذاته كان ـ وما يزال ـ دعوة الإسلام الكبرى؛ لأنه بما اشتمل عليه من أخبار، وما فيه من شرائع وأحكام وعلوم إنسانية، وتوجيه للكون ودراسته، بكل ذلك ـ وهو بعض ما اشتمل عليه من هَدْيٍ وتوجيهٍ ـ دَاعيًا للإيمان بالله ورسله، كان كافيًا للدعوة إذا أُحْسِنَ بيانُه.

عرف أصحاب النبي ﷺ أنَّ خير النماذج للداعية الإسلامي هي ما قصَّه القرآن الكريم من قصص الدعوة والتبشير والإنذار، وما صوَّره من نماذج عمليَّة نفسية كانت أو اجتماعية أو أدبية، وما ذكره من حوار الأنبياء السابقين مع أممهم ومواجهتهم والرد عليهم، وكيف عرضوا دعوتهم على أقوامهم، وما الأسلوب البليغ الذي اتبعوه في ذلك، وكذلك دعوة المُصلحين من غير المرسلين كمؤمن آل فرعون، وصاحب موسى ـ عليه السلام ـ والمرسلون من أتباع نبي الله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وهدد سليمان، ودعاة الجن، وكلها نماذج مؤثِّرة في القلوب، ساحرة للنفوس. وكل هذه الأمور دعائم لا تقوم الدعوة إلا بها، ولا يمكن للداعية الاستغناء عنها في جميع أحواله.

كما أن القرآن كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ الشورى: ٥٢ - ٥٣

إنَّ الأحكام والشريعة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال بالنسبة للمسلم، لكن القضية الأهم هي قضية الطابع الغالب، وقضية الغاية التي يدور حولها القرآن وهي الهداية؛ ولأنَّ الهداية أساس الإيمان، والدعوة هي الأساس لنقل هذا الإيمان إلى القلوب لتعتنقه وتؤمن به، وتسير على هدْيِه.

والمطالع لبعض آيات الدعوة في القرآن الكريم يرى الإيجاز والإعجاز فيها سعةً وعُمْقًا، مع عدم تعرُّضه لأحكام تفصيلية في موضوع الدعوة عمومًا، غير أنه أحاطها بسياجٍ واسعٍ وذلك واضح في قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥

فهذه الآية توضح للدعاة إلى الله مدى أبعاد الإطلاق التي جاء فيها فقوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) لم يُحدِّدْ ولم يُعَيِّنْ شيئًا مما يدعو إليه الدعاة، فأطلقت لهم أمر الدعوة في موضوعها ـ ما دامت إلى الحق والخير ـ حيث يدعون الناس ـ عموم الناس ـ إلى الإيمان بالله وحده وإلى العقيدة الصحيحة، يحثون على الصلاة، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، وإلى الفضيلة والشعور بالكرامة الإنسانية... الخ.

كما أنَّ قوله: (ادْعُ) لا يختص بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ والنصيحة، فالدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها، وهذه الأساليب كلها.

وقوله: (سَبِيلِ رَبِّكَ) يشمل كل شيء، إذْ يحوي آفاق الأديان السماوية الصحيحة، وآفاق الحاجات البشرية، والحياة الإنسانية. ومن ثمَّ كان القرآن بحق هو مصدر الدعوة، ومرجع الدعاة الأول بما اشتمل عليه من قضايا الدعوة إلى الله. [1]

(1) الدعوة إلى الإسلام. محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي – القاهرة، 1992م) ص41ـ43 بتصرف.

المصدر الثاني: السنة النبويَّة

السُّنَّةُ في اللغة تعني: الطريقة، ويقصد بسنته ﷺ طريقته التي كان يتحرَّاها في حياته. وهي كلُّ ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير غير القرآن ـ وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله، وسنة نبيه»[1] رواه الحاكم.

مكانة السُنّة من القرآن الكريم.

تأتي السنّة موافقة للقرآن الكريم، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن القتل العمد. وتأتي السنة مُبيِّنةٌ لما جاء مُجْملًا في القرآن الكريم، ومُفَصِّلةً له (مذكرة تفصيلية).

كما أنَّ السُّنَّةَ النبويةَ قد تأتي بأحكام تشريعية لم تَرِدْ في القرآن الكريم، وذلك مثل: تحريم لِبْسِ الذهب والحرير على الرجال من دون النساء، وتحريم الجمع بين البنت وعمتها، أو المرأة وخالتها في الزواج من رجل واحدٍ.

لقد جسَّد النبي ﷺ منظومة الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم في تعامله مع كل أنواع الوجود من حوله. كما طبَّق أحكامه على نفسه، والمجتمع المسلم الذي كوَّنه، وبناه طِيلة الثلاث والعشرين سنة. وقد بيَّنت السُّنَّة من خلال البيان النبوي كيفية التعامل الصحيح مع الوجود (خالقًا ومخلوقات).

خصائص السُنّة النّبوية

أنها نوع من الوحي.. اتصال السند.. الحفظ من الضياع.. العصمة من الخطأ في التشريع.

والسنة النبوية مجال خصب للدعاة في استشهادهم بنصوصها ووقائعها، واستلهام المناهج الدعوية المناسبة لبيئة المدعوين، والوسائل والأساليب الدعوية الملائمة لهم.

---

(1) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب للألباني، رقم: 40)

المصدر الثالث: السيرة النبوية.

السيرةُ تعني: الطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. والسيرة النبوية هي: تاريخ حياة النبي ﷺ وبيان طريقته فيها. وسيرته ﷺ هي التطبيق العملي للكتاب والسنة.

يجب على العاملين في حقل الدعوة فَهْمَ سيرته ﷺ فهمًا صحيحًا؛ نظرًا لاختلافها من موطن لآخر؛ فقد تكون بعض أعماله تشريعية مُوحَى بها، وبعضها بصفته قاضيًا يفصل بين المتنازعَيْنِ، وثالثة بصفته قائدًا وإمامًا، ولكل نوع من هذه التصرفات دلالته وأحكامه. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١

خصائص السيرة النبوية

- **الشمول** (سجَّلت وبينت كل صغيرة وكبيرة في حياته ﷺ).
- **الحفظ** (هيَّأ الله لسيرة نبيه ﷺ الصحابة الكرام، ومن جاء بعدهم فَرَوَوْهَا وسجلوها؛ لأن في حفظها حفظ للقرآن والسنَّة.)
- **العمليَّة** (صلاحية السيرة النبوية للتطبيق في كل عصر، وفي كل جانب من جوانب الحياة.).
- إمكانية الاقتداء به ﷺ في كل شيء (زوجٌ أبٌ مُرَبِّي معلمٌ قائدٌ إمامٌ داعيةٌ شابٌ صالحٌ... الخ.)

المصدر الرابع: سيرة الخلفاء الأربعة

(أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم) وقد وُصِفت خلافتهم بخلافة النُّبوة، وهم أفضل أصحاب النبي ﷺ بإجماع الصحابة رضي الله عنهم. وتُعتَبَرُ سنتهم وسيرتهم امتدادًا طبيعيًا لسنَّة رسول الله ﷺ وسيرته، وتطبيقًا عمليًّا لمنهج الله

ورسوله؛ حتى لا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ وحده، وإنما تشمل خلفاءَه الراشدين من بعده كذلك. ولئلاَّ يُتَوَهَّم أنَّ إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا لا تكون إلاَّ في زمانه ﷺ وتتوقف بوفاته، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم؛ كما قامت بسنة وسيرة الرسول ﷺ.

المصدر الخامس: وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر

تُعَدُّ تجارب العلماء والدعاة، وتصرفاتهم في الوقائع الدعوية مصدرًا مُهِمًّا من مصادر الداعية؛ يعينه على فهم المصادر السابقة، واستنباط الأحكام منها؛ لأنها تطبيقات عمليَّةٌ لمنهج الله ورسوله.

تُعتبر مصدرًا تبعيًا غير معصوم، فلا يصح التغافل عنها في الدعوة، ولا يصح تنزيهها عن الأخطاء والسلبيات. والدعوة ـ بجانب كونها نصوصًا شرعية، وأحكامًا فقهية هي كذلك، أفهام بشرية، واستنباطات علمية، وموازنات دقيقة لا يحسنها إلا أهلها، وهم العلماء والدعاة العاملون في حقل الدعوة.

لا ينبغي للدعاة أن يزهدوا بوقائع علماء عصرهم، وتجارب الدعاة المعاصرين، إذِ العلماء الموثَّقون في كل عصر، هم أعلم الناسِ باحتياجات عصرهم، وبالأساليب الدعوية النافعة فيه. رُوِيَ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (العلماء قادةٌ، والمتقون سادةٌ، ومجالستهم زيادةٌ).

المصدر السادس: العلوم الإسلامية والمعارف الإنسانية

وتشمل جملة العلوم الإنسانية التي كتب فيها العلماء في كل فن من فنون العلم والمعرفة، في ميادين الحياة المختلفة، من علوم القرآن الكريم، والسنَّة النبوية المطهرة، وعلوم اللغة العربية، والعلوم اللسانية، والطب والفلك، وغير ذلك مما تتطلبه الحياة الإنسانية.

خلاصة المدخل التمهيدي

- الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء في هذا الشأن.
- لولا الدعوة إلى الله تعالى لهُدِمَتِ الأديان ومحيت الرسالات.
- الناس بحاجة إلى دعوة الإسلام لما فيها من سماحة وعدل، ولمواجهة الفساد والتحديات في كل عصر.
- لا تستقيم الحياة بعيدًا عن هداية الشرع اعتمادًا على هوى النفس والعقل الإنساني المجرد.
- كلما انحرفت البشرية وفسدت الفطرة وانتشر الفساد برزت الحاجة إلى برامج الإصلاح والهداية من خلال دعاة مخلصين وجهابذة عالمين.
- تهدف الدعوة إلى تعريف الناس بخالقهم وما يجب له، وإلى نشر الخير ودفع الفساد، وإلى دعم سبل التعارف والتآلف بين الشعوب.
- من آثار الدعوة إلى الله -تعالى-إحقاق الحق وانتشار العدل والسلام والخير، وتحقيق الصلاح والسعادة في الدارين، وإبطال ومواجهة ما سوى ذلك.
- الدارس لعلم الدعوة يزول عنه الالتباس الحاصل بين موضوع الدعوة وهو الإسلام وموضوع علم الدعوة الذي يمد الداعية بالقواعد والمبادئ والخطط والمناهج، ويبصره بالأدوات والأساليب المعينة في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.
- تدور معاني الدعوة في اللغة حول النداء والأذان والإعلام والطلب والاستمالة والحث على الفعل أو الترك.
- الدعوة اصطلاحًا لها إطلاقان: الأول الإسلام ذاته والثاني: فن نشره وتبليغه كما قال البيانوني: «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيَّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة»

- **علوم الدعوة وفنونها متعددة. فمنها:**
  - **تاريخ الدعوة:** وهو «فن يبحث فيه عن كيفية نشر الإسلام، وإقناع الناس باتباعه، ثم إثباتها بالتعيين والتوقيت لإطلاع الأمة عليها وإفادتهم منها».
  - **أصول الدعوة:** وله مدلولان: الأول «مصادر الدعوة»، والثاني «موضوع الدعوة وأدلتها، والداعي، والمدعو، ووسائل الدعوة وأساليبها»
  - **فقه الدعوة:** وهو ذلك «العلم الذي يهدف إلى استنباط، وفهم تاريخ الدعوة، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها: استنباطًا وفهمًا على ضوء الكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح، بما يُمَكِّن الدعاة من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة للمدعوين في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم، ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم»
  - **مناهج الدعوة:** وهي «نظم الدعوة وخططها المرسومة على هدي النبوة»
- تعتمد الدعوة على جملة من الوسائل والأساليب والفرق بين الوسيلة والأسلوب أن الوسيلة هي الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو؛ أما الأسلوب فهو: فن العرض والتأثير والإقناع.
- اتفق العلماء على وجوب تبليغ دعوة الإسلام، لكن اختلفوا في نوعية الوجوب، بين التعيين، والكفاية. والراجح أنه واجبٌ بحسب حال الداعي والمدعو، قال النووي: «تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة»
- تشبث بعض من يريد التنصل من مسؤولية الدعوة ببعض الشبهات ليسوغ لنفسه هذا التقاعس بدليل. لكنها حجج تتهاوى عند النقاش بالحجة والبرهان.
- مصادر الدعوة متنوعة بين النصوص المعصومة، والتراث الإسلامي، والتجارب الإنسانية. فمنها: القرآن والسنة والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والسلف الصالح وتجارب الدعاة العاملين.

أسئلة التقويم الذاتي

أولًا: أسئلة المقال:

س1: وجّه النصوص الآتية-في ضوء دراستك-موضحًا الشبه المثارة حولها، مفندًا تلك الشبه بالدليل:

(1) قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾

(2) قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾

(3) قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾

س2: عرّف بالمصطلحات الآتية:

الدعوة لغة واصطلاحًا-أصول الدعوة – مناهج الدعوة – فقه الدعوة.

س3: اكتب مقالاً لا يتجاوز مائتي كلمة عن (أهمية الدعوة إلى الله)

س4: من أسباب حاجة البشرية إلى الدعوة: واقع المسلمين المرّ وشيوع الفساد في كل مجالات الحياة... ناقش هذه العبارة، من خلال رصد بعض صور الفساد والانحراف في بلاد الإسلام، وما دور الدعوة في مواجهة ذلك.

س5: قارن بين الوسائل والأساليب الدعوية من حيث المفهوم، مع التوضيح بالمثال.

س6: تصنَّف المصادر الدعوية إلى مصادر أصلية ومصادر تبعية. اشرح هذه العبارة معدّدًا المصادر في كل صنف. ثم تناول مصدرا واحدا بالشرح في كلٍ، مبينًا خصائصه وسبل الإفادة منه دعويًّا.

س7: ما السبب في بيان موضوع علم الدعوة؟

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1- كان الأنبياء أوائل الدعاة إلى الله. ( )

2- الدعوة: صرف الناس وعقولهم عن عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم. ( )

3- الدعوة الإسلامية اصطلاحا هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة. ( )

4- الدعوة ليست مقصورة فقط على التبليغ والبيان بل لابد من التعليم والتطبيق. ( )

5- استدل القائلون بوجوب الدعوة على الكفاية بقوله ﷺ «من رأى منكم منكرًا فليغيره». ( )

6- القرآن الكريم متواترٌ ومُتَعَبَّدٌ بتلاوته ومعجزٌ في لفظه ومعناه. ( )

7- من خصائص القرآن الكريم: التوازن، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾. ( )

8- السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ هي تاريخ حياة النبي ﷺ وبيان طريقته فيها. ( )

9- علم الدعوة بحاجة إلى تأصيل موضوعاته وتحديد مصطلحاته وتصحيح تطبيقاته. ( )

10- اتفق العلماء على وجوب الدعوة. ( )

ثالثًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

ضع دائرة حول رقم الخيار المناسب في كل مما يأتي:

1 – قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فيه دلالة على صفة:

أ-العلم.

ب-العمل بالعلم.

جـ-البصيرة.

2- استدل القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها:

أ- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾

ب- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾

جـ- ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾

3- وسائل الدعوة هو موضوع يتناول:

أ-دراسة ما يستخدمه الدعاة وما يحتاجون إليه في سبيل دعوتهم.

ب-بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة.

جـ-دراسة نشأة الدعوة وتطورها.

4- أصول الدعوة موضوع يتناول

أ-دراسة نشأة الدعوة وتطورها.

ب-خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها.

جـ-أدلة الدعوة ومصادرها ودراسة أركانها.

5- الدعوة الى الله واجبة على:

أ-التعيين.

ب-الكفاية.

جـ-حسب حال الداعي والمدعو.

6- من خصائص السيرة

أ-الشمول.

ب-اتصال السند.

جـ-الثبوت القطعي.

النشـــاط التعـليمي

عزيزي الدارس:

1- طـالع تفسـير الآيتـين (104، 105) فـي أحـد كتب التفسير الآتية. ثم اكتب تقريرًا ملخصًا بأسـلوبك عمـا قـرأت لا يتجـاوز الصـفحة، متضـمنًا مـوجز الأفكـار فـي نقـاط، وبيانـات الكتاب والجزء والصفحات:
   - تفسير المنار.
   - التفسير الكبير.
   - تفسير التحرير والتنوير.

2- ارصـد مـع زميلـك آيـات الـدعوة فـي القـرآن الكـريم ثـم قـم بتصـنيف كـل آيـة وفـق دلالتهـا الموضوعية. (1)

(1) ورقة عمل رقم 1 في الملاحق.

مصادر ومراجع إثرائية

عزيزي الدراس:

للتوسع حول موضوعات هذا الفصل يمكنك الرجوع للمصادر العلمية الآتية:

- تذكرة الدعاة للبهي الخولي.
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، د. محمد الراوي.
- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني.
- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.
- الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، د. أحمد أحمد غلوش.

الفصل الأول

تاريخ الدعوة إلى الله تعالى ومراحلها الزمنية

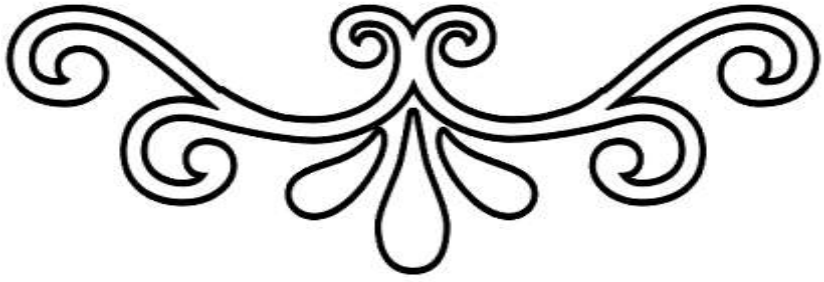

خارطة الفصل الأول: تاريخ الدعوة

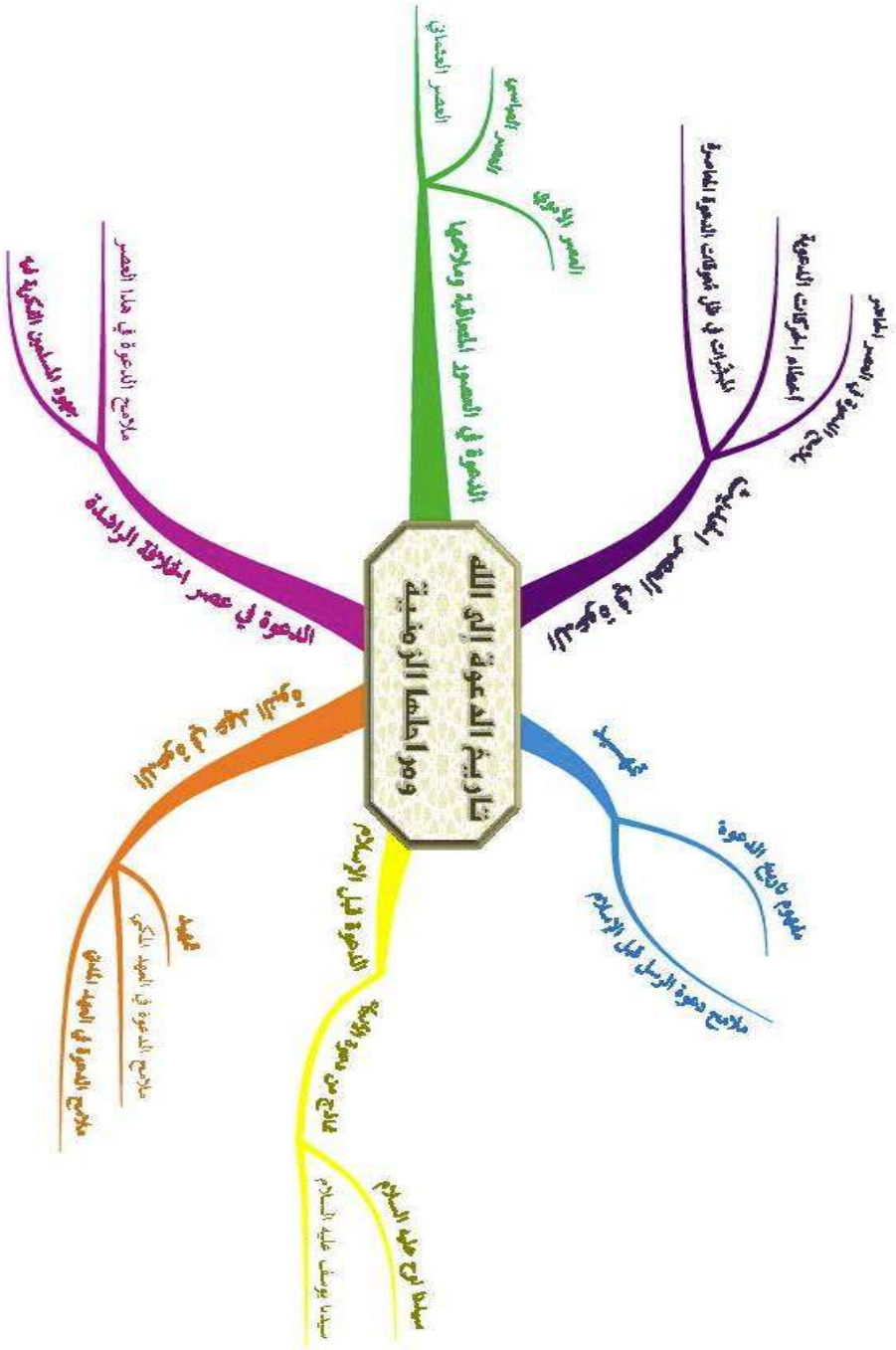

محتويات الفصـــل الأول

1- التعريف بتاريخ الدعوة، وأهميته

2- الدعوةُ قبلَ الرسالةِ الخاتِمةِ – نماذج من دعوة الرسل والأنبياء:

- (دعوة نبي الله نوح عليه السلام)
- (دعوة نبي الله يوسف عليه السلام)

3- الدعوة في عهد النبوة (العهدين: المكي والمدني) وأهم ملامحها

4- الدعوة في عصر الخلافة الراشدة وأهم ملامحها

5- الدعوة في العصور المتعاقبة (الأموي-العباسي-العثماني) وأهم ملامحها

6- الدعوة في العصر الحديث وأهم ملامحها

أهمية دراسة الفصل الأول:

معرفة تاريخ الدعوة إلى الله –تعالى–وتوحيده، متى بدأت؟ ومَنْ أوَّلُ رسولٍ بُعث برسالة سماوية إلى قومه؟ ومعرفة منهج الرسل –عليهم السلام–في دعوتهم أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من ضلال وفساد؛ وذلك للاقتداء بهم في طريق الدعوة إلى الله ﷻ مع القدرة على التمييز بين مناهج هذه الدعوات، وبيان خصائص كل منها، وربطها بالواقع المعيش، وهي: (دعوة نبي الله نوح عليه السلام – دعوة نبي الله يوسف عليه السلام - دعوة النبي محمد ﷺ – الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين–الدعوة في عهد بني أميَّة، وبني العباس–الدعوة في العهد العثماني، ثم الدعوة في العصر الحديث)

الأهداف التعليمية:

يُرجى منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذا الموضوع:

1ـ أن تتعرف حاجة الدعاة اليوم إلى معرفة دعوة الرسل–عليهم السلام– للاقتداء بهم في دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته.

2ـ أن تدرك أهمية دعوة النبي محمد ﷺ لأمته ومنزلتها بين دعوات الرسل السابقين.

3 ـ أن تتبين ملامح الدعوة إلى الله على مرِّ العصور.

4– أن تمارس الدعوة عمليًّا بوعيٍ وإدراكٍ في المجتمع الذي تعيش فيه.

بين يدي الفصل:

يتناول هذا الفصل تاريخ دعوة الرسل-عليهم السلام-لأقوامهم إلى توحيد الله وعبادته، ومحاربة الشرك، وأنواع الرذائل الأخلاقية التي فشت فيهم، وانتشرت في أوساطهم. ويبين الملامح العامة لدعوتهم، وما امتازت به مناهجهم الدعوية من مخاطبة للوجدان والكوامن النَّفْسِيَّةِ تارة، والعقل والحواسَّ تارة أخرى، مدلِّلين على ذلك بآيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق.

وقد تم اختيار دعوة نبي الله نوح-عليه السلام-لتكون نموذجًا لدعوات الرسل-عليهم السلام-قبل الرسالة الخاتمة التي بُعِثَ بها النبي محمد ﷺ وذلك باعتباره أول رسول بُعث إلى قومه برسالة سماوية. ومن ثم الوقوف على منهجه في الدعوة إلى الله -تعالى-والأساليب والوسائل الدعوية التي اتخذها سبيلًا لهداية قومه إلى الحق الذي جاءهم به.

وتناولت الدراسة في هذا الفصل دعوة النبي الخاتم ﷺ وسَيْرِ حركتها، وملامحها في عَهْدَيْهَا المكيِّ والمدنيِّ، وما امتاز به كل عهد.

كما تَتَبَّعَتِ الدراسة حركةَ الدعوة وملامِحَهَا في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة-رضي الله عنهم-، وعهد بني أمية، وبني العباس، وزمن الخلافة العثمانية، وصولًا إلى ما آلت إليه الدعوة في سَيْرِهَا وحَرَكَتِهَا خلال العصرِ الحديث.

الفصل الأول: تاريخ الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ ومراحلها الزمانية

تمهيد

يُقصَدُ بتاريخ الدعوة: بداية وجود الإيمان على ظهر هذه الأرض مع وجود الإنسان المُكَلَّفِ عليها، والصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف تَعْمَلُ سُنَنُ الله في المجتمعات من غير محاباةٍ ولا جَوْرٍ. وبيان عاقبة المؤمنين، وجزاء الصابرين الشاكرين، ونهاية الكفر والفجور، وعقوبة الكافرين.

كما يُقصَدُ به، معالم الطريق الذي سار فيه الأنبياء -عليهم السلام-في دعوتهم إلى الله تعالى، من أوَّلِهم إلى خاتمهم ﷺ ومتى عَرفت البشريةُ ربَّها، وأقرَّت بتوحيده وعظمته؟، وكيف تسلسلت الرسالاتُ السماويةُ حتَّى اخْتُتِمَتْ برسالة الإسلام الخاتمة لرسالات السماء؟ وكيف كانت جهود الأنبياء المبذولة في حِراسة الإيمان بالله، والأخذ بحُجَزَاتِ[1] الناسِ عن النار.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا. هَذِهِ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ، وَلِمُسْلِمٍ نَحْوَهَا، وَقَالَ فِي آخِرِهَا: قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ: هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ! فتَغْلِبُونِي. تَقَحَّمُونَ فِيهَا. »[2]

وفي رواية جابر عند مسلم: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ

---

(1) الحُجَزة، والحُجْزُ، والحُجُز: موضع شَدِّ الإزار من الوسط، أو مكان التَّكة من السراويل. وأخذ بحجزه: استعان به، والتجأ إليه. معجم المعاني الجامع على الرابط: http://www.almaany.com/ar/dict/

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. علي بن سلطان القاري (دار الفكر. 1422هـ - 2002م) كتاب الإيمان. باب الاعتصام بالكتاب والسنة. حديث رقم: 149.

النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي»[1].

لقد بدأت البشرية حياتها على التوحيد المطلَق، والتنزيه الكامل لله رب العالمين، فقد كان آدم -أبو البشر -نبيًّا موحِّدًا على أنقى صور التوحيد لخالقه سبحانه، فالتوحيد هو أصل الفِطْرة البشرية، به بدأت، وعليه نشأت. والشرك والانحراف عن هذا الأصل أمرٌ طارئ عليها. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢

وقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠

وفي الحديث الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ" ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾... الْآيَة.[2]

وبناءً على ما سبق ذكره، فإنَّ توحيد الله ومعرفته عقيدةً، وإسلام الوجه له دينًا، كان الأساس الأول للتَّدَيُّنِ الذي عرفته البشرية في الأرض، وبدأ به عهدها.

تحديد بَدْءِ تاريخ الدعوة إلى الله تعالى

من العلماء من يُرجِعُ تاريخ بَدْء الدعوة إلى بعثة الأنبياء والرسل-عليهم السلام-حسب المعنى العام لمفهوم الدعوة الإسلامية، حيث جاء الرسل جميعًا

(1) صحيح مسلم. كتابُ الْفَضَائِلِ. بَاب شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رقم الحديث: 4243.

(2) صحيح مسلم. كتاب القدر. بَاب مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ. حديث رقم: 2658.

بالإسلام الذي يعني: الإذعان والقبول والانقياد والخضوع والاستسلام والطاعة لما أمر الله به، والبعد عما نهى عنه.

وحيث تُطلق كلمة الدعوة إلى الله -تعالى-من غير قَيْدٍ، فإنَّ تاريخها يشمل دعوة الرسل -عليهم السلام-من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ.

وحيث تُقَيَّدُ الدعوة الإسلامية بِزَمَنٍ ــ لا سيَّما منذ زمن النبي ﷺ إلى يوم الناس هذا ــ فإن تاريخها يبدأ من بعثة النبي الخاتم ﷺ.

ومن العلماء من يؤرخ لتاريخ الدعوة منذ زمن نبي الله نوحٍ عليه السلام؛ لأنه أولُ رسولٍ صاحبُ رسالَةٍ تحدَّث عنه القرآن الكريم، ووردت في مُجْمَلِ سُوَرِهِ سُورَةٌ سُمِّيَتْ باسمه، ذُكر فيها منهجه في دعوته لقومة إلى الله-تعالى-بشيء من التفصيل.

أمَّا آدم-عليه السلام-فالراجح أنه نبيٌّ؛ لأن الله أوْحَى إليه عن طريق الإلهام وخاطبه، كما جاء بذلك صريح آيِ الذِّكْرِ الحكيم. لكنه لم يُرْسَلْ لأحدٍ من البشر قبلَه، وإنما أُنزل إلى الأرض؛ لتبدأ قصةُ حياةِ الإنسانِ المُكَلَّفِ، واستخلافه فيها.

ونظرًا لأوجه التشابه والترابط في الحركة الدعوية وملامحها ونتائجها على مدى العصور والأزمان؛ كان من الصواب تقسيم تاريخ الدعوة إلى خمسة عهود، وذلك كما يلي:

- الدعوة قبل الإسلام (دعوة الأنبياء والرسل قبل زمن النبي الخاتم ﷺ).
- الدعوة في عهد النبي ﷺ.
- الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين.
- الدعوة في عهد الأمويين والعباسيين والعثمانيين.
- الدعوة في العصر الحديث.

الملامح العامة لدعوة الرسل إلى الله -تعالى- قبل الإسلام

يمكن تلخيص الملامح العامة لدعوة الرسل -عليهم السلام- قبل مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ من خلال الآتي:

- دعوة جميع الأنبياء والرسل إلى توحيد الله -عزَّ وجلَّ- ومحاربة الشرك والكُفْر، والأمر بالطاعات، والنهي عن المحرمات. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥
- كانت جميع الرسالات السابقة على رسالة الإسلام محليَّة، وإقليمية، فكان كل رسولٍ قَبْلَهُ ﷺ يُبْعَثُ إلى قومه خاصةً، وكانت رسالاتهم تعالج حاجات مجتمعاتهم، وتُلَبّي متطلباتهم. وهذا بخلاف الرسالة الخاتمة فهي رسالة عالمية شاملة للزمان والمكان إلى قيام الساعة. وقد أخبر المعصوم ﷺ عن ذلك فيما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأنبياءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بالرعب مَسِيرَةَ شهرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مسجدا وطَهُورَا، وأيُّمَا رجل مِنْ أُمَّتِي أدركَتْهُ الصلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لِيَ الغَنائم، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلَى قومِهِ خاصَّة وبُعِثْتُ إلَى الناسِ كَافَّة، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ»[1]
- جَرَتْ سُنَّةُ الله في الأمم السابقة بنجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين، واستئصال شأفتهم؛ بسبب إصرارهم على عنادهم وكفرهم. قال الله تعالى موضحًا ذلك: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

(1) صحيح البخاري. كتاب الصلاة. أبواب استقبال القبلة. باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٣٣ - ٤٠

- ويستثنى من ذلك أمة الإسلام أصحاب الرسالة الخاتمة، كما أخبر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٣
- كما جَرَتْ سُنَّةُ الله في كونه أن يُؤَيِّدَ رُسُلَهُ الكرامَ بخوارقِ العادات-المعجزات- ليؤمن مَنْ يؤمِنَ، وتُقامُ الحُجَّةُ على مَنْ أعرض واستكبر.
- تنوع أسلوب القرآن الكريم في عرض الرسالات السابقة، وسِيَرِ دعوة الأنبياء والرسل مع أقوامهم، من تفصيلٍ وإجمالٍ، وتكرارٍ لبعض المواقف، وتركيزٍ على بعض خصائص الرسل، وأساليبهم الدعوية، والوسائل المستخدمة في بعض هذه الدعوات.
- كان قبول دعوة الرسل ـ في الأمم السابقة ـ مُتَأَرْجِحًا بين الصعود والهبوط، فلم تكن استجابة مطلقةً، أو إعراضًا دائمًا، وذلك من حِكَمِ الله في خلْقِهِ؛ ليدوم الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، ويستمر البلاء في الحياة للدعاة والمدعوين.

المبحث الأول: الدعوة قبل الإسلام
(نماذج من دعوات الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ)

يبدأ تاريخ الدعوة قبل الإسلام بدعوة نبي الله نوح (عليه السلام)، وذلك باعتباره أوَّلَ رسولٍ صاحب دعوة تحدث عنه القرآن الكريم، وبيَّن منهجه في دعوته لقومه إلى الله تعالى، وينتهي برسالة عيسى بن مريم عليهما السلام.

وتأتي جملةٌ غير قليلة من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ما بين نوحٍ، وعيسى بن مريم، جاءوا أقوامهم برسالات السماء التي بُعِثوا بها ليقيموا الناسَ على ملَّةِ التوحيد ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ الأعراف: ٥٩

وفي هذه العجالة سنكتفي بذكر نموذجين من دعوات الرسل والأنبياء- عليهم السلام- من خلال الحديث عن دعوة نوح عليه السلام (بوصفه أول رسول تحدث عنه القرآن)، ودعوة نبي الله يوسف عليه السلام لتفرد ذكر قصته في سورة كاملة سميت باسمه ووسمت في القرآن بأنها أحسن القصص، مركزين على إبراز المناهج والأساليب والوسائل الدعوية عند كلٍّ..

دعوة نبي اللّه نوح عليه السلام

أولًا: نسب نبي اللّه نوح عليه السلام

هو نوح بن لامَك بن مَتُّوشَلَخَ بن أخَنوخ ـ وهو إدريس ـ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر. وكان بين نوح وآدم عشرة قرون كما جاء ذلك في حديث أبي أمامة أن رجلا قال: «يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: نعم، مُكَلَّمٌ، قال:

فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون»[1]

ونبي الله نوح عليه السلام هو أول رسول بُعِثَ إلى أهل الأرض، والشرائع والأحكام ـ مضمون رسالة الرسل عليهم السلام ـ بدأت من بعثته. أمَّا النُّبُوَّةُ فقد بدأت بآدم عليه السلام، وهذا هو الراجح من الأقوال.

وهو أول رسول مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ المذكورين في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ الأحزاب: ٧. ومن الذين أَبْلَوْا بلاءً حسنًا في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته. وقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء: ٣

ويُعَدُّ نبي الله نوح عليه السلام ـ في رأي أهل العلم ـ أبا البشرية الثاني بعد آدم –عليه السلام–حيث عمَّ الطوفان الأرض في زمانه بعد أن دعىٰ على مَن كفر من قومه قائلًا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح: ٢٦ - ٢٧

ولم ينج من البشرية حينها إلا نوح وذريته التي آمنت به، ومَنْ آمن معه من قومه فانحصرت البشرية بعدهم في ذرية نوح عليه السلام وحده، ولعل إلى ذلك الإشارة في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ الصافات: ٧٧

قال ابن كثير: فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقبًا سوى نوح عليه السلام. فكل من على وجه الأرض اليوم، من سائر أجناس بني آدم، ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث. [2]

---

(1) رواه ابن حبان في "صحيحه" (14 / 69) والحاكم (2/ 262) وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (1 / 94): هذا على شرط مسلم ولم يخرجه. وصححه الألباني بشواهده.

(2) البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (دار عالم الكتب- بيروت، 1424هـ - 2003م) 1/ 237-275 بتصرف.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ، أن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم». (1)

ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، مرفوعًا نحوه. وقال الشيخ أبو عمرو بن عبد البَرِّ. وقد روي عن عمران بن حصين، عن النبي مثله.

قال: والمراد بالروم هنا، الروم الأُوَلُ، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام.

ثم روي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وُلِدَ لِنُوحٍ ثَلاثَةٌ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، فَوَلَدُ سَامٍ لَلْعَرَبُ وَفَارِسُ وَالرُّومُ، وَالْخَيْرُ فِيهِمْ، وَوَلَدُ يَافِثَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَالتُّرْكُ وَالسَّقَالِبَة، وَلا خَيْرَ فِيهِمْ، وَوَلَدُ حَامٍ الْقِبْطُ وَالْبَرْبَرُ، وَلا خَيْرَ فِيهِمْ. (2)

ثانيًا: دعوة نبيِّ الله نوحٍ قومَه إلى الإسلام

أرسل الله نوحًا عليه السلام إلى قوم يعبدون الأوثان؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من ضلال وكفر. قال تعالى إخبارًا عنهم في سورة من

---

(1) المسند. أحمد بن حنبل، تعليق: شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة 1421هـ-2001م). 5/ 22.

(2) هذا الحديث لا يُرْوَىَ مرفوعًا إلا من هذا الوجه. وقد تفرد به محمد بن يزيد بن سنان، عن أبيه. وقد حدَّث عنه جماعة من أهل العلم. واحتملوا حديثه. ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلًا، ولم يسنده، وإنما جعله من قول سعيد. قلت: وهذا الذي ذكره أبو عمرو، وهو المحفوظ عن سعيد قوله. والحديث بهذا لا يُعْتَدُّ به في الاستدلال؛ لأن الواقع يثبت فضل الأتراك في نصرة الإسلام، وفتح الكثير من بلدان أوروبا الشرقية باسم هذا الدين. ينظر: البداية والنهاية، 1/ 115 وما بعدها، ونحوه في تفسير ابن كثير، 4/ 12.

وانظر: فوائد أبي بكر محمد بن بشر الزبيري. حديث رقم: 34. والمستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري (ط:1، دار الكتب العلمية- بيروت 1411هـ 1990م) حديث رقم (3938) 2/ 546. والمعجم الكبير. سليمان بن أحمد الطبراني: 6732/ 6733، 6872/ 6873، المسند: 5/ 20، 21.

سور القرآن سُمِّيَتْ باسمه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح: ٢٣

وقد كانت هذه أسماء رجال صالحين من قوم إدريس عليه السلام، وكان لهم رجال يقتدون بهم فلما هلكوا أوحى الشيطان أي بث إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم ـ رُفعَ وزال ـ عُبِدَتْ من دون الله.

بعث الله نوحًا عليه السلام إلى هؤلاء القوم الذين أشركوا وكفروا؛ ليدعوهم إلى الدين الحقّ وهو الإسلام والعبادة الحقّة وهي عبادة الله وحده وترك عبادة غيره، وقال لهم: كما حكاه عنه القرآن: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ٥٩، وقال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هود: ٢٦ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ نوح: ٢-٣

ودعاهم إلى الله بوسائل وأساليب متنوعة، في الليل والنهار، والسر والإجهار، وبالترغيب تارة وبالترهيب أخرى، لكن أكثرهم لم يؤمن، بل استمروا على الضلال والطغيان وعبادة الأوثان ونصبوا له ولمن ءامن به العداوة، وتوعدوهم بما يكرهون ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الأعراف: ٦٠. فأجابهم كما حكاه عنه القرآن: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٦١-٦٣

وفي هذا الرَّدِّ الهادئ من الرفق واللِّين، والشفقة، وضبط النفس وتحمل الأذى، وعدم الطيش والسَّفَهِ مع المدعوين ما يفيد الدعاة في عصرنا الحاضر في مجال دعوتهم الناس إلى الخير.

وقالوا له فيما قالوا ـ بعد أن تعجبوا أن يكون بشرٌ يُوحَىَ إليه من السماء ـ كما حكى القرآن عنهم: ﴿... مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هود: ٢٧.

وكان الرَّدُّ المتعقل ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هود: ٢٨ - ٣١

لبث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم إلى الإسلام ألف سنة إلا خمسين عامًا، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في آياته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ١٤

وكان قومه يبطشون به فيخنقونه حتى يُغشى عليه، بل وتمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة فلا يأتي قَرْنٌ إلا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونًا لا يقبلون منه شيئًا. ومن جملة ما قال لهم كما حكاه عنه القرآن: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هود: ٣٤. أي: أن الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن اليأس لم يدخل قلب نوح عليه السلام، بل أخذ يجاهد في إبلاغ الرسالة ويبسط لهم البراهين، ولم يؤمن به إلا جماعة قليلة استجابوا لدعوته وصدقوا برسالته. وظل نوح عليه السلام يؤدي واجبه في الدعوة إلى الله حتى آخر لحظة من حياته.[1]

(1) ينظر: تاريخ الدعوة. جمعة الخولي (ط:1، دار الطباعة المحمدية– القاهرة، 1404هـ– 1984م) 1/ 89– 109.

وفي الحديث: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ الله نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ» قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ الله: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: «لَا» قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا » قَالَ :الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَال:« لَا» قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»[1]

- ومعنى مُبهمة: أي متعلِّقة، كما يدل عليه سياق الحديث.
- ومعنى قَصَمَتْهُنَّ: القصْمُ يُعني: فَصْلَ الشيء وإبَانَتَهُ، والفصم بالفاء يعني: كسر الشيء من غير إبانة.
- ومعنى سَفَهُ الحق: أي جَهْلُهُ والاستخفاف به.
- ومعنى غمص الناس: احتقارهم، والاستخفاف بهم، والطعن فيهم. وغَمْطُ مثلها في المعنى.

(1) مسند أحمد. 11/ 150، حديث رقم: 6583، قال: الأرناؤوط: والحديث إسناده صحيح. وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (548). كذا صححه الشيخ الألباني في "الأدب المفرد"(548)، وفي "الصحيحة" 1/ 134.

ثالثًا: أسس الدعوة في رسالة نبي الله نوح عليه السلام

يمكن تلخيص أسس الدعوة في رسالة نبي الله نوح عليه السلام في النقاط التالية:

1. ردُّ الناس إلى عقيدة التوحيد التي انحرفوا عنها، وتعريف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له ويعبدوه حق عبادته.

والتاريخ الإنساني يذكر أن قوم نوح هم أول أمَّة في البشرية خرجت عن خط الهداية الإلهية، وشذت عن طريق التوحيد الذي تم إقراره في الأرض منذ عهد آدم عليه السلام، فاتخذت الأوثان وانحرفت عن الإسلام.

2. الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، قال الله تعالى على لسان نوح وهو يدعو قومه إلى ذلك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ٥٩

3. تقرير مبدأ الأخوة والمساواة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسود دائمًا عندما تغيب عقيدة التوحيد عن المجتمع، وذلك من اعتبار التفاضل بين الناس بما يملكون من مالٍ، أو يتقلدون من منصب أوجاهٍ. قال الله تعالى مبيِّنًا ما كان عليه قوم نوح من أَنَفَةٍ حينما رأوا أتباعه من الضعفاء والفقراء فسخروا منه قائلين: ﴿... مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ هود: ٢٧.

ويا للعجب!! فإن الفقراء والضعفاء دائمًا هم أقرب الناس استجابة لتعاليم الأنبياء من غيرهم؛ ذلك لأن فِطْرتهم لم يفسدها البَطَرُ والتَّرَفُ، ولم تعميهم مكانتهم الدنيوية عن رؤية الحقائق وتجاهلها أو الاستكبار عليها.

قال الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ في صورة نهيٍ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأنعام: ٥٢

رابعاً: منهج نبي الله نوح في دعوته لقومه إلى الله

يمكن لقارئ قصة نبي الله نوح عليه السلام من خلال آيات القرآن الكريم- خاصة سورة نوح-رؤية منهجه في دعوته لقومه إلى الله واضحًا جَلِيًّا، وذلك من خلال الآتي:

1 .التلطف والترفق ولين الكلمة، وهذا يتناسب مع المنهج العاطفي الذي يخاطب القلب. (وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله تعالى)

2. تنويعه لأساليب الدعوة، حيث لم يجمد على حالٍ واحدةٍ، ولم يلتزم طريقة بعينها. فقد ذكر القرآن ذلك في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ نوح:٥-٩. وهذا يتناسب مع المنهج العقلي الذي يخاطب العقل والفكر.

3. التكرار الدائم والعرض المستمر للدعوة في غير يأس أو عجز، وإن طال الزمن مع المدعوين، طمعًا في إيمانهم، وحتى يقيم الحُجَّةَ عليهم. وهذا ما يُسمَّى اليوم بـ(سياسة النَّفَسِ الطويل)

4. الدعوة إلى الله تعالى عن طريق لَفْتِ الأنظار إلى آيات الله في أنفسهم، وآياته المبثوثة في كونه المنظور، وما فيها من آيات القدرة ودلائل وجود الخالق سبحانه. وهذا يتناسب مع المنهج الحِسِّي الذي يخاطب حواس المدعوين، ويلفت أنظارهم إلى ما في هذا الكون من عجائب صُنع الله الذي أتقن كل شيء، وفي أنفسهم كذلك.

قال الله تعالى مُبيِّنًا ذلك: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ نوح:١٣-٢٠

5. استخدام أسلوب الترغيب بما يعود عليهم بالخير العميم إن هم آمنوا بالله، وتركوا ما هم عليه من الكفر والضلال (استخدام المنهج العاطفي مع المدعوين) ومن دلائل ذلك قول الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ نوح: ١٠ - ١٢. وهذا يتناسب مع المنهج العاطفي الذي يخاطب القلب والوجدان.

6. استخدام أسلوب الترهيب والتخويف إذا تطلب حال المدعوين ذلك. قال الله تعالى على لسان نوح: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ هود: ٣٨ - ٣٩. وهذا يتناسب مع المنهج العاطفي الذي يخاطب القلب والوجدان.

خامسًا: الدروس الدعوية المستفادة من دعوة نبي الله نوح عليه السلام

يستفيد الداعية إلى الله من دعوة نبي الله نوح عليه السلام الدروس الآتية:

1. الثقة الكاملة في الله، وبنصره، والوفاء للحق الذي كُلِّفَ به، ومواجهة الناس جميعًا باسمه سبحانه وتعالى، فلا يتهيَّب بطش سلطان، ولا يخشى بأس ذي إرهاب.

2. عدم اليأس من حال المدعوين، واستخدام سياسة النفس الطويل في الدعوة إلى الله تعالى، والصبر على المدعوين قدر الطاقة، والاستعانة بالله على أمر الدعوة إليه.

3. إقامة العلاقات مع المدعوين على أساس العقيدة وحدها أقرباء أو غير أقرباء ـ فرابطة العقيدة هي أخلد الروابط وأدومها وأنقاها وأعظمها. نرى ذلك جليًّا حينما أخذت نوحًا عاطفة الأبوة عند غرق ابنه فنادى ربه قائلًا كما حكاه القرآن

عنه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ هود: ٤٥. قال ذلك يَسْتَدِرُّ عطف مولاه في نجاة أهله ومنهم ولده، وجاءه الرد من الله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ هود: ٤٦ وهكذا ينطلق الداعية في ميدانه على هذا الأساس الذي يجعل الاتصال بالله هو العروة الوثقى بين المؤمنين.

4. تقرير مبدأ المسؤولية الفردية، وهذا واضح من خلال آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ المدثر: ٣٨ وقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ الانفطار: ١٩. وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ التحريم: ١٠ - ١٢.

وعلى الداعية تذكير مَنْ يدعوهم بذلك، وتذكير نفسه أولًا كذلك، وهو جانب مهم في حياة الدعوة والدعاة.[1]

(1) ينظر: تاريخ الدعوة. جمعة الخولي، مرجع سابق، 1/ 101-109.

دعوة نبي الله يوسف عليه السلام

نبي الله يوسف -عليه السلام- من رسل الله وأنبيائه إلى بني إسرائيل، وهو ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم -عليهم السلام- تميَّز بكرمه الواسع، وبكرم الخلق، وكرم السلوك.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألونني. الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» [1].

ويوسف كلمة عربية، يرجع أصلها إلى الحزن والأسف، وهو اسم يتناسب مع حياة يوسف -عليه السلام- المليئة بالمحن والمشاق.

وقد جاءت قصته مفصلة في سورة واحدة سميت باسمه هي سورة (يوسف) ومن خلال قراءة متأنية للسورة نلحظ أنها تنحو بالقصة منحى متفردًا، فهي تتحدث عن يوسف، ومولده، ونشأته، وحياته، وأخلاقه، وطهره واستقامته، وعفته، ونزاهته، وموقفه من إخوته، وهكذا حتى تنتهي به عزيزًا في مصر، ووالِيًا على خزائنها، ومعه قومه إلى أن يموت. في مشهد كامل متسلسل الأحداث من غير انقطاع لها؛ لتعطي صورة كاملة لهذه الشخصية، ومن ثم تكون العبرة والاستفادة من سردها على هذا النحو. والحديث عن يوسف، يحتاج إلى عدة نقاط بيانها في الآتي:

---

(1) صحيح البخاري – كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: "لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين" رقم: (3203)، صحيح مسلم -كتاب: الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام (2378)، مسند أحمد – باقي مسند المكثرين (2/ 257)

التعريف بيوسف عليه السلام

وهب الله يعقوب -عليه السلام- اثني عشر ولدًا، أحدهم يوسف -عليه السلام- وقد تزوج يعقوب عددًا من النسوة، ورُزق من راحيل بولدين، فليوسف أخ شقيق هو (بنيامين)، والباقون إخوة لأب، وترتيب يوسف بينهم الثاني عشر، وقد تميز منذ صغره بسعة العقل، وسلامة الخلق، وكان محل حب أبيه لنجابته، وصغره، ويتمه بموت أمه، وزاد من حب أبيه له الرؤيا التي رآها، وقصها له، وعنها يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ يوسف: ٤

وقد فهم يعقوب -عليه السلام- من هذه الرؤيا البشارة بنبوة يوسف -عليه السلام- وعلم أن أمر الرسالة سينتقل من بعده له، فنصحه بعدم إخبار إخوته بهذه الرؤيا منعًا للكيد، ومحافظة على المودة والألفة.

وإخوة يوسف الأحد عشر هم الذين عبَّرَتْ عنهم الرؤيا بالكواكب، أما القمر فهو أبوه، وأما الشمس فهي أمه، أو خالته.

وقد راعت أقدار الله يوسف -عليه السلام- وأحاطته العناية الإلهية، فنشأ متمتعا بجمال فائق، عبر عنه النسوة بقولهن: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يوسف: 31، وصار يضرب به المثل في الجمال. يذكر السهيلي أنه كان على النصف من حُسْنِ آدم؛ لأن آدم بلغ نهاية الحسن [1]

وجاء في بعض الروايات أن أهل مصر أصابهم الجفاف في عصر يوسف، فكانوا ينسون جوعهم بالنظر إلى يوسف تلذذًا بجماله وحسنه[2]، يقول النبي ﷺ : «رأيت يوسف ليلة أسري بي في السماء الرابعة» فقيل: كيف رأيته؟ قال: «كالقمر ليلة البدر»[3].

---

(1) البداية والنهاية. مرجع سابق، 1/ 205.

(2) مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، محمد بسام رشدي الزين (بيروت: 2001، ط: دار الفكر، سورية، ط: 3) ص: 122.

(3) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال برقم: 32409. وانظر: الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عُدَي =

وتميز يوسف -عليه السلام- بالرشد والفهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يوسف: 22.

واشتهر بصدق المعاملة، والإخلاص في عبادة الله، والاعتراف بالمعروف يُسْدَى إليه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ يوسف: 24. وقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف: 23.

وعُرِف بالعدل، والإنصاف، والصبر، والتحمل، وعفة اللسان، ونبل الأخلاق، فكان هو بخلقه وشخصيته في كل أحواله، رغم تقلبها الواضح، وتنوع انقلابها وتحولها، فتارة هو في الجب، وأخرى في بيت العزيز... ومرة في السجن، وأخرى واليا لخزائن أرض مصر.

وقد عاش عليه السلام حتى تحققت رؤياه، ومات بأرض مصر ودفن بها، ثم نقل جثمانه إلى فلسطين في زمن موسى عليه السلام، يدل على ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أبي موسى الأشعري أن بعض الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن عجوز بني إسرائيل، فقال عليه السلام: «إن موسى -عليه السلام- حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عنه الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ قال له علماؤهم: إن يوسف -عليه السلام- حين حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من أرض مصر حتى ننقل عظامه معنا، فقال موسى: أيكم يدري أين قبر يوسف؟ قالوا: ما علم أحد قبره إلا عجوز بني إسرائيل، فأرسلوا إليها، وأتوا بها، وسألوها عن قبر يوسف... فانطلقت بهم إلى بحيرة فيها ماء، فأمرتهم أن يجففوا ماءها، فلما جففوها حفروا بها واستخرجوا منها عظام يوسف، فلما أقلُّوه معهم من أرض مصر، إذا الطريق مثل ضوء النهار »[1]

= الجرجاني، تحقيق: عدل عبد الموجود، علي محمد معوض، ومشاركة د. عبد الفتاح أبو سنة، منشورات: محمد علي بيضون (بيروت-دار الكتب العلمية) 7/ 72. وانظر: بصائر ذوي التمييز ج6، ص47.

(1) مسند الإمام أحمد، والحديث صحيح صححه الهيثمي والألباني، والعظم يسمى به البدن، قصص القرآن ص248.

يوسف وإخوته

رأى إخوة يوسف اهتمام يعقوب -عليه السلام- به أكثر منهم، وتمكن الشيطان من نفوسهم، فملأها بالحسد والحقد، وأنساهم حق الأبوة، وحق الأخوة، وقدر الله عليهم أن يكونوا كذلك، فكبر في نفوسهم أن يميل قلب أبيهم ليوسف الصغير أكثر من ميله لهم، وهم كبار ورجال، يمثلون عصبة قوية.

كبرت هذه الأحاسيس في نفوسهم، وسيطرت على حياتهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: 8.

قالوا ذلك وأنساهم الشيطان أن الحب القلبي عطاءٌ إلهيٌ لا يملكه الإنسان، وأما العدل العقلي والمادي الذي يملكه الإنسان فلا تقصير فيه من أبيهم[1]، ومع ذلك رأوا أن أباهم على خطأ واضح، وفكروا في تصحيح هذا الخطأ؛ فقال قائلهم: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾

لكن اقتراح القتل لم يكن مسلَّما لديهم؛ لأنه جريمة قتل يباشرونها بأنفسهم، وإخفاؤها والخلاص منها أمر صعب، وفعلها لا يليق بهم.

ولذلك كان الاقتراح الأول هو: ﴿ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾، ومعناه: أن يرموه في صحراء قاحلة؛ ليموت بعيدا عنهم إما بالجوع، أو بالعطش، أو بافتراس الوحوش الضارية.

والاقتراح الثاني: لا يقل وحشية عن الاقتراح الأول، فكلاهما إزهاق للروح، وسفك للدم.

ومن ألاعيب الشيطان بهم، أن زيَّن لهم تآمرهم، فعللوه برغبتهم في إبعاد أبيهم عن ضلاله، وبأنهم سوف يتوبون، ويكونون من عباد الله الصالحين، وسهل لهم الشيطان الجرم بتقديم العزم على التوبة قبل ارتكاب الإثم؛ لئلا يتراجعوا.

---

(1) جاء في تفسير الألوسي أنه لا لوم على الوالد في تفضيل بعض أولاده في المحبة القلبية؛ لأن المحبة القلبية لا تدخل تحت وسع البشر. ج12 ص171.

يصور الله تعالى هذا التآمر بقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ يوسف: 9.

لكن واحدًا منهم توسط في الرأي، واقترح رأيا به يبعد يوسف عن أبيهم، وفي نفس الوقت يعيش في أرض بعيدة مجهولة، قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ يوسف: 10، رضوا هذا الرأي واتفقوا عليه، وبدؤوا في التنفيذ... إلى آخر خطتهم التي وضعوها للنيْل منه.

التعريف بالمجتمع الذي عاش فيه يوسف عليه السلام

تطورت الأحداث مع يوسف، فألقاه إخوته في الجُبِّ، إلى أن أخرجته إحدى القوافل التجارية من الجُبِّ، وباعته لعزيز مصر، وقضى حياته في مصر إلى أن لقيَ ربه.

وكانت مصر في هذا الوقت تحت حكم (الرعاة)[1] الذين عاصروا إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام- وعلموا شيئًا عن دينهم.

والرعاة هم الهكسوس، وكانت مدة حكمهم في مصر أكثر من قرن ونصف، ومن حديث القرآن عنهم خلال ذكره لقصة يوسف -عليه السلام- نلمح بعض خصائص المجتمع المصري.

- **فهو مجتمع غير موحِّد،** لا يعرف الله على وجه الحقيقة؛ ولذلك لم يكن يوسف -عليه السلام- على دينهم، وذلك مفهوم من قول يوسف -عليه السلام- لأصحابه في السجن: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ يوسف: 37-38.

- **وهو مجتمع يعرف شيئًا عن دين الله الذي نقل إليهم من جيرانهم،** وبخاصة أن الحكام لم يكونوا من الفراعنة، مدعي الألوهية؛ ولذلك تركوا الديانة المصرية القديمة،

(1) كان الرعاة يسمون حاكمهم بـ(الملك) أو (العزيز)، وكان المصريون يسمونه بـ(فرعون).

وبحثوا عن دين آخر، فأخذوا من جيرانهم بعض ما عندهم، وهو قدر لا يكفي في دين الله تعالى.

ندرك هذه اللمحات الدينية من قوله تعالى حكاية عن النسوة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: 31... فهن يعرفن الله، ويعرفن الملائكة.

ومن حكاية قول العزيز لامرأته: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يوسف: 29، فهو يعرف الاستغفار والتوبة.

ومن حكاية قول امرأة العزيز: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يوسف: 52، فهي تعرف أن الهادي هو الله، وأن كيد الخائن إلى بوار، بأمر الله تعالى.

وقد ساعدت هذه اللمحات يوسف -عليه السلام- في نشر دعوة الله، حينما وَلِيَ الأمر في مصر بعد ذلك، ومكَّن لقومه بني إسرائيل.

- تميز المجتمع المصري بنظام سياسي متقدم، ففي الوقت الذي عاش جيرانهم في بداوة نجدهم يعرفون نظام المُلك، وولاية العهد، والوزارات، والدواوين العديدة، وقد تولى يوسف -عليه السلام- بعد خروجه من السجن ولاية الأموال والأقوات يوزِّعها على المصريين، وعلى أهل البقاع المجاورة، وقد رأينا إخوة يوسف يأتون إلى مصر من أرض كنعان للحصول على القوت.

- كما تميز بالسبق العلمي، وبخاصة في مجال العلم بتعبير الرؤى، ولأمر أراده الله تعالى نجد في سورة يوسف عددا من الرؤى وتعبيراتها؛ نجد رؤيا يوسف، ورؤيا أصحابه في السجن، ورؤيا الملك، وقد تحققت دلالاتها، واستفيد عمليا بما دلت عليه.

ومن دلالة السبق العلمي ما يُستفاد من الآيات الآتية التي اشتملت عليها السورة يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف: 21،

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ يوسف: 22. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ يوسف: 37، ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ يوسف: 55، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ يوسف: 68، ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ يوسف: 101.

- تميز المجتمع المصري بمدنية راقية، حيث كان للنسوة اجتماعاتهن، وآراؤهن... وكان لهن سلوك مدني متقدم في الطعام والشراب، كما هو مفهوم من لقاء النسوة بامرأة العزيز، وإعداد المائدة العامرة، وتقديم السكاكين ليأكلن بها، وعاش يوسف في هذا العصر، واستفاد بإيجابياته، ونجاه الله تعالى من سلبياته... فتربى في بيت الملك، وتعلم، وعرف، فلما بدأت سلبيات الترف تظهر أمامه، قضى الله عليه بدخول السجن، فبقي فيه يدعو الناس لعبادة الله وحده، ولم يخرج من السجن إلا بعد إعلان براءته.

ويبدو أن الملك لما أدخل يوسف السجن كان يتابع أخباره إعجابًا به وبأخلاقه، وبالضرورة سمع عن دعوته حيث أعجب بها، بلا إعلان حتى لا يغضب كهنة الأصنام، وعبدة الأوثان وغيرهم؛ ولذلك كان شديد الترحيب بيوسف حين جاءه من السجن وقال له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ يوسف: 54، وهكذا مكن الله ليوسف، فتولى أمر خزائن الأرض، وصار حاكمًا في مصر، ولعل هذا الوضع ساعده على نشر دعوة التوحيد بين الناس.

ولما جاء بنو إسرائيل إلى مصر تعاونوا مع الهكسوس، ولم يندمجوا في المجتمع المصري، وكانوا للرعاة عونًا على المصريين؛ ولذلك لما استردّ الفراعنة زمام الأمور مرة أخرى في الأسرة الثامنة عشرة أخذوا في مقاومة الإسرائيليين، وديانتهم، وتمكنوا من طردهم من مصر في زمن موسى -عليه السلام-، ذلكم هو المجتمع الذي عاش فيه يوسف -عليه السلام- حتى لقي ربه.[1]

(1) في ظلال القرآن. سيد قطب، (ط: 32، القاهرة، دار الشروق: 1423 هـ - 2003 م) 12 / 183-181 بتصرف، ويرى صاحب الظلال أن مقاومة المصريين للإسرائيليين لم تكن دينية، وإنما كانت سياسية، ونفسية غالبًا، وهذا يرجع إلى طبيعة النفسية اليهودية المعقدة.

يوسف في بيت عزيز مصر

حينما أخذ التجار يوسف صغيرًا من الجب، ذهبوا به إلى مصر، وباعوه بثمن زهيد. شاءت إرادة الله تعالى أن يكون الذي اشتراه هو وزير مصر الأول؛ ليتحقق له ما قضى به سبحانه وتعالى. وكان يلقب وقتذاك بـ (العزيز)، ولم يكن للعزيز ولد، فأخذ يوسف لزوجته وقال لها: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ يوسف: 21.

فبدل الله يوسف بالجب قصر الملك؛ ليتمتع فيه بكرم المنزلة، وطيب الطعام، وحسن الملبس، والاطلاع على أمور الناس، وأحوال المعاش، وليتعلم ما يعرفه أمثاله من أبناء الملوك والأمراء.

وكانت أمنية العزيز من تبني يوسف أن يساعده في مهامه، أو يتخذه وزوجته ولدًا يؤول إليه الأمر من بعده.

ورحبت امرأة العزيز بهذا الصغير، واهتمت بتربيته، واعتنت بتعليمه، وسرعان ما أحبه كل من عاشره من خدم وحشم القصر، لما كان يتمتع به من جمال باهر، وأدب رفيع، وطاعة سريعة.

وقد تأثرت زوجة العزيز بيوسف، وتعلق قلبها به، وشغفت بالحياة معه، فكانت تتزين أمامه، وتظهر مفاتنها ومحاسنها لتميله إليها، لكنه لم يلتفت إلى شيء من هذا، واستمر مستمسكا بالعفة والطهارة، والخلق الكريم.

انتقلت زوجة العزيز من التعريض للتصريح، وأعدت العدة لتنال من يوسف ما تشتهي، وتبغي، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ يوسف: 23.

نعم... هو في بيتها، شاب أعزب، يعيش تحت سيف العبودية، يجد نفسه أمام أميرة شابة، جميلة، تتهيأ له، وتعد المكان، وتطلب منه أن يستجيب لطلبها وقد تهيأت له واستعدت، وتكرر الطلب منها مرات متعددة.

لم يتأثر يوسف بهذه المغريات، وإنما تذكر ربه فاستعاذ به من أي سوء، وتذكر العزيز الذي أكرم مثواه، فقال لها على الفور: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف: 23. أي: أعوذ بالله معاذا مما دعوتني إليه، وزوجك هو سيدي، وربي، الذي أكرمني ورباني، فكيف أخونه في أهله، وأجيبك إلى ما تريدين، وفي الاستجابة لك ظلم وعدوان على حق الله، وحق الناس، ولا يفوز الظالم بخير أبدًا [1].

وبهذا الموقف من يوسف -عليه السلام- تظهر أخلاقه بوضوح، فهو مؤمن، صاحب عقيدة، يستعيذ بالله تعالى، ويسأله المعونة في أداء حق سيده، الذي أكرمه، وأحسن مثواه، ولا يصح التعدي على حقوق الآخرين أبدًا. وهكذا إلى آخر هذه القصة.

يوسف والحُكم

قال الله تعالى-على لسان الملك: ﴿.. فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ يوسف: 54، وقال على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ يوسف: 55، وبعدها قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ يوسف: 56.

و﴿مَكِينٌ﴾ تعني: صاحب مكانة ومنزلة، أمين على كل شيء يُسنَدُ إليه، ويؤتمن عليه.

والمراد بالتمكين في هذه الآيات، أن يكون وزيرًا نافذ الكلمة، صاحب حَوْلٍ وطَوْلٍ، ولم يرد بقوله: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أن يتنازل له المَلِك عن المُلْكِ الذي هو فيه؛ لأن ذلك غير معهود طلبه من الملوك، ولم يعهد أن الملوك تجيب إليه على فرض طلبه منها، فالمَلِكُ لما أحب يوسف، وطلب من حراسه أن يحضروه إليه من السجن؛ ليستخلصه لنفسه، وقد شهد له بالأمانة والمنزلة، طلب منه يوسف أن يوليَهُ خزائن الأرض (مصر) لأنه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾، وقد أجابه إلى ذلك، فأصبح بهذه التولية صاحب

(1) فتح القدير للشوكاني ج3 ص17 بتصرف

أمر ونهيٍ، وصار وزيرًا له مكان العزيز (زوج زليخا).

لقد كان نبي الله يوسف-عليه السلام- مثالًا صالحًا في الوفاء ورعاية المحسنين، ومقابلة الإحسان بإحسان مثله، فلتكن لنا عبرة فيه، وعِظَة بسيرته وأخلاقه.

ومن حق نبي الله يوسف-عليه السلام- أن يطلب ذلك بعد تزكية الملك له، وهو أن يجعله وزيرًا على خزائن أرض مصر، يتولى تدبير شؤونها، ويحفظ خيراتها، ويستعد للخطر الداهم الذي سيواجه المصريين في سنواتهم المقبلة، وقد أخبر به الملك في تأويل رؤياه التي رآها.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ تعليل لجعله على خزائن أرض مصر، بأن يحفظ ما استحفظه عليه من شؤون الدولة، على تصريف الأمور، وحسن إدارتها على وجهٍ مُرْضيٍّ لا اتِّكَال فيه ولا تعقيد.

ومن المفسِّرين والعلماء من يفهم قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: اجعلني وزيرًا لمالية مصر؛ لأن الخزائن جمع خزانةٍ، والشأن أن يودع فيها المال، وقوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيظ وأمين على المال لا أبعثره فيما لا يفيد من نزوة أو شهوة، أو عمل لا يعود نفعه على البلاد والعباد، أو تبديد للمال العام، وسوء استخدامه،... الخ.

و﴿عَلِيمٌ﴾ أي: لديَّ علمٌ بجمع المال وتصريفه. ولا شيء يحتاجه الوزير أهم من أمانته وعلمه، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، فقد يكون أمينًا، لكنه جاهل، فيضيِّع مال الدولة بجهله. وقد يكون عالمًا، لكنه خبيث النَّفْس خائن، فيبعثر المال في شهوته ونزواته، ومصالحه الشخصية.

وقدَّم الصفة الأولى وهي: ﴿حَفِيظٌ﴾ لبيان أهميتها في الوالي، أو الوزير، وأن الفاقد للأمانة خطر داهم على الدولة ومرافق البلاد.

وإذا كان عالمًا مع فقده لذلك الوصف ﴿حَفِيظٌ﴾ كان خطره أشد، إذ يستطيع أن يلعب بمال الدولة، ويستخدم علمه ومواهبه في تضليل الناس، وتلبيس الأمور عليهم.

أما الأمين إذا كان جاهلًا وأخطأ، فإن خطأه عن غير قصد، وبحسن نيَّة حدث هذا الخطأ، وقد ينتبه لذلك فيعود إلى الصواب، ولا يكرر الخطأ ثانية.

ومن حق الناس أن تعتبر بقول نبي الله يوسف-عليه السلام-: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ لينتبه كل والٍ ولَّاه الله على رعية-مهما كان حجمها-أنَّ من توفرت فيه هاتان الصفتان (الحفظ والعِلْم) فهو أولى بأن يلي أمور الناس، لا سيما ما يتعلق بحياتهم ومعاشهم، وهو المال. وأن من فقدهما فلا يليق به تولية هذا المنصِب، ولا ينبغي له أن يسأله، بل يجب أن يُبْعَدَ عن هذه الساحة، وأن يُحال بينه وبينها بشتى الوسائل، ومختَلَفِ الطرق.

وهكذا نتعلم-ويتعلم الدعاة - من بيان نبي الله يوسف-عليه السلام- للملك، كيف يختار الوزراء، ويرشِّح لهذه الوظيفة أصحاب الكفاءات الذين يصلحون لها.

ونستفيد من طلب نبي الله يوسف-عليه السلام- من الملك أن يجعله وزيرًا على خزائن مصر، أن المُسْتَعِدَّ لعملٍ ما، -حيث يمتلك من القدرات والمواهب ما يؤهله لذلك المنصِب- عليه أن يعرِضَ نفسه على صاحب الشأن فيه لاختياره، وليس في ذلك غضاضة عليه؛ ليفيد ويثمر فيما علم وأتقن، وهذا في كل مجال من مجالات الحياة.

وما ورد من النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، فمحمول على الرجل الذي لا يملك الاستعداد الكامل، ولا يستطيع القيام بمهمات وأعباء هذا المنصب الذي يريد. والحديث في ذلك واضح تمام الوضوح.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ

أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[1].

وهذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة، فهو في حق من لم يكن أهلا لها، أو كان أهلا ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط. وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة.

وما دام الإنسان يأنس من نفسه الضعف، ويعلم أنه لا يستطيع القيام بالعمل الذي يُطلب منه، فمن الإنصاف ألا يطلبه؛ لأنه إن أُجيب إليه والحالة هذه، كان وجوده في هذا العمل ضارًّا بمرافق البلاد، وبمصالح العباد، وكان قبوله لهذا العمل، تعطيلًا لمواهب ذوي القدرات والكفاءات، وحرمانًا للبلاد منهم.

ولو أنَّ الناس فطنوا لذلك، وتوجَّه كل إنسانٍ لما يُحسنه من الأعمال، وما يتقنه من الفنون؛ لاستراحوا وأراحوا، وأنتجوا وأثمروا كل في مجاله، ولعم الخير، وانتفع الناس، وتقدمت البلاد تقدُّمًا كبيرًا.

وأخيرًا، ينبغي للرجل ألا يطلب ما ليس من حقه، وما لا يستطيع القيام به، وكذلك ينبغي على كل مسؤول ألا يُجيبَ إلى ذلك الطلب.

وإنما سأل ولاية خزائن الأرض، والإشراف على (الأهْراء) [2] التي يجمع فيها الغلات؛ ليدخر فيها من السنوات الطيبات للسنوات العجاف، التي أخبرهم بشأنها، ويتصرف بالأحواط والأصلح، والأرشد.

وقد أراد الله ليوسف -عليه السلام- ذلك، فمكّن له في مصر، ووضعه على خزائن

---

(1) جامع السُّنَّة وشروحها. صحيح مسلم، 33 - كتاب الإمارة / 4 - باب كراهة الإمارة بغير ضرورة / حديث رقم 1825. وانظر: مسند أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم (5/ 173)

(2) الصوامع التي تُحفظ فيها الحبوب، المفرد هو «هُرْي» (بضم الهاء وتسكين الراء) وهذا يُجمع جمع تكسير على «أهراء». وقد يؤخذ من هذا الجمع ما يُدعى جمع الجمع وهو «أَهراءات».

الأرض ليكون مقصد الناس وقت الجدب، يطلبون منه، ويعطيهم، ويدعوهم إلى الله تعالى.

ولا يمكن تصور أن يوسف ترك أمر الدعوة؛ لأنه لم يتركها وهو في السجن، فكيف يتركها بعد أن صار متمكنا ذا سلطان وجاه؟[1]

أسس دعوته إلى الله وهو في سجنه:

كان الشرك سائدًا في مصر في ذلك الزمان، كسائر الأمم القديمة، وكان لكل مدينة من مدنها إلهًا، لا يشبه معبود ما يجاورها من المدن، ومن هذه الآلهة:

(رع)، و (آمون) (أبيس) وهو ثور، (بوخيس) وهو ثور كذلك، وكانت لهم معبودات أخرى مثل: الشمس، والأسد، وابن آوى، وغير ذلك من الآلهة التي عبدوها من دون الله.

وقد غاظ يوسف-عليه السلام- هذا الانحراف الشنيع عن عقيدة التوحيد، فأخذ يدعوهم إلى الله الواحد القهار.

☜ **ومن خلال آيات سورة يوسف التي تناولت دعوته، والأسلوب الذي انتهجه فيها يمكن الوقوف على أسس دعوته-عليه السلام- وهي:**

1. الإيمان بالله وحده لا شريك له، وترك ما عداه من أسماء لا مضمون ورائها، ولا تملك دفع الضر عنها، ولا النفع لمن يعبدونها ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ.... الآيات﴾ يوسف: 39، 40.
2. الإيمان باليوم الآخر، وعدم جحوده ونكرانه كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ يوسف: 37.

(1) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، طبعة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1354هـ/ 1935م. ص: 72-150.

3. تمحيص العبادة لله وحده ونفي الأرباب التي تتحكم في رقاب العباد، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: 40.[1]

منهجه في الدعوة

تَعَدُّ سيرة نبي الله يوسف -عليه السلام- نموذجًا رائعًا وأسلوبًا متميزًا للدعوة إلى الله، بسلوكه النبوي الذي يجعله قدوة لكل مؤمن يدعو إلى الله، وهذا شأن كل الأنبياء.[2]

وتتعدد طرق دعوة الرسل-عليهم السلام-- وإن كانت الغاية واحدة، فحياتهم وتصرفاتهم أسلوب عملي للدعوة، وهم بذلك قدوة ولنا فيهم أسوة.

☜ **فالدعوة إلى الله تحتاج إلى داع ومدعو، وظرف زماني ومكاني مناسب، وإلى حالة نفسية عند المدعو تحفزه إلى السماع والتلقي والقبول.**

أما الداعي فهو نبي نضجت عنده الفكرة التي يدعو إليها، وحيًا من عند الله، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ يوسف: 37.

وأما المدعو فهو كل مَنْ يفتقر إلى هذه الفكرة وهو يخلو منها ويملأ قلبه بأمور مغايرة لها لا بد من إخراجها قبل أن يتقبل صاحب القلب الفكرة الجديدة؛ ولا يكون ذلك بالعنف والإكراه، بل يكون بإظهار فساد الفكرة وضررها على صاحبها أو على المجتمع.

وأما الظرف الزماني والمكاني فيتمثل باللقاء بين الداعي والمدعو عيانًا أو سطورًا أو صوتًا أو صورة وصوتًا.

وأما عنصر الحالة النفسية للمدعو فله دور أساس في تقبُّل المدعو للفكرة الجديدة؛

---

(1) تاريخ الدعوة، جمعة الخولي، مرجع سابق 1/ 214-247.

(2) صدقي البيك، أسلوبان للدعوة (مقال) 17 أغسطس، 2014م، انظر الرابط:

http://www.islamweb.net/ar/article/٨٣٠٣٣/

وذلك إذا انفتحت نفسه، وفتح أذنيه وقلبه لما يقوله الداعي بعد الوثوق به والاطمئنان إليه، والشعور بالحاجة إليه في هذا المجال أو في مجالات أخرى.

☜ وليوسف -عليه السلام- في سيرته -كما وردت في سورة يوسف- أسلوبان دعويان لجأ إليهما، لا سيما، وقد تهيأت له الظروف المناسبة للدعوة إلى دين آبائه.

الأسلوب الأول: اعتمد فيه على الدعوة المباشرة بالكلمة والموعظة، وورد في قوله -تعالى-: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: 36.

فها هو الداعي النبي، والمكان والزمان يجمعانه مع اثنين من قوم لا يؤمنون بالله، ويعبدون أربابًا متعددة، وقد وثقا برفيقهما في السجن، واطمأنا إليه من تجارب سابقة جعلتهما يحكمان عليه بالإحسان والمعرفة الصحيحة، فتوجها إليه بسؤال مَلَكَ عليهما تفكيرهما، وهو ما رأياه في منامهما من رموز واضحة لا يفهمانها؛ فهما لذلك يفتحان عيونهما وآذانهما لتتلقى ما ينطق به من تأويل لرؤييهما، ويتلهفان لمعرفة ما وراء رموزهما.

ويدرك النبي الداعية هذه الرغبة عندهما، ويدرك أيضًا أن هذا هو الوقت المناسب لعرض فكرته وعقيدته عليهما؛ فهما الآن كالأرض العطشى التي تتشوق لنزول المطر، وهما مستعدان للإصغاء إلى كل كلمة يقولها؛ ولذلك فقبل أن يجيبهما إلى ما طلباه بآية لا تزيد كلماتها على أربع عشرة كلمة، يتحدث معهما بأكثر من تسعين كلمة يذكِّرهما فيها بمواقف سابقة له معهما كان يخبرهما فيها بما سيأتيهما من طعام ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ﴾. ويدعم ذلك بأن هذا من علمه الرباني ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ ليزيد وثوقهما به، ويفتح قلب كل منهما على مصراعيه لتقبُّل كل كلمة يقولها؛ ثم يعرض عليهما عقيدته التي يؤمن بها هو وآباؤه، وأنه تخلى عن ملة من كان يحيط به من أناس لا يؤمنون بالله، ويربط بين هذا العلم الرباني وبين عقيدته هذه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ يوسف: 37، 38.

وهنا تأتي المرحلة التوجيهية والدعوة إلى عقيدته مباشرة، وقد هيأ كل الظروف والأجواء لتقبُّلها، فيدعوهما إلى المقارنة والموازنة بين عقيدة التوحيد لله، وبين عقيدة تعدد الآلهة التي صنعها البشر ووضعوا لها الأسماء: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ يوسف: 39، 40. وهو يتوقع، ونحن أيضًا نتوقع، أن يكون جوابهما (الله الواحد القهار خير). ويزيد التفصيل لهذه العقيدة؛ فالحكم بيد الله والأمر له... وهذا هو الدين القيِّم الذي يجهله كثير من الناس.

وبعد هذه المراحل الثلاث، يستجيب لطلبهما منه تأويلَ ما رأياه، ويوجز ذلك بكلمات: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ يوسف: 41. ولا يحدد أيهما سينجو وأيهما سيصلب، لئلا يغرس اليأس في قلب الذي سيصلب، وليبقى الاثنان متعلقين بالأمل في النجاة والحياة.

ويوسف -عليه السلام- لا ينسى نفسه وما لحق به من ظلم أدخله السجن، فيطلب ممن (ظَنَّ) وعلم أنه ناج منهما أن يذكره عند ربه (الملك)، ولعله يقصد بذلك مظلمته أو ما لديه من إمكانات علمية.

ولكن هذا الناجي شغلته فرحته بالنجاة وعودته إلى ما كان عليه من سقاية الملك الخمرة، وهذه ميدانها العبث وضعف الوعي، فنسي ما وصَّاه به يوسف عليه السلام.

ويلفت النظر أن الآيات لم تشر إلى إيمان هذا الناجي أبدًا، ولعل عدم إيمانه كان عاملا سلبيًا في تذكُّر يوسف ووصيته.

إن هذا الساقي الذي نجا وخرج من السجن لم يظهر في مجريات الأحداث ما يدل على أنه آمن، أو أن الدعوة آتت ثمارها معه؛ مع أنها قد اكتملت فيها كل مقومات تقبُّل

المدعو لها؛ ولذلك على الداعي أن يدعو موفرًا عوامل القبول لدعوته، وما عليه إن لم يُستجب له.

الأسلوب الثاني: أما الأسلوب الآخر الذي لجأ إليه يوسف -عليه السلام- في الدعوة فهو **أسلوب الاعتماد على الدعوة بالعمل، والتطبيق بغير كلام، ونصح ووعظ مباشر**؛ وذلك عندما جاءه ﴿ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يوسف: 45. فبادره بالاستفتاء وطلب تأويل رؤيا، متحببًا إليه بندائه بـ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ يوسف: 46، (وأين كانت هذه الصداقة أو التصديق في غضون بضع سنين؟).

ويصرح المستفتي أنه على عجلة من أمره؛ فالناس ينتظرون عودته بالتأويل، ويتوقون إلى المعرفة؛ والأمر يهمهم جميعًا ملكًا وملًا. ويعلم يوسف أن هناك من يترقب كلماته من علية القوم، بل الملك ومستشاروه كذلك، وهم بحاجة إليه ليحل لهم هذا الإشكال الذي شغلهم جميعًا، ومع ذلك لم يلجأ إلى الدعوة والوعظ والأسلوب الذي استعمله مع (الفتيين) في السجن، وكذلك لم يشترط عليهم إطلاقه من السجن، وهذا أبسط حق له، وقد ذكر هذا الحق رسول الله محمد ﷺ بقوله: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره، والله يغفر له، حين سئل عن البقرات السمان والعجاف، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط عليهم أن يخرجوني... ».

فهل أهمل يوسف أسلوب الدعوة، أم أنه لجأ إلى أسلوب آخر بغير وعظ كلامي؟! لقد وجد من فهمه للرؤيا أن الأحداث المقبلة أحداثٌ جماعية فيها صفة الكارثة العامة، وهي إذا لم تعالج بطريقة صحيحة قد تكون نتائجها وخيمة على سكان المنطقة كلها لا على مصر وحدها؛ لذلك سارع إلى تأويل الرؤيا ووضع خطة اقتصادية سليمة تضمن حسن التصرف مع الرخاء ومع الشدة لتجنب وتجاوز الكارثة بغير خسائر.

وعندما وصل (التقرير) بتأويل الرؤيا إلى الملك أخذته الدهشة والإعجاب بالتأويل

والخطة المحكمة، فأصدر أمره بإخراجه والإتيان به؛ وهكذا حصل يوسف على ما كان يمكن أن يشترطه عليهم للتأويل، من غير أن يذكر هذا الشرط. ولم يقف الأمر عند حد الإخراج من السجن، بل تجاوز ذلك إلى الإتيان به إلى حضرة الملك ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾.

ولكن يوسف -عليه السلام- لم يكتفِ بالإخراج من السجن والمثول بين يدي الملك؛ فهذا شيءٌ ماديٌ حصل عليه، ولا بد له من أن يحصل على شيء معنوي أهم يزيده رفعة وسموًا ونقاء في عيني الملك، فطلب البراءة من التهمة التي أُدخل السجن بسببها، فطالب بعزة المؤمن وكرامته، بالتحقيق مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ يوسف: 50. ويستجيب الملك ويحقق، ويوسف لا يزال في السجن، ويعترفن ويقررن، ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ يوسف: 51. وتقر امرأة العزيز وتشهد له بالبراءة ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يوسف: 51.

وعندما وصل الملك لتلك النتيجة لم يكتف بإخراجه من السجن وتبرئة ساحته، بل زاد على ذلك أن طلب أن يستخلصه لنفسه ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ يوسف: 54.

وبذلك صار يوسف من خاصة الملك يتبوأ من الأرض حيث يشاء، وصار لدى الملك مكينًا أمينًا آمنًا مؤتمنًا، ومسؤولا عن مالية الدولة واقتصادها ومستودعات الحبوب وتخزينها وتوزيعها بالعدل... ثم عزيزًا، ثم ملكًا على مصر؛ وهذا يعني أنه تمكن من نشر العقيدة التي يحملها ويدعو إليها، ومن حكم البلاد وتطبيق أحكام دينه دين أبيه وجد أبيه إبراهيم عليه السلام؛ فقد طبقها، من حين كان عزيزًا، على أخيه ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ يوسف: 76، ولذلك سأل إخوته عن عقوبة السارق في دينهم: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوسف: 74، 75.

ولعل مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه في عهد موسى -عليه السلام- هو من بقايا من آمن بيوسف من قبل؛ فقد ورد في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ غافر:34.

وهكذا يكون يوسف -عليه السلام- قد حقق بأسلوب الدعوة الثاني ما لم يحققه بالأسلوب الأول؛ فلم يخرج بالأول من السجن، ولم تبرأ ساحته، ولم يؤمن المدعو الذي نجا؛ في حين أنه بالأسلوب الثاني خرج وبرئ واستخلصه الملك.. وطبق أحكام شريعته، ورفع أبويه على عرش مصر...

☜ وهكذا تفعل أساليب الدعوة العملية ما لا تفعله الأساليب النظرية الأخرى، ولو توافرت لها عوامل نجاح وقبول أكثر.

ولا يمكن تصور أن يوسف ترك أمر الدعوة؛ لأنه لم يتركها وهو في السجن، فكيف يتركها بعد أن صار متمكنا ذا سلطان وجاه؟

ففي قصة مؤمن آل فرعون، ورد ذكر يوسف -عليه السلام- وبيان أنه دعا المصريين إلى عبادة الله وحده، وأظهر لهم المعجزات الدالة على صدقه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ غافر:34.[1]

فهم في زمن موسى -عليه السلام- كانوا يعرفون أن يوسف -عليه السلام- بعث فيهم، ودعاهم إلى الله، وجاءهم بالمعجزات، لكنهم لم يؤمنوا به.

إن القصة لم تتحدث بالتفصيل عن دعوة يوسف -عليه السلام- لأنها في السورة تتخذ مسارًا آخر، لتحقيق غرض يفيد الدعوة والدعاة، وعساه -عليه السلام- كان يكتفي بالدعوة العملية، وبالإشارات الموحية في بعض الأحيان، وبالتوجيه الواضح حين يقتضيه المقام... فمن الناحية العملية كان صاحب خُلُقٍ، ودين، وحسن معاملة.

---

(1) يرى بعض المفسرين أن يوسف المذكور في الآية هو حفيد يوسف الصديق. "انظر تفسير أبي السعود ج5 ص9".

☜ **ومن ناحية الإشارات نقرأ ما ذكره للناس، مبينًا إيمانه بالله الواحد الأحد.... ومن ناحية التوضيح رأينا ما فعله في السجن.**

لقد التقى في السجن بصنوف من الناس، وتعامل معهم بخلقه وطهارته، واشتهر بينهم بالأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى المسجونين بعيادة مريضهم، والقيام بحاجاتهم فأحبوه، وأخذوا برأيه ومشورته[1].

ودخل السجنَ فتيانِ أحدهما ساقي الملك، والثاني خبازه؛ لأنهما اتهما بمحاولة دس السم للملك في طعامه وشرابه، ولما لقيا يوسف تعارفا عليه، وتعلقا به... ثم إن كلا منهما رأى منامًا وجاء إلى يوسف ليؤوله له.[2]

وكان يمكن ليوسف أن يعرفهما بتأويل ما رأيا مباشرة، لكنه -عليه السلام- وجدها مناسبة حسنة للدعوة إلى الله تعالى.

قال للرجلين: إنه يعرف تأويل الرؤيا، وسيخبرهما بما سيؤول إليه أمرهما، وعلى أي تدل أحلامهما، وسيرد على استفتائهما، وقدم لهما برهانا على مدى معرفته، وهو أن يخبرهم بطعامهم قبل أن يجيء إليهم، وذلك أمر عجيب يدل على معرفته المعجزة، وأخبرهم بطعامهم قبل أن يأتيهم، وصدق في قوله لهم، وأخذ في بيان سر معارفه،

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى ۚ ﴾ يوسف: 37.

وهذا أمر يجعل الفتيين يفكران في حقيقة هذا الرب، الذي علم يوسف هذا العلم، وجعله يتميز عن سائر الناس، إنه علم غيبي نافع، وكأني بهم يسألون: من هذا الرب؟ وهل هو غير إله المصريين، ومَنْ أتباع هذا الرب؟

---

(1) تفسير ابن كثير ج2 ص477 بتصرف.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، 4/ 1949-2037. بتصرف كبير.

يتابع يوسف -عليه السلام- حديثه عن دينه فيقول للفتيين، ما حكاه الله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يوسف: 37، 38.

فيعرف مستمعوه من مقالته أنه ليس على دين الرعاة؛ لأنهم لا يؤمنون بالله حقا، ولكنه على دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهم الرسل المشهورون بالصدق، وتعليم قومهم الدين الحق.

وعرفهم أن دينه ودين آبائه يقوم على التوحيد، وإبطال الشرك، وعبادة الله وحده؛ لأنه لا يليق بعاقل أن يعبد آلهة يتخذها من الحجر، أو الشجر، أو المعادن، أو من غيرها.

وأخذ بعد ذلك في بيان أدلة التوحيد، وأدلة إبطال الشرك بصورة مقارنة وسهلة، فقال لهم كما قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف: 39.

وهو سؤال إنكاري يحمل مراد يوسف، فالله الذي أعبده واحد، ذل كل شيء لعز جلاله، وعظمة سلطانه، بينما الآخرون يتخذون عددا من الآلهة لا تضر أبدا، ولا تنفع مطلقا، فأيها أحق بالعبادة: إله واحد قادر، أم آلهة متعددون لا تنفع ولا تضر ولا تملك من أمر نفسها شيئا؟ قال لهم ما حكاه الله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: 40.

فالله وحده صاحب السلطان، والقدرة، والبراهين تشهد له، بينما آلهة القوم من اختراعات الناس، وأكاذيبهم، وعليهم أن يعلموا أن القضاء، والتصرف، والحكم بيد الله، والملك كله له يفعل ما يشاء ويريد، وعليهم أن يعلموا بضرورة التلازم بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وذلك يقضي بتوجه العبد لله بالعبادة والرجاء؛ لأنه النافع الضار، وليس للآلهة المزعومة شيء من ذلك أبدا، فكيف تكون آلهة مع الله؟!

وبذلك ختم دعوته مبينًا أن الدين الذي يعرفهم به هو الدين الحق، وهو الصراط المستقيم، الخالي من العوج، الذي يسعد صاحبه ويكتب له الخير في الدنيا وفي الآخرة، ويلاحظ أن يوسف -عليه السلام- استفاد من تقدير الناس له، فجعله سببا وصلة إلى دعائهم إلى التوحيد، والإسلام، وبخاصة بعدما لمح من سجية الفتيين حب الخير، والإنصات له، والإقبال على دعوته[1].

☜ **ويبدو أن يوسف -عليه السلام- كان يباشر الدعوة داخل السجن ويطبقها عمليا؛ ولذلك رأينا تحول المجتمع إلى دين يوسف عليه السلام،** يدل على ذلك قول امرأة العزيز قبيل خروج يوسف من السجن، كما حكاه الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يوسف: 52، 53.

إنها تصور الله بصفاته، فهو الذي يهدي، وهو الرحمن، وهو الغفور الرحيم، وكل هذه صفات يقر بها المؤمنون بالله.

ويبدو أن الملك كان على شيء من دين سماوي، وكان قد سمع عن نشاط يوسف -عليه السلام- في دعوة الناس داخل السجن، فصدَّق بكل ما سمع، ورأى أن يكل الأمر ليوسف؛ ليدير شئون الزراعة، وتوزيع الميرة، في أرض وادي النيل، ويتولى خزائن مصر في المرحلة القادمة.

ثم يحكي القرآن موقف الملك ورد يوسف عليه، بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: 51.

أحضر الملك النسوة، وزوجة العزيز، وسألهن: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ

(1) تفسير ابن كثير. 2 / 479.

عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ﴾ يوسف: 52. هذه شهادة النسوة، وفيها يعلنَّ براءة يوسف من أي سوء.

أما زوجة الملك فقد اعترفت أمام الجميع اعترافا تفصيليًّا، يظهر الحق كاملا، ويبين براءة يوسف، وتقر بذنبها، وتتوب إلى الله، آملةً أن يعرف يوسف أنها برأته في غيبته، ولم تخنه بشهادة زور ضده، وعللت سبب اعترافها المفصل بأمور:

الأول: أنها تخاف من عقوبة الله تعالى إن كذبت عليه؛ لأن الحقائق التي تؤمن بها أن الله لا يهدي كيد الخائنين.

الثاني: إظهار ضعف نفسها، والنفس أمارة بالسوء، وهي بذلك الإعلان تردع النفس، وتؤدبها، وتوجهها نحو الأخلاق الفاضلة لتكون متمتعة برحمة الله.

الثالث: تطمع بتوبتها، وإقرارها في غفران الله ورحمته؛ لأنه سبحانه غفور رحيم.

يوضح الله تعالى شهادة امرأة العزيز التفصيلية، فيقول سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف: 51-53.[1]

ويبدو أن الملك وزوجة العزيز قد دخلا في دين يوسف على نحو ما ذكرت قبل، وكما يظهر من الألفاظ التي لا ينطق بها إلا موحد يعرف الله تعالى.

---

(1) ويرى بعض المفسرين أن مراد زوجة الملك من قولها: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾. أي: ليعلم زوجي أني لم أخنه مع أحد، وما كان مع يوسف كان مراودة مني امتنع عنها يوسف، ويذهب آخرون إلى أن الكلام من أول: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ من كلام يوسف. والأولى ما ذكرته، فإن الحديث كله مروي على لسان زوجة العزيز في جلسة الاعتراف، وكان يوسف وقتها في السجن، وأيضا فإن من الممكن فهم قولها: {لَمْ أَخُنْهُ} أي: لم أخن زوجي حيث لم يقع المحذور الأكبر ولم أخن يوسف بالكذب عليه وهو غائب، وتكلمت بالحق والصدق.

الدروس والعبر المستفادة من قصة يوسف ودعوته

من أبرز الدروس والعبر في قصة يوسف عليه السلام ما يلي:

- **كتمان الأسرار:** فحينما أخبر يوسف عليه السلام أباه برؤياه التي رآها في منامه أخبره يعقوب عليه السلام بألّا يحدث إخوته بها حتّى لا يضمروا نيةً سيئة اتجاهه، فقد علم يعقوب عليه السلام أنّ أخوته يغارون منه بسبب تفضيله ومحبته الشديدة له، وما قد تبعثه تلك الغيرة في قلوبهم من الحقد والضغينة.
- **العدل في التعامل مع الأولاد:** على الرغم من إيمان يعقوب عليه الصلاة والسلام إلّا أنّ محبته ليوسف جعلته يميزه عن إخوته وذلك ما سبب البغضاء والشحناء التي أوغرت صدر أخوته عليه فكادوا له وأرادوا أن يقتلوه، إلى أن قرروا أن يجعلوه في غيابة الجب.
- **الصبر والثبات على الحق:** فقد صبر يوسف عليه السلام صبراً عظيماً حينما ألقاه إخوته في الجب، كما صبر على كيد امرأة العزيز وما حاكته ضده من المؤامرات التي انتهت بوضعه في السجن، حيث لبث فيه بضع سنين، ولم تُفتر تلك المحن عزيمة يوسف عليه السلام الذي ظل ثابتاً على الحق والمبدأ.
- **الحفاظ على رسالة الدعوة إلى دين الله تعالى:** لم ينس يوسف عليه السلام الدعوة إلى دين الله حتّى في أشد لحظات حياته وأحلكها، ففي السجن وحينما جاءه رفقاء السجن يسألونه تعبير رؤياهم استفتح حديثه إليهما بدعوتهما إلى عبادة الله وحده، وترك الإشراك به، وهذا يدل على شغف يوسف عليه السلام بالدعوة إلى دين الله تعالى، كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام مخاطبا رفيقي السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ يوسف: 39.
- **ضرر الخلوة بالنساء الأجنبيات:** فقد تعرض نبي الله يوسف عليه السلام إلى امتحانٍ كبير حينما أغوته امرأة العزيز والنسوة في المدينة حينما وجدوا الأسباب

الداعية إلى ذلك من الخلوة والقدرة والسلطان.

- **تبرئة النفس من التهم:** يجب الحصول على شهادة البراءة من التهم التي قد تطال الإنسان في حياته، فقد دخل يوسف عليه السلام إلى السجن بسبب كيد النسوة، فصبر على ذلك كله لأنّه يعلم بأنّه مظلوم وأنّ الله ناصره ومؤيده ولو بعد حين، ولكن ما أهمّ يوسف عليه السلام حينما أمر الملك بإخراجه من السجن أن تعلن براءته أمام الملأ حتّى تنجلي الصورة وتظهر الحقائق التي أخفيت من قبل، فكانت النتيجة أن اعترفت امرأة العزيز بخطئها وأنّها هي التي راودت يوسف عن نفسه، فخرج من السجن بصورةٍ ناصعة البياض بريئاً من التهم.
- **التمكين لا يأتي إلّا بعد الامتحان والابتلاء:** فقد مرّ عليه السلام بكثيرٍ من المحن المؤلمة فاجتازها بقوة إيمانه وصبره حتّى كانت جائزته عند الله التمكين له في الأرض حينما أصبح مقرباً من الملك وتولى منصب رئيس خزائنها.
- **أن العين حق:** وأنّه يجوز للإنسان أن يتبع منهجًا في الحياة يدفع عنه أذى العين وشرورها، فقد قال سبحانه وتعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ يوسف: 67، فعلى الرغم من أنّ سيدنا يعقوب عليه السلام كان مثالاً ونموذجاً في التوكل على الله تعالى والإيمان بقضائه وقدره إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من أن يأخذ بالأسباب التي يمكن أن تدفع الشر والأذى عن أبنائه الذين كان جمالهم مظنة الحسد ووقوع شر العين.
- **طلب العون من الناس:** يجب الاستعانة بالناس بما يحقق مصلحة الإنسان في دنياه ويرفع عنه الضرر والظلم، فسيدنا يوسف عليه السلام وعلى الرغم من إيمانه بالله تعالى إلّا أنّه استعان برفيق السجن حينما قال له: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، فكان

نتيجة ذلك أن تذكر الرجل ما طلبه يوسف منه عندما رأى الملك الرؤيا التي طلب من الناس تعبيرها، حيث دلّه على يوسف بصفته عالمًا بتعبير الرؤى ممّا أدى إلى إخراج يوسف من السجن بعد حصوله على البراءة ممّا نسب إليه، ولكن يُشترط بطلب العون أن يكون بالخير لا بالشر.

- **تجنب الفتن:** يجب عدم التعرض للفتن والبعد عن مظانها، فقد ابتعد نبي الله يوسف عليه السلام عن امرأة العزيز حينما أرادت أن تغويه قاصداً باب الحجرة التي أغلقتها عليه، وفي هذا درسٌ عظيمٌ في ضرورة اجتناب الفتن وأسبابها، وعدم التعرض لها أو الثبات أمامها والتحلي بالإيمان الشديد العاصم منها، ودعوة الله بدرئها.
- **التثبت من الحقائق:** يجب الأخذ بالقرائن والبينات التي تثبت براءة الإنسان ممّا يُتهم به من الظلم والبهتان، فقد أتى شاهدٌ من أهل امرأة العزيز بقرينةٍ وبينةٍ على براءة يوسف عليه السلام ممّا نسب إليه من الفتنة، حينما أشار عليهم بتفحص قميص يوسف ومعاينته، فإن كان قد تمزق من الأمام كان ذلك قرينةٌ تدل على ذنبه، بينما إذا كان القميص قد تمزق من الخلف كان ذلك قرينة تدل على براءته ممّا نسب إليه، وفي ذلك درسٌ وعبرة في ضرورة الأخذ بالأسباب التي تحول دون ظلم البريء والافتراء عليه كي يسود العدل بين الناس.
- **اتباع طريق الحق:** يجب اتباع الطريق الذي يحقق رضوان الله تعالى والفوز بجنته، والابتعاد عن الطريق الذي يورد الإنسان المهالك ويكون سبباً من أسباب نيل سخط الله وعذابه، ويظهر ذلك في تفضيل يوسف عليه السلام السجن على ما فيه من الضنك والشدة على اتباع هوى النفس ونزواتها، ودعوة أهل الباطل وغوايتهم، فقد قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يوسف: 56.

- **استخدام الحيلة المشروعة من أجل جلب المصالح ودفع المفاسد:** ويظهر ذلك في الموقف الذي قام به يوسف عليه السلام حينما وضع صواع الملك في رحل أخيه حتّى يتمكن من أخذه وإبقائه عنده.
- **تزكية الإنسان لنفسه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وإظهار الاعتزاز بها:** فقد نهت الشريعة الإسلامية المسلمين عن تزكية أنفسهم دون داعٍ أو سبب، بينما تكون التزكية مطلوبة حينما يرغب إنسانٌ في ترشيح إنسانٍ مؤهلٍ لتولي منصب معين، حيث يبين حينئذ قدراته وما يتميز به من الكفاءة العلمية أو العملية، ولذلك قال يوسف عليه السلام للملك حينما أراد توليته منصباً له القدرة على توليه: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ يوسف: 55.
- **أهمية الدعاء في حياة المسلم:** فالدعاء هو أساس العبادة، وهو دلالةٌ على قوة صلة العبد بربه جلّ وعلا، فقد دعا يوسف عليه السلام ربه كثيراً وفي كلّ لحظات حياته، فحين تعرض لإغواء امرأة العزيز ونسوة المدينة دعا ربه أن يصرف عنه كيدهن، وحينما أدرك أنّ الله سبحانه وتعالى قد منّ عليه بالتمكين في الأرض، وأسبغ عليه نعمه الكثيرة ومنها نعمة العلم والإيمان، دعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يوسف: 101.
- **العفو عند المقدرة** ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ..﴾، وهذه شيمة أصحاب النفوس الكبيرة.
- **الطموح والتطلع إلى الكمال أمر يشجعه الإسلام** عند ظهور براءته أمام الملك، واعتزازه بشخصيته، وكرامته، وعلمه في تفسير الرؤيا، وطلبه لمنصب الإمارة؛ لينقذ شعب مصر، والبلاد المجاورة من المجاعة المهلكة.
- **الاجتهاد في نفي التهم مطلوب من الإنسان متى استطاع إلى ذلك سبيلًا.**

- **درس في العفة وحفظ الأعراض للشباب خاصة.**
- **اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب. (الكفاءة)**
- **سياسة أخلاق النفس أولًا**، ثم سياسة المنزل (أهل بيت الرجل) ثم سياسة المدينة (عموم الناس) وكل واحدة مُقَدِّمَةٌ للاحقتها، وثمرة لسابقتها، إذ لا يُعقل أن يَسُوسَ منزله مَنْ لم يَسُسْ نفسه، أو يسوس أمةً من لم يَسُسْ إدارة منزله.
- **التلطف في الدعوة** (النصح علاج مرٌّ، فليصحبه شيء من حُلو الكلام) وعلى الداعية أن يسوق موعظته في أسلوب طيب جميل بعيد عن السباب والشتائم، وقسوة العبارات حتى لا ينفر منه المدعوُّون.
- **التخطيط وأهميته في الدعوة، وفي عموم حياة الإنسان.**
- **استخدام الأسلوب العقلي (المقارنة) للإقناع وتغيير المفاهيم الخاطئة** ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ وبيان أهمية السؤال وأسلوب الاستفهام الإنكاري في الدعوة.
- **استخدام أسلوب التدرج في الدعوة** (تلطف، لين، حذر، توغل إلى قلب المدعو، الإفصاح عن أمر الدعوة، ثم كسب المدعو إلى صف الدعوة)
- **من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه.**[1]

(1) انظر: تاريخ الدعوة، 1/ 214-247. مرجع سابق.. وانظر: دروس وعبر من قصة يوسف، طلال مشعل. (مقال) في:26 / 1/ 2017، على الرابط:

http://www.al-maktabeh.com/Articles.aspx?id=1881

المبحث الثاني: الدعوة في زمن الرسول ﷺ

تمهيد: منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى

مِنْ دراسة سيرة الدعوة النبوية بمختلف مواقفها وصورها نتعلم المنهج الدعوي الذي سار عليه رسولنا الكريم ﷺ وكيف تعامل مع أخطاء الناس، وجفاء الأعراب، ومكايد الأعداء ودسائس المنافقين، فقد كان رؤفًا رحيمًا، وكان حريصًا على هداية الخلق إلى الحق، وكان حكيمًا في معالجة المشكلات والمواقف المختلفة، وكان حليما يعذر الجاهل حتى يتعلم، وبهذا المنهج وهذه الأخلاق استطاع رسول الله ﷺ إخراج الأمَّة الأمِّيَّة من ظلمات الجهل والتعصُّب، والشتات والتفرق إلى نور الإسلام، وهداية الرحمن، والترقي في ذلك حتى كانت خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس.

إن الناظر في أحوال العرب في جاهليتهم وما فيهم من قسوة الطباع، وقوة العصبية، والتعلق بعبادة الأصنام وطاعة الجان والكهان، وتقديس التقاليد والعادات، وموروث الآباء والأجداد من غير تأمل ولا برهان، ليعجب كيف تحولت أخلاقها وتبدلت طباعها في وقت وجيز، فصارت أمة ذات علم وحضارة، وأخلاق سامية، وجهاد في سبيل الله لهداية الخلق جميعاً إلى الهدى والنور، لقد كان رسول الله ﷺ ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩

قال عبد الله بن الزبير: أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يأخذ العفوَ من أخلاقِ الناسِ. أي يتجاوز عن أخطائهم ومالا ينبغي من أقوالهم وأفعالهم[1].

والوقائع الدالة على ذلك كثيرة جدًّا منها:

-قصة الأعرابي الذي جذب برداء رسول الله ﷺ، حتى أثرت حاشية الرداء في

(1) صحيح البخاري. حديث رقم: 4643.

صفحة عاتقه ﷺ طالباً منه أن يعطيه من مال الله، فكان رد رسول الله ﷺ أن نظر إليه بكل هدوء ثم تبسم في وجهه وأمر له بالعطاء.[1]

-ومنها قصة الشاب الذي جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مَهْ، مَهْ، فقال ﷺ : ادْنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «أفتحبه لأمك؟» قال: لا والله - جعلني الله فدائك- قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله -جعلني الله فداءك- قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله -جعلني الله فداءك- قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله -جعلني الله فداءك- قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله -جعلني الله فداءك- قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر له ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.»[2].

فقد ناقش النبي ﷺ الشاب مناقشة عقلية منطقية وأحسن التصرف معه، ولم يزجره وينهره رغم الجرأة وسوء الأدب في طلبه، وتدرج معه في الخطاب حتى اقتنع وتبين له خطؤه في هذا الطلب.

-ومنها قصة الأعرابي الذي بال في طائفة من المسجد النبوي فكان التصرف معه حكيما مراعيا لعدد من المصالح الشرعية[3].

والمنهج النبوي في الدعوة مستمد من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ح رقم:3149 ومسلم، حديث رقم: 128.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 5/ 256، 257 من طريقين بإسناد صحيح من حديث أبي أمامة الباهلي.

(3) صحيح مسلم، حديث رقم: 24

★★ومعالم المنهج النبوي في الدعوة من خلال الآية السابقة تتمثل في الآتي:

-الإخلاص لله وابتغاء ثوابه والدعوة إلى سبيله وحده لا سبيل غيره.

-العلم الشرعي بكل ما يدعو إليه من عقائد وأحكام وآداب وهو الحكمة المأمور بها في الآية.

-التذكير بالله وصفاته ودلالات تلك الصفات والأسماء، وبعظمته ودقة خلقه وبديع صنعه واستشعار رقابته وإحاطته بالعبد، وبيان ثوابه وعقابه والدال عليه من الآية قوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ﴾.

-الرحمة والشفقة بالمدعوين والإحسان إليهم وإلانة الكلام معهم حتى تكون الموعظة والتذكير حسنة وإحسانًا.

-استعمال الأسلوب الأمثل والمناسب لكل حالة، والمعبر عنه في الآية بالحكمة، والتي تعني وضع الشيء في موضعه، وهذا أحد معانيها.

الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ

الدَّعْوَةُ السِّرِّيَّةُ: هي الدعوة في نطاق الأسرة والأهل ومَنْ يَثِقُ بهم، وكانت بعد معاودة الوحي من انقطاع دام فترة من الزمن، ونزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾المزمل: ١ واستمرت لمدة ثلاث سنوات.

وأَوَّلُ مَنْ آمنَ بِهِ وأول من عَرَف بأمر النبوة والرسالة زوجته خديجة -رضي الله عنها -فآمنت وصدقت وآزرت ونصرت ثم بقيَّة أهل البيت النبوي، مولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب الذي كان غلامًا شابًا في حِجره ورعايته.

وقد عرض رسول الله ﷺ الإِسلام على أبي بكر الصديق فبادر إِلى الإِسلام من غير تردد حيث كان صديقاً لرسول الله ﷺ وقد روى ابن إِسحاق أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت أحدًا إِلى الإِسلام إِلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إِلا أبا بكر».

يشهد له حديث أبي الدرداء عند البخاري، وفيه قول النبي ﷺ : «إِن الله بعثني

إِليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صَدَقت، وواساني بنفسه وماله.... الحديث »[1].

وكان أبو بكر ﷺ صاحب مال، وكان محببًا مآلفًا لقومه، وقد استفاد من هذه الصفات في الدعوة إِلى الله، فإِنه ﷺ بعد معرفته للحق وإِسلامه أخذ يدعو إِلى الله وإِلى الإِسلام من وثق به من قومه، فأسلم على يديه ثُلَّةٌ من السابقين الأولين والعشرة المبشرين بالجنة، والذين أصبحوا فيما بعد قادة وسادة في الأمة، منهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، فجاء بهم إِلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصدَّقُوا. ثم جاء من الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم.

وهكذا كان أبو بكر ﷺ يدعو إِلى الله ويجتهد ويأتي بالرجالِ تلو الرجال ويتخير الثقات والأبطال، وفي هذا درس للدعاة، وأهمية علو الهمة والاجتهاد في الدعوة إِلى الله مع الإِخلاص وابتغاء ثوابه.

وقد أسلم في السنوات الثلاث عدد من الرجال والنساء والشباب، ومن الأحرار والعبيد ما يقارب الأربعين نفسًا، وقد دخل الإِسلام أغلب البيوت في مكة، لكنهم كانوا يُسْلِمُونَ سِرًّا ويكتمون أمرَهم خوفًا من المشركين.

والمتأمل في أسمائهم وأنسابهم يجد أنهم من كافة الطبقات وهكذا الحق يُقْبِلُ عليه الجميع ولا يكون مقصورًا على طائفة أو قَبِيلٍ دون آخر.

الحكمة من سِرِّيَّة الدعوة في أول أمرها

تظهر الحكمة من سرية الدعوة في أول أمرها من خلال ما يأتي:

*مجابهة المجتمع -أي مجتمع إنساني- بما يخالف ما هُمْ عليه من عادات وأعراف سائدة، يحتاج إِلى حكمةٍ وإِعدادٍ وتكوينٍ للعناصر المُسْتَجِيبَةِ حتى يشتَدَّ عُودُهَا ويَكْثُرُ عَدَدُهَا. وفي هذا تعليم للدعاة إِلى الله، وبيان لمشروعية الأخذ بالحَيْطَةِ والأسبابِ الظاهرة.

(1) صحيح البخاري. كتاب فضائل الصحابة. باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا. حديث: 3461. 3/ 1339.

* اتخذ النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي التي تقع عند جبل الصفا مكانًا لاجتماعه بِمَنْ أسلم من أصحابه، ويرجع ذلك لأمور منها:

موقعها القريب من المسجد الحرام، غير أَنَّهُ لا يقع تحت نظر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة. وصاحبها كان شابًّا عزبًا من بني مخزوم وعمره سِتَّةَ عشرَ سنة، وقد أسلم ولا يعلم عن إِسلامه أحدٌ من قومه، وكان من بني مخزوم المنافِسَةِ لبني هاشم، حيث تَسْتَبْعِدُ قريش اختفاءَ محمدٍ ﷺ ومن معه في قلبِ دارِ عَدُوِّهِ. وكان والده كفيف البصر.

*وقد استمر اجتماع النبي ﷺ بأصحابه في هذه الدار سِرًّا حتى بعد إِعلان الدعوة والجهر بها، وبعد الهجرة إِلى الحبشة، فقد أسلم عمر في السنة السادسة والنبي ﷺ في دار الأرقم. **ثم بدأت الدعوة في الجهر والعلانية** بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤

روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا أَبو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شعَيْب، عَن الزّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَني سَعِيد بن المسَيّب وأَبو سَلَمَةَ بن عَبدِ الرّحمنِ: أَنَّ أَبا هرَيْرَةَ [1] ﷺ قَالَ:

(1) أبو هريرة الإمام الفقيه الحافظ الداعية العظيم المبلغ عن رسول الله ﷺ العلم الكثير، اختلف في اسمه على نحو ثلاثين قولا، الراجح منها أن اسمه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي بلغ عن رسول الله ﷺ " 5374 " حديثا. اتفق البخاري ومسلم على " 326 " حديثا، وانفرد البخاري ب " 93 "، حديثا، ومسلم ب " 98 " حديثا، فقد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا طيبا مباركا فيه، وهذا بفضل الله تعالى ثم بدعوة النبي ﷺ له، فقد قال رضي الله عنه: تزعمون أني أكثر الرواية عن رسول الله ﷺ والله الموعِد – أي يحاسبني إن تعمدت كذبا– كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وإنه حدث ﷺ يوما فقال: " من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه فلن ينسى شيئا سمعه مني "، فبسطت بردة كانت علي، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئا سمعته منه. [البخاري برقم 7354، ومسلم برقم 2492، وقد حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، قال البخاري: روى عنه ثمانمائة أو أكثر، وكان مع ذلك عاملا بعلمه متواضعا؛ ولهذا كان خليفة لمروان، فجاء يحمل حزمة حطب في السوق فقال: أوسع الطريق للأمير. مات ﷺ سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان، وقيل: سنة تسع، والراجح كما قال البخاري وابن حجر أنه مات سنة سبع وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي (ط:3، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1405هـ – 1985م) 2/ 578 –632، والإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط:1، دار الكتب العلمية– بيروت، 1415هـ) 4/ 202 –211.

«قَامَ رَسول الله ﷺ حينَ أنزَلَ الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، قال: «يَا مَعْشَرَ قريشٍ -أَوْ كَلِمَة نَحْوَهَا-اشْتَرُوا أَنفسَكمْ، لَا أُغْنِي عَنْكمْ مِن الله شيْئا. يَا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكمْ مِنَ الله شَيْئا. يَا عَبَّاس بنَ عبدِ المطلبِ، لا أغنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئا. يَا صَفِيَّة عمةَ رسولِ الله، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئا. ويَا فَاطِمَة بِنتَ محَمدٍ، سَلِيني مَا شِئتِ مِن مَالي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئا»[1]. وفي رواية: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ اشْتَرُوا أَنْفسَكمْ مِنَ الله، يَا بَنِي عَبْدِ المطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفسَكمْ مِنَ الله، يَا أُمَّ الزّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ عَمَّة رَسولِ الله، يَا فَاطِمَة بِنْتَ محَمَّدٍ اشْتَرِيا أَنْفسَكمَا مِنَ الله، لَا أَمْلِك لَكمَا مِنَ الله شَيْئا سَلانِي مِنْ مَالي مَا شِئْتمَا» [2].

شرح غريب الحديث

* **العشيرة:** عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته [3].

* **يا معشر قريش:** المعشر: كل جماعةٍ أمرهم واحد، نحو: معشر المسلمين، معاشر المشركين، ومعاشر: جماعات الناس [4] ويا معشر: مثل قوله: يا بني فلان، يا بني فلان [5] فقوله: «يا معشر قريش» أي يا جماعة، أو يا قبيلة قريش.

* **اشتروا أنفسكم من الله:** العبد مشترٍ لنفسه باعتبار تخليصها من العذاب، بائع باعتبار تحصيل الثواب [6] كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء،

---

(1) كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية 6/ 551، برقم 3527. وفي كتاب التفسير، 26 -سورة الشعراء، باب وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ 8/ 501 برقم 4771، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ 1/ 192، برقم 204، ورقم 206.

(2) كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية 6/ 551، برقم 3527. مرجع سابق.

(3) انظر: مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي (ط:5، المكتبة العصرية - بيروت، 1420هـ- 1999م) مادة «عشر» ص 182، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، مادة «عشر» 2/ 602.

(4) انظر: لسان العرب، باب الراء، فصل العين 4/ 574.

(5) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدر الدين العيني (دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت) 19/ 102.

(6) انظر: لسان العرب. 14/ 428، وشرح الكرماني على صحيح البخاري 14/ 131، وعمدة القاري للعيني، 16/ 93.

كأنهم جعلوا طاعة الله ثمن النجاة [1]، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ التوبة: ١١١، فالمؤمن في هذا المقام بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة[2].

* **أنقذوا أنفسكم من النار**: من الإنقاذ: خلّصوها من النار بترك أسبابها والاشتغال بأسباب الجنة [3]يقال: أنقذت فلانا: إذا خلصته مما يكون قد وقع فيه أو شارف أن يقع فيه [4].

* **لا أغني** أي: لا أدفع، والمعنى لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم[5].

الدروس الدعوية المستنبطة من الحديث

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

أولا: دعوة الأقربين: مما لا شك فيه أنه يلزم الداعية إلى الله تعالى أن يعتني بأقاربه عناية خاصة؛ لأن الله عز وجل أمر نبيه محمدا ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين؛ وأنهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان؛ ولهذا قال ﷺ : «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة» [6]، ولا شك أن دعوة العشيرة الأقربين وتوجيههم إلى

---

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ط: 1، دار الريان للتراث- القاهرة، 1407هـ/ 1986م) 8/ 503.

(2) انظر: السابق نفسه.

(3) انظر: مقاييس اللغة. أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر- القاهرة، 1399 -1979م) مادة (نقذ) ص 1044، تفسير غريب ما في الصحيحين. أبو عبد الله بن أبي نصر الحَمِيدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز (ط:1، مكتبة السنة – القاهرة، 1415هـ- 1995م) ص 315، وحاشية السندي على سنن النسائي 6/ 248.

(4) انظر: لسان العرب، باب الياء، فصل العين، 15/ 137، وجامع الأصول في أحاديث الرسول. مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط (ط:1، مكتبة دار البيان-بيروت، 1969) 2/ 292.

(5) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 3/ 80.

(6) انظر: السابق نفسه.

سعادتهم الأبدية أعظم وأولى من الصدقة بالمال.

والناس في الغالب ينظرون إلى قرابة الداعية، ومدى تطبيقهم لما يدعو إليه؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولا، أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة، فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نَصَّ له على إنذارهم»[1]، ولهذا كان عمر ﷺ إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: «إني نهيت الناس عن كذا وكذا»، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة» [2].

ثانيا: التدرج في الدعوة: بدأ رسول الله ﷺ بالدعوة السرية بعد أن أمره الله تعالى بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ المدثر: ١ - ٧، وبعد هذه الآيات بدأ رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على من يعرفهم ويعرفونه: يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا بالسابقين الأولين. ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ الحجر: ٩٤ - ٩٥، وهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل إليه[3] وأمره تعالى بإنذار عشيرته الأقربين، فبدأ ﷺ دعوته الجهرية بإنذارهم.

---

(1) فتح الباري 8/ 503، وانظر: هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري. لعبد الرحيم الطهطاوي (ط:3، مطبعة الاستقامة، 1363هـ) 2/ 341.

(2) انظر: تاريخ الرسل والملوك. محمد بن جرير للطبري (ط:2، دار التراث- بيروت، 1387هـ) 2/ 68، الكامل في التاريخ. عز الدين ابن الأثير (ط:1، دار الكتاب العربي -بيروت، 1417هـ -1997م) 3/ 31.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (ط:1، مؤسسة الرسالة- بيروت، 2000م) 7/ 151.

★ وقد بين ابن القيم رحمه الله ترتيب الدعوة للنبي ﷺ وأنها على الترتيب الآتي:

☜ الأولى: النبوة.

☜ الثانية: إنذار عشيرته الأقربين.

☜ الثالثة: إنذار قومه.

☜ الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله: وهم العرب قاطبة.

☜ الخامسة: إنذار جميع من تبلغه دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر [1]

وهذا الحديث في هذا الباب دل على الدرجة الثانية؛ فينبغي للداعية أن يراعي ويسلك طريق النبي ﷺ في دعوته.

ثالثا: من صفات الداعية: الصدق. والصِّدق من أهم صفات الداعية إلى الله تعالى، وفي هذا الحديث دليل على التحرز من الكذب وتحري الصدق؛ لأن الراوي نقل عن النبي ﷺ قوله: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها» وهذا شك من الراوي هل قال النبي ﷺ هذه الكلمة أو ما معناه [2].

ولا شك أن الصدق من أهم الصفات للداعية، لا سيما في هذه المجالات الثلاثة الآتية وهي:

1 – الصدق في النية والقصد، وهذا يستلزم الإخلاص في الدعوة لله تعالى، وفي كل طاعة وقربة.

2 – الصدق في القول، وهذا يستلزم ألا ينطق الداعية بالباطل أيا كانت صورته:

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط –عبد القادر الأرناؤوط (ط:14، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1407هـ – 1986م) 1/ 86.

(2) بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها – شرح مختصر صحيح البخاري. عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ط: 1، مطبعة الصدق الخيرية بمصر، 1348هـ) 3/ 91.

كذبًا، أو شتمًا، أو سبابًا، أو غشًّا، أو غيبةً، أو نميمةً، أو غير ذلك من الألفاظ القبيحة.

3 – الصدق في العمل، وهو مطابقة الأقوال والأعمال للحق الذي يدعو إليه الداعية، فيعمل بما يدعو إليه قولا وعملا.[1] فعلى الداعية أن يكون صادقا في جميع المجالات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩

رابعا: قرب المدعو من أهل الفضل لا ينفع إلا بالعمل الصالح: لا ريب أن المدعو إذا كان قريب النسب أو الجوار لأهل الفضل لا ينفعه ذلك إلا بالعمل؛ ولهذا قال ﷺ في ندائه لبطون قريش: «لا أغني عنكم من الله شيئا »، وقال لفاطمة بنته: «لا أغني عنك من الله شيئا»، قال الإمام الحافظ ابن العربي رحمه الله في الكلام على هذه الجملة: «هذا كلام بديع، فهذا نوح عليه السلام لما كفر ابنه لم تنفعه بنوته، وهذا إبراهيم ﷺ لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، كذلك أبو طالب لم تنفعه عمومته للنبي ﷺ ولم تنجه من العذاب، وفي هذا بيان أن العصمة بالعمل الصالح لا بالقرابة، قال ﷺ: «... ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه» [2]، وكذلك الصلة بسبب النكاح لا تنفع إلا بالإيمان، وقد بين الله ذلك سبحانه في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ التحريم: ١٠ وفي قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ التحريم: ١١ فلم تنتفع زوجتا نوح ولوط بإيمان زوجيهما، ولم يضر امرأة فرعون كفر زوجها فرعون»[3].

فينبغي أن يعْلَم أن رؤية أهل الفضل أو القرب من العلماء والصالحين ومخاطبتهم لا

(1) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (ط:3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1996م) 2/ 268.

(2) أخرجه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن 4/ 2074، برقم 2699.

(3) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي. أبو بكر ابن العربي (دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت) 6/ 272.

تنفع إلا إذا وقع الاقتداء بهم، وكلما قوي الاقتداء والعمل الصالح قوي القرب والانتفاع بإذن الله تعالى[1].

خامسا: أهمية ربط المدعوين بخالقهم: ينبغي للداعية أن يبين للناس أنهم بحاجة إلى ربهم في جميع أمورهم، وأنهم ملك لله تعالى، وهم فقراء إليه؛ ولهذا قال ﷺ : «اشتروا أنفسكم من الله»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفَّى ما عليه من الثمن»[2].

وقوله ﷺ : «اشتروا أنفسكم من الله» فقد بين الشراء ولم يبين الثمن الذي يشترى به، وقد بينه الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ التوبة: ١١١، والشراء يجوز أن يطلق على البائع والمبتاع؛ لأن كل واحد منهما في الحقيقة بائع ومشتر، فالمؤمن الحقيقي ليس له في نفسه شيء، وإنما هو عليها أمين مثل الوصي على مال اليتيم، ينفق عليه بالمعروف[3] فعلى الداعية أن يسلك منهج النبي ﷺ في ربط المدعوين بخالقهم تعالى.

سادسا: من وسائل الدعوة: الخطبة: الخطبة من الوسائل الحية في الدعوة إلى الله تعالى، وتبرز في هذا الحديث؛ لقول أبي هريرة ﷺ: « قام رسول الله ﷺ » ويبين ذلك الرواية الأخرى: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بأن النبي ﷺ صعد على الصفا فجعل ينادي[4] وهذا يبين أن النبي ﷺ خطبهم على الصفا، وعم وخص وأنذر ﷺ.

فينبغي للداعية أن يعتني بالخطبة، ويحضر لها تحضيرا جيدا دقيقا؛ لما لها من التأثير في قلوب المدعوين؛ ولأن الخطبة في الغالب يجتمع لها الجمع الغفير في معظم الأحيان.

---

(1) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة 3/ 91.

(2) فتح الباري 8/ 503.

(3) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة، مرجع سابق، 3/ 92.

(4) انظر: صحيح البخاري 6/ 19، الحديث رقم 4770، وانظر: فتح الباري لابن حجر، 8/ 501.

سابعا: من وسائل الدعوة: البروز للناس على مكان مرتفع: من الوسائل المهمة أن يبرز الداعية على مكان مرتفع يراه الناس أمام أعينهم، وخاصة إذا كان الجمع غفيرًا، حتى يسمع الناس ما يقول؛ ولهذا شرع الصعود على المنبر في خطب الجمع، كما كان يفعل ﷺ، وقد ذكر الإمام ابن العربي معنى ذلك، وأن النبي ﷺ صعد الصفا يريد الإسماع؛ ولذلك شرع للمؤذن صعود السطوح والمواضع المرتفعة؛ ليكون أقوى لصوته، وأسمع له [1]... فعلى الداعية أن يعتني بهذه الوسيلة عند الحاجة إليها.

ثامنا: اختيار الداعية الوقت المناسب للمدعوين: لا شك أنه ينبغي للداعية أن يختار الأوقات المناسبة للمدعوين، حتى يستطيع بتوفيق الله تعالى- أن يؤثر عليهم؛ ولهذا اختار النبي ﷺ وقت الصباح حينما بدأ بإنذار قريش؛ لكون هذا الوقت أنسب لهم، وأسمع لصوته [2]

فينبغي للداعية أن يتحرى أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا» [3] والمعنى كان ﷺ يراعي الأوقات في تذكيرهم [4].

تاسعا: من وسائل الدعوة: التأليف بالمال: لا شك أن التأليف بالمال من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وقد أشار إليه هذا الحديث في قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «سليني من مالي ما شئت» قال العيني رحمه الله: «فيه أن الائتلاف للمسلمين وغيرهم بالمال جائز وفي الكافر آكد»[5] فينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الذي يشخص المرض أولا، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو بحاجة إلى التأليف بالمال

---

(1) انظر: عارضة الأحوذي، 6/ 270، وفتح الباري لابن حجر، 8/ 502.

(2) انظر: عارضة الأحوذي، 6/ 270. المرجع السابق.

(3) البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوَّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، 1/ 29، برقم 68.

(4) انظر: فتح الباري لابن حجر، 1/ 162.

(5) عمدة القاري 14/ 48. مرجع سابق.

أعطاه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتني بهذه الوسيلة عناية فائقة حتى قال: «إني أعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبَّ في النار على وجهه» [1]

وقد كان ﷺ يعطي أشراف قريش وغيرهم من المؤلفة قلوبهم؛ لتلافي أحقادهم؛ ولأن الهدايا تجمع القلوب، وتجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة، وصحة العقيدة، والاستفادة من الآيات البينات، والبراهين الواضحة.

وصدق ﷺ حيث قال: «تهادوا تحابوا» [2].. وللتأليف بالمال أمثلة كثيرة من هديه ﷺ[3]، فينبغي للداعية أن يسلك هذا المسلك عند الحاجة إليه.

عاشرا: من وسائل الدعوة: التأليف بالجاه والنسب: من الوسائل النافعة في الدعوة إلى الله تعالى: التأليف بالجاه أو بالنسب؛ وفي هذا الحديث ما يشير إلى ذلك عنه ﷺ حيث قال: «ويا صفية عمة رسول الله.. ويا فاطمة بنت محمد»، فكأنه ﷺ يرقق قلب صفية وفاطمة رضي الله عنهما لما لهما من القرابة منه ﷺ، وقد نادى ﷺ عباس بن عبد المطلب، وصفية بنت عبد المطلب، وفاطمة بنت محمد لشدة قرابتهم منه [4] وقد استخدم النبي ﷺ التأليف بالجاه؛ فقال ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء: «أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ ؛ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ؛ فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا» [5].

---

(1) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة 1/ 15، رقم 27، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه 1/ 132، برقم 150.

(2) البيهقي في السنن الكبرى 6/ 169، والبخاري في الأدب المفرد ص 208، برقم 594، وحسن إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير 3/ 70، وانظر: إرواء الغليل للألباني برقم 1601.

(3) انظر: البخاري مع الفتح 3/ 135، 6/ 250، 11/ 258، وصحيح مسلم 4/ 1803 -1806.

(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 3/ 80.

(5) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم 4/ 71، برقم 3147، ومسلم، كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه 2/ 734، برقم 1059.

وفي رواية: «... لو سلك الناس واديًا أو شِعْبًا، وسلكت الأنصار وادِيًا أو شِعْبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار» [1].

فينبغي للداعية أن يسلك منهج رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله تعالى.

الحادي عشر: من أساليب الدعوة: النداء بالأنساب والكنى: ظهر في هذا الحديث أن النبي ﷺ استعمل النداء بالأنساب والكنى في دعوته إلى الله تعالى فقال: «يا بني كعب بن لؤيٍّ... يا بني مرة بن كعب... يا بني عبد شمس... يا بني عبد مناف... يا بني هاشم... يا بني عبد المطلب... يا بني فهر... يا بني عدي... يا عباس بن عبد المطلب، يا صفية عمة رسول الله، يا فاطمة بنت رسول الله» [2].

وفي رواية: «... يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله ﷺ» [3].

فدل ذلك على أنه لا حرج على الداعية أن يستخدم مثل هذا إذا احتاج إليه [4] إذا كان مما يجلب قلوب المدعوين، ويدخل السرور عليهم والأنس والراحة، وقد عِلِمَ بالتجارب أن النداء بالكنى المباحة يدخل السرور على المنَادَى.

الثاني عشر: من أساليب الدعوة: التكرير بالإنذار: إن أسلوب التكرير وإعادة الإنذار والتوجيه مرة بعد أخرى أسلوب نافع؛ لأن الناس قد ينسون بعد فترة من الزمن، وهذا يبين للدعاة إلى الله تعالى أهمية هذا الأسلوب، فإذا ألقى الداعية كلمة، أو خطبة، أو محاضرة، أو نصيحة على قوم من المدعوين ثم احتاج إلى إعادتها بعد فترة فلا حرج في ذلك؛ لأن المقصود أن يفهم الناس ما يلقى إليهم ويستوعبوه، فإذا لم يحصل هذا كرر ما يلقى إليهم حتى يرسخ في أذهانهم. قال الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث الباب: «ونداؤه

---

(1) مسلم، كتاب الزكاة، الباب السابق 2/ 735، برقم 1059.

(2) انظر: البخاري مع الفتح 5/ 383، 6/ 551، 8/ 501، ومسلم 1/ 192 -193.

(3) البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية 4/ 194، برقم 3527.

(4) انظر: فتح الباري لابن حجر، 6/ 551. مرجع سابق.

ﷺ للقبائل من قريش قبل عشيرته الأدْنَين؛ ليكرر إنذار عشيرته، ولدخول قريش كلها في أقاربه، ولأن إنذار العشيرة يقع بالطبع وإنذار غيرهم يكون بطريق الأولى» [1]

ثم قال رحمه الله: «وهذه القصة إن كانت وقعت في صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابن عباس، لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة، وفي نداء فاطمة يومئذٍ أيضا ما يقتضي تأخر القصة؛ لأنها كانت حينئذٍ صغيرة أو مراهقة. والذي يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة في صدر الإسلام... ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة رضي الله عنها، أو يحضر ذلك أبو هريرة وابن عباس رضي الله عن الجميع» [2].

وهذا يوضح للداعية أنه ينبغي له أن يكرر ما يحتاج إليه الناس بدون ملل ولا كسل.

الثالث عشر: من أساليب الدعوة: الترهيب يظهر في هذا الحديث أسلوب الترهيب، وأنه من أساليب الدعوة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها؛ لأن الترهيب يكون بما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله [3].

فقد دل هذا الحديث على الترهيب من النار في قوله ﷺ بعد نداء كل بطن من بطون قريش: «أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا» [4].

الرابع عشر: من أساليب الدعوة: الترغيب: دل هذا الحديث على أسلوب الترغيب، وهو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه [5]؛ ولهذا قال ﷺ :

---

(1) المرجع السابق 6/ 552، 8/ 502.

(2) فتح الباري لابن حجر، بتصرف يسير 6/ 552، 8/ 502.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (رهب) 2/ 280، ولسان العرب، باب الباء، فصل الراء، 1/ 436، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، باب الباء، فصل الراء، ص 118.

(4) هذا لفظ مسلم في صحيحه 1/ 192.

(5) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (رغب) 2/ 236، ولسان العرب، باب الباء، فصل الراء، 1/ 422، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الباء، فصل الراء، ص 116.

اشتروا أنفسكم من الله، قال الكرماني: «فإن قلت ما معنى الاشتراء وهم البائعون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾، قلت: العبد مشتر لنفسه باعتبار تخليصها من العذاب، بائع باعتبار تحصيل الثواب»[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: «اشتروا أنفسكم من الله» أي باعتبار تخليصها من النار؛ كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا طاعة الله ثمن النجاة، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾، فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفَّى ما عليه من الثمن»[2].

وهذا واضح في دلالة الحديث على أسلوب الترغيب، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدمه في دعوته.[3]

هذا، ويمكن الإشارة إلى ملامح الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ من بداية مبعثه نَبِيًّا رسولًا -في مكة وما حولها- إلى بداية هجرته إلى يثرب، ومن بداية هجرته الشريفة إلى وفاته ﷺ وذلك على النحو التالي:

أولا: الملامح العامة للدعوة الإسلامية في العهد المكي

يمكن للباحث في سيرة الدعوة الإسلامية في العهد المكي أن يقف على بعض الملامح العامة فيها، ومن ذلك:

-الاهتمام بتبليغ الدعوة، ونشرها سِرًّا وجهرًا، بدءًا بالأقرب فالأقرب، إنقاذًا

(1) شرح الكرماني على صحيح البخاري، 14/ 131.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 8/ 503.

(3) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري. 1/ 78-89 بتصرف. مرجع سابق.

للناس من الضلالة إلى الهدى، وإخراجًا لهم من الظلمات إلى النور.

ومن الجدير بالذكر: أنَّ السِّرِّية بالدعوة في عهدها المكي لم تكن في المنهج؛ لأنه كان ظاهرًا جَلِيًّا لأهل مكة ومَنْ حولها -وهذا ما يجب أن يكون عليه حال الدعوة في مختلف الأحوال والظروف التي تَمُرُّ بها، وعلى مَرِّ العصور واختلاف الأماكن؛ ليعلمه الناس ويتحدثون به في ناديهم-ولكن السِّرِّية كانت لأتباع هذا المنهج الذي يحملونه تعليمًا وتطبيقًا، ثم تبليغًا وتعليمًا لغيرهم، إذْ كانوا قليلًا مُستضعفين بين الجموع الكثيرة المخالفة لهم، فلو لم تكن السريَّة في حقهم لقُضِيَ عليهم، وقُضي على الدعوة في مهدها.

-الاهتمام بتربية مَن استجاب للدعوة، والعمل على تزكيتهم وتربيتهم على هَدْيِ الإسلام؛ وذلك لبناء قاعدة إسلامية قويَّةٍ صُلْبَةٍ تقوم عليها الدولة المسلمة وقد تحقق ذلك من خلال الآتي:

- الحرص على تعليمهم لأمور دينهم.

-العمل على تطبيق الإسلام في واقع حياتهم.

- العمل على تعميق معاني الأخوة الإسلامية فيما بينهم.

-التواصي بالحق، والتواصي بالصبر على تحمِّل الأذى في سبيل الله.

-الحرص على عدم مواجهة الأعداء بالقوة، والاكتفاء بمواجهتهم بجهاد الدعوة. قال الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ بذلك: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ الفرقان: ٥١-٥٢

يقول ابن قيم الجوزية-رحمه الله-في ذلك: «الجهاد نوعان: جهاد باليد والسِّنان، وهذا المشارِكُ فيه كثير. جهاد بالحُجَّةِ والبيان، وهذا جهاد الخاصَّة من أتباع الرُّسُل، وهو جهاد الأئمة، وأفضل الجهادين؛ لِعِظَمِ منفعته، وشدَّة مؤنته، وكثرة أعدائه. فهذا جهادٌ لهم

بالقرآن، وهو أكبر الجهادين».[1]

-التحرك بالدعوة، وعدم الجمود بها على مكان نشأتها؛ فقد توجه النبي ﷺ نحو الطائف، ثم هاجر إلى المدينة المنورة عندما استعصت عليه مكة المكرمة.

-استمرار العمل والتخطيط لمستقبل الدعوة، كما فعل ﷺ حيث أرسل الرسل إلى المدينة المنورة، وأخذ البيعة من أهل العقبة، وأمر بالهجرة وخطط لها، ثم نفَّذ كل ذلك تنفيذًا دقيقًا وذلك أخذًا بالأسباب، وموازنةً بين الأخذ بها وبين التوكل على الله وحده.

ثانيًا: الملامح العامة للدعوة الإسلامية في العهد المدني

كما يمكن للباحث الوقوف على ملامح الدعوة في العهد المدني من خلال الآتي:

-الاهتمام بمتابعة عملية التبليغ للدعوة، والتربية والتزكية للمستجيبين لها، وذلك عن طريق تلاوة آيات القران على الناس، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، والاهتمام ببناء المساجد وإعمارها، وعقد الأخوة الخاصة بين المهاجرين والأنصار وتوثيق الصلات بينهم.

-الحرص على إقامة الدولة المسلمة عند اكتمال أركانها الثلاثة وهي:

أ. القاعدة الصلبة من المؤمنين. ب. الأرض الملائمة. جـ. النظام الواضح؛ لأن الدولة أكبر دعامة للدعوة، وأهم مؤسسة رسمية من مؤسساتها، فمن خلالها يتم التنظيم والترتيب لنشرها، وإعداد الدعاة الذين يقومون بتبليغها وتعليمها لمن يجهلها، كما يتم الدفاع عنها وحمايتها من المتربصين بها، وفتح الطريق أمامها لتنتشر وتحقق عالميتها.

-الاهتمام بتطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية، من إقامة الشعائر الإسلامية، وتنفيذ الحدود، والفصل بين الخصومات إقامةً لحكم الله في

(1) مفتاح دار السعادة، لابن القيم. 1/ 190، 191. مرجع سابق.

الأرض من جهة، وتقديمًا للنموذج الإسلامي الكامل الصالح لكل زمان ومكان من جهة أخرى.

-مهادنة الأعداء المهادنين والمجاورين، ومعايشتهم في ضوء نظام واضح يضبط العلاقات، ويطلعهم على محاسن الحياة الإسلامية، ويعكس لهم الصورة الصحيحة المشرقة لها من جهة ويدعم استقرار الدولة المسلمة من جهة أخرى.

-مجابهة الأعداء المحاربين، وإرهاب المتربصين في الداخل والخارج عن طريق السرايا والغزوات، والإعداد المتواصل لذلك.

-تحقيق عالمية الدعوة الإسلامية عن طريق الانطلاق بها في أكثر من اتجاه، وعلى أكثر من صعيد، عن طريق كتابة الرسائل، وإرسال الرسل، وبعث البعوث، واستقبال الوفود وما إلى ذلك من ملامح كثيرة يمكن أن يقف عليها المتمعن في سير الدعوة في العهد المدني.

ما الهدف من عرض المنهج الحركي لدعوته ﷺ ؟

إنَّ الهدف من عرض المنهج الحركي لدعوته ﷺ هو أن تمتلك الحركة الإسلامية المعاصرة دليلَ عملٍ تسيرُ على ضوئه، وتبني خُطَّتَها الدعوية على هدْيِهِ. كما يمكن للدعاة إلى الله الاستفادة منه في الأمور الآتية:

-التفريق بين الأسس الدائمة الثابتة، وبين الخطوات المرحلية المتدرجة في تبليغ الدعوة.

-عدم وضع أحكام مرحلة اكتمال الدين وانتصار الإسلام، محل أحكام مرحلة العهد المكي بنوعيه (المرحلة السِّرِّيَّة والجهرية).

-اختيار الدعاة اليوم الشَّبَهَ المناسب من المرحلة المناسبة حين يفاجؤون بالواقع حتى يحقق المنهج هدفه الذي كُتب من أجله.

المبحث الثالث: الدعوة الإسلامية في زمن الخلافة الراشدة

ظلَّت فترة الخلافة الراشدة ثلاثين عامًا منذ وفاته ﷺ إلى استشهاد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ حيث وَلِيَ أبو بكر الصديق ﷺ أمْر الخلافة للأمَّةِ مدة عامين وثلاثة أشهر. وَوَلِيَ الفاروق عمر-رضي الله عنه-أمْر الخلافة مُدَّة عشرة أعوام وستة أشهر ونصف الشهر. وَوَلِيَ ذو النوريْن عثمان ﷺ أمْر الخِلافة مُدَّة اثنا عشر عامًا وعشرة أيام. وَوَلِيَ أبو الحسن عليٌّ ﷺ أمْر الخلافة مُدَّة خمسة أعوام تقريبًا.

وقد استمرت حركة الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين؛ تبليغًا للإسلام، وتعليمًا له، وتطبيقًا لأحكامه بين المسلمين كما كان سابق عهدها في زمن النبي ﷺ. واتَّسعت دائرة انتشار الإسلام، وامتدت رقعته في عهد الخلفاء الثلاثة الأُوَل-رضي الله عنهم-وتوقفت قليلًا في عهد عليٍّ ﷺ وذلك بسبب انشغال المسلمين بالأحداث الداخلية، والفتن التي كادت أن تعصف بالأمَّة منذ استشهاد الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه وأرضاه.

ملامح الدعوة في هذا العهد

يمكن تلخيص ملامح الدعوة في عهد الخليفة الأول والثاني في النقاط التالية:

-توجهت الجيوش الإسلامية إلى أرجاء الجزيرة العربية، وبلاد فارس والعراق؛ تحمل دعوة الإسلام، وتجاهد لإعلاء كلمة الله حتى خضعت هذه الرقعة من الأرض للحكم الإسلامي.

-تحرك جيش المسلمين بقيادة أبي عُبيدة عامر بن الجراح إلى بلاد الشام وخاض (معركة اليرموك مع الروم)

-تحرك جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة إلى بلاد الرافدَيْنِ

(العراق) كما تحرك جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقَّاص إلى بلاد العراق وفارس وخاض معركة (القادسية وهزيمة الفرس بقيادة رستم)

-حرك جيش المسلمين بقيادة حُذَيْفَة بن اليمان إلى بلاد فارس وخاض معركة (نهاوند والمسماة بفتح الفتوح).

-كما تحرك جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر، وبيت المقدس بفلسطين

-في عهد عثمان ﷺ، امتدت الفتوحات إلى غرب إفريقية، وبلاد ما وراء النهر حتى وصلت دعوة الإسلام إلى (كابل بأفغانستان)، و(غزنه في بلاد الترك، وأذربيجان، وأرمينية، وبلاد النوبة والسودان بجنوب مصر)

-رافق الامتداد الجغرافي للدعوة الإسلامية في هذا العهد، الامتداد الفكري-الذي فهم الإسلام منهجًا للحياة-فدخل معظم أصحاب هذه البلاد المفتوحة في الإسلام طواعية؛ ورأوا فيه خير منقذٍ لهم مما هم فيه، وأفضل مصلحٍ لأحوالهم، ومن ثم اعتنقوه ودانوا به.

-نشطت حركة العلم والتعليم في هذا العهد، واجتهد المسلمون في الحفاظ على وحدتهم الثقافية والروحيَّة التي كانت دعامة قويةً لهذه الفتوحات.

أبرز جهود المسلمين الفكرية في هذا العهد

تتمثل هذه الجهود في الآتي:

-الحفاظ على القرآن الكريم وجمعه في عهد أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ وتدوينه وكتابته في مصحفٍ واحدٍ جامعٍ (مصحف الإمام) في عهد سيدنا عثمان ﷺ

-الحرص على نشر العلم بين المسلمين، ومحاربتهم الجهل بالإسلام، والبِدع والخرافات.

-بلورة منهج جديد في فهم الواقع المعيش بمستجداته، وإنزال النصوص عليه. وقد سُمِّيَ بالمنهج الراشدي-نسبة للخلافة الراشدة – من أجل التعامل مع المستجدات والأمور المستحدثة بعد عهد النبي ﷺ خاصة التي لم يرد فيها نص شرعي يبين حكمها من ناحية الجواز أو المنع.

وخلاصة هذا المذهب تتمثل في: النظر فيما يستحدث من الأمور، وإيجاد حكم شرعي للتعامل معها، مثل موضوعات:

(جمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر، وتدوينه في مصحف جامعٍ في عهد سيدنا عثمان، وجمع الناس على إمام واحدٍ في صلاة القيام في شهر رمضان في عهد سيدنا عمر، واستحداث الأذان الثاني للجمعة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنهم أجمعين) وغير ذلك من الأحكام التي استُحْدِثَت بعد زمن النبي ﷺ ؛ نظرًا لظروف العصر الذي عايشوه بما يحمل من مستجدات تقتضي ذلك.

المبحث الرابع: الدعوة في العهود المتعاقبة بعد عهد الخلافة الراشدة

تمهيد

بدأ العهد الأُمَوِيِّ سنة 40 هـ، بولاية معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وانتهى بنهاية ولاية مروان بن الحكم وقتله سنة 132 هـ

وبدأ العهد العباسي سنة 132هـ، بولاية أبي العباس السفاح، وانتهى بسقوط المستعصم بالله سنة 656هـ.

كما بدأ العهد العثماني بتولي الأمير (عثمان بن أرطغرل) سنة698هـ الموافق: 1299م، بعد زوال دولة السلاجقة بمداهمة المغول لها، وانتهى بسقوط دولة الخلافة العثمانية 1343هـ الموافق 1924م.

(أ) ملامح الدعوة في العصر الأموي

كانت جيوش المسلمين تفتح يومًا بعد آخر أرضًا جديدة من بلاد الشام والعراق وفارس، وكان العلماء المتخصصون في أمور الشريعة الإسلامية، والفقه والحديث والتفسير في أثرهم، ملازمين لهم؛ يشرحون لأهل هذه البلاد المفتوحة تعاليم الإسلام، ويرغبونهم في الدخول فيه، ويعلمونهم أحكامه.

وقد تفرَّق هؤلاء العلماء في جميع أرض الإسلام التي دانت به بعد أن فتحتها الجيوش الإسلامية، وقاموا بنشر الإسلام فيها تبليغًا، وتعليمًا وتطبيقًا، ونتج عن ذلك كله حركة علمية في كل بلد نزلت فيها هذه الجيوش ومعهم هؤلاء العلماء، وتكونت المدارس التعليمية، وحلقات العلم المتنوعة، وأحدث كل ذلك حركة علمية، ولغوية حافظت على لغة القرآن الكريم. كما عظَّمت العناية بالحديث النبوي الشريف رواية ودراسة، سيطرت على الساحة الإسلامية كلها. وربطت بين أبناء الحضارة الإسلامية برباط واحدٍ. ونجح الإسلام في إذابة النعرات القومية، وهدم الفوارق بين الناس على

حساب اللون والجنس، حيث تقدم المسلمون عَرَبًا وعَجَمًا يخدمون الدعوة الإسلامية وينشرونها بين عموم الناس.

وكان من العلماء في ذلك العصر: الحسن البصري، عبيد الله بن عمرو الليثي، عبيد بن عمير، ومسلم بن جندب الهذلي، كما انتشر الوعاظ والقصاص في أنحاء الدولة الإسلامية.

واتسعت الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية في كل من آسيا وأفريقيا في هذا العهد.

(ب) ملامح الدعوة في العصر العباسي

قوي شأن الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول والذي بدأ من سنة (132هـ ـ 447 هـ) وضعف شأنها في العصر العباسي الثاني وذلك في الفترة من (447 هـ ـ 656 هـ).

وقد كان للعلماء في هذا العصر دور بارز في نشر الدعوة الإسلامية، ونشر العلم بين جموع المسلمين، أفرادًا وجماعات.

ومن أشهر العلماء في ذلك العصر: الإمام البخاري/ الإمام مسلم/ أصحاب السنن الأربعة/ وغيرهم الكثير من علماء اللغة والسِّيَرِ والتاريخ.

(جـ) ملامح الدعوة في العصر العثماني

تابع العثمانيون مسيرة نشر الدعوة الإسلامية في دول أوروبا الشرقية التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية، وكذلك بعض الدول الواقعة في قارة آسيا، وعملوا جاهدين على إعلاء كلمة الله في الأرض، وتمَّ لهم فتح القسطنطينية عام 857هـ على يد السلطان (محمد الفاتح) كما تمَّ فتح شبه جزيرة المورة، وبلاد ألبانيا إلى حدود البندقية، وكذلك تمَّ ضم دول العالم العربي والإسلامي الواقع في قارتي آسيا وافريقيا لسلطانها.

وتابع العثمانيون الفتوحات في آسيا الصغرى، ومقدونيا، وصوفيا، ومعظم بلاد البلقان، وبلجراد حتى وصل المد الإسلامي إلى أسوار فيينا، والمجر، ودخل (سليمان بن

السلطان سليم) بودابست[1] عام 950 هـ.

أهم العوامل التي أوقفت المدّ الإسلامي في العهد العثماني

يُرْجِعُ بعضُ المؤرخين انهيار دولة الخلافة الإسلامية إلى عدة أسباب تتمثل في الآتي:

أ. عدم مواكبة الحركة العلمية والثقافية للفتح العثماني في نشر علوم الدين واللغة بين أهل البلاد المفتوحة، وعدم العناية باللغة العربية لغة القرآن الكريم بصفة خاصة.

ب. شيوع كثير من صور الانحراف، والفساد في الجبهة الداخلية للدولة، مثل: فساد الإدارة، وانتشار السرقات، وذيوع الرشوة.

جـ. سيادة الاستبداد والحكم الفردي، وغياب مبدأ الشورى في الحكم.

د. التخطيط الصليبي والصهيوني لضَرْبِ الإسلام والمسلمين في أكبر مؤسساتهم الدعوية وهي الدولة ونظام الخلافة، والعمل على هدمها.

ورغم ذلك، لم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية كليةً؛ فقد كانت للعثمانيين جهود كبيرة في مجالات العلم والتعليم، والاقتصاد. وظهر فيهم عدد كبير من العلماء في مختلف العلوم الإسلامية، تابعوا مسيرة الحركة الدعوية والفكرية. كما ظهر منهم دعاة مصلحون حاولوا الإصلاح، وقاموا بإنذار الناس بين الحين والآخر، وحفظوا على الناس دينهم بالقدر الذي أمكنهم. وفي العصر الحاضر حاول الكثير من المستشرقين، والمستغربين، وأعداء الإسلام الحاقدين على الحركة الجهادية في عهد العثمانيين التي دكَّتْ حصونهم، وهدَّدَتْ وجودهم؛ أن يشوهوا تاريخ هذا العهد المجيد بالافتراء عليه، وتزييف الحقائق التاريخية.[2]

---

(1) بودابست عاصمة المجر وأكبر مدنها. تعد المركز السياسي والاقتصادي والصناعي للبلاد. يسكنها 1.7 مليون نسمة. أصبحت بودابست مدينة واحدة على ضفتي نهر الدانوب بعد اتحاد مدينتي بودا، وأوبودا (بودا القديمة) على الضفة الغربية مع مدينة بست على الضفة الشرقية عام 1873 م. تقع بودابست سادسة في قائمة أكبر المدن في الاتحاد الأوروبي.
انظر: الرابط :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%A8%D8%B3%D8%AA

(2) لمعرفة المزيد حول التاريخ المشَرِّف لبني عثمان في خدمة الدعوة الإسلامية طالع: الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترىً عليها. عبد العزيز محمد الشناوي (ط:1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م)

المبحث الخامس: الدعوة الإسلامية في العصر الحديث

تمهيد

أراد الله تعالى أن تكون رسالة الإسلام خاتمةً لرسالات السماء قبلَها، وأن يكون رسوله محمدٌ ﷺ خاتم الرسل، وأن تكون أمته آخر الأمم، وأن يكون دستور هذه الأمة هو الكتاب الخاتم للكتب السماوية، والمهيمن عليها؛ ومن ثمَّ تكفل مُنْزِلُهُ بحفظه من التحريف والتبديل الذي طال ما قبله من كتبِ وصُحُفِ المرسلين-عليهم السلام-وهيَّأ له في الأرض مِنْ بَيْنِ خلقه مَنْ يحفظونه، ويحافظون عليه، ويعلمونه للناس، ويعملون على تطبيق أحكامه في حياتهم.

لقد هيَّأ الله -تعالى-لدعوة الإسلام علماء ربانيين، ودعاة عاملين، قاموا بواجب الدعوة، فحفظوا على الناس دينهم، وأيقظوا كثيرًا من الغافلين من سباتهم، ولاقوا في سبيل ذلك ما لاقوا من العذاب والتشتت والقتل، فصبروا وصابروا حتى أتاهم اليقين.

يبدأ تاريخ الدعوة في العصر الحديث بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية عام 1924 م، إلى يوم الناس هذا.

ومن الصعوبة بمكان للباحث في تاريخ الدعوة الإسلامية التأريخ لها في العصر الحديث؛ نظرًا لتشتت المعلومات في ذلك، وتعدد الميادين والمجالات الدعوية من جهة، وعدم توفر دراسات متخصصة شاملة لهذا العصر من جهة أخرى.

وتاريخ الدعوة في هذا العصر يشمل تاريخ كل حركة دعويةٍ فرديةً كانت، أو جماعيةً، تعليميةً، أو تبليغيةً، أو تطبيقيةً، رسميةً أو شعبيةً، في أي بلدٍ من بلاد العالم الإسلامي، أو كانت نشاطات دعوية في البلاد الإسلامية وغيرها، وهذا ميدان فسيح تصعب الإحاطة به.

كما لا يمكن لكتابة أدبية من كتابات الدعوة أن ترسم صورة كاملة لحركة الدعوة في هذا العصر، وإنما يمكن لمجموعها متكاملةً أن تحقق شيئًا من ذلك.

الملامح العامة للدعوة في العصر الحديث

يمكن تلخيص الملامح العامة للدعوة الإسلامية في العصر الذي نعيشه اليوم من خلال النقاط الآتية:

-لم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية في هذا العصر، سواء على نطاق التبليغ والنشر، أو على نطاق تعليم الإسلام وتَبْيِينِهِ للناس، أو على نطاق تطبيقه في الحياة الشخصية والحياة العامة، رغم الصدمة الكبرى التي أُصيبت بها الدعوة الإسلامية بسقوط دولة الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية)، وتوزُّع الأمة بعدها إلى دويلات صغيرة، فقد تنوعت أشكال الحركة الدعوية في هذا العصر تنوعًا كبيرًا، حتى لا يكاد أن يخلوَ قُطْرٌ من الأقطار منها.

-تنوعت مناهج وأساليب الحركات الدعوية، فكانت منها حركات جزئية، وأخرى شاملة، كما كان منها المنظمات التربوية، والتبليغية، والفكرية والسياسية، وقد كان لهذا التنوع إيجابياته في العمل الإسلامي، وكانت له بعض السلبيات كذلك.

-وقعت كثير من هذه الحركات في أخطاء علمية عديدة، وبأسباب متنوعة داخلية وخارجية، أضرّت بالعمل الإسلامي، وأفقدت بعض هذه الحركات حيويتها ومصداقيتها عند كثير من الناس، **وكان من أبرز هذه الأخطاء:**

-التقوقع على الذات، والتعجيل بالخطوات، والانفراد بالقرارات العامة المهمة، والتجاوب مع الاستفزازات... الخ.

-أصيب جانب من العاملين في صفوف الدعوة الإسلامية على مختلف مستوياتهم بالآفات المهلكة (الهَوَى المتَّبع، الإعجاب بالرأي، الشح والبخل، والدنيا المؤثرة).

-واجهت هذه الحركات الدعوية-على مختلف تنوعاتها-تحدياتٍ صعبةً، وهجماتٍ شرسةً من قِبَلِ المتربصين بها في الداخل والخارج.

-استطاع الأعداء غزو الأمة الإسلامية ثقافيًّا في عُقر دارها عن طريق أمرين هما:

-إفساد نخبة من أبنائها الذين ابتعثوا إلى الغرب أو الشرق، ثم عادوا ليكونوا في مراكز القيادة والتوجيه.

-وجود ركائز مَحَلِّيَّة ربَّاها الاستعمار في بلاد المسلمين تربية خاصة؛ ليكونوا خلفًا لهم بعد جلائهم، وتابعوا دعمهم وتأييدهم، ففعل هؤلاء جميعًا في بلاد المسلمين ما لم يفعله المستعمرون الأصليون، ولاقت الدعوة الإسلامية في مواجهة هؤلاء الكثير من الصعوبات في تبليغها وتعليمها وتطبيقها بين الناس.

-مشكلة الدعوة الإسلامية اليوم، مشكلة ذاتية داخلية، قبل أن تكون مشكلة خارجية؛ لأنَّ عداء غير المسلمين للإسلام سنَّةٌ ثابتةٌ.

-تتمثل مشكلة الدعوة الداخلية في: القصور في المناهج الدعوية-الأخطاء في الأساليب الدعوية-الضعف في الوسائل الدعوية (مادية ومعنوية). وإذا عولجت هذه الثلاثة لم ولن يقف أمام حركة الدعوة الإسلامية أيُّ عدوٍّ مَهْمَا كانت قوَّته.

لكن توجد جملة من المُبَشِّرَاتِ في ظل هذه المعوقات ومن ذلك:

-خلَّف العمل الإسلامي نتائج كبيرة، وآثارًا مهمةً، تصلحُ لأن تكون أساسًا قويًّا للنهوض بالأمة، وتصحيح مسار الحركة الدعوية إذا ما دُرِست دراسة وافية.

-حاضر العالم الإسلامي اليوم يبشِّر بنصرٍ قريبٍ للدعوة الإسلامية؛ وذلك إذا وَعَىَ المسلمون واقِعَهُم وعملوا وصابروا في طريق دعوتهم، ومما يبشر بذلك: (انهيار الشيوعية-عوامل التفسخ في المجتمعات المعاصرة-تصارع القوى الدولية غير المسلمة فيما بينها-الصحوة الإسلامية المعاصرة).

-وَعْدُ الله ورسولِهِ بنُصْرَةِ هذه الدعوة وعُلُوِّ شأنها في العالمين، ومن هذه البشارات:

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[1].

- قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨

- وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة: ٣٣

- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ النور: ٥٥

---

(1) صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب لا تقوم الساعة حتى يَمُرَّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء. حديث رقم: 2922 ص 361. وانظر شرح النووي على مسلم. قال: وقَوْلُهُ ﷺ: «إِلَّا الْغَرْقَدَ ; فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» وَالْغَرْقَدُ: نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُنَاكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَّالِ وَالْيَهُودِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيُّ: إِذَا عَظُمَتِ الْعَوْسَجَةُ صَارَتْ غَرْقَدَةً. 18/ 45.

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته فكتبت إليه بهذا الحديث أُذَكِّرُهُ إياه فقلت له إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين يعني عمر بعد الملك العاض والجبرية فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فَسُرَّ به وأعجبه»[1]

(1) رواه أحمد، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات.

خلاصة الفصل الأول

- الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاءت به جميع الرسل-عليهم السلام- واتَّحدْت دعوتهم إليه، ويعني: الاستسلام والانقياد والإذعان والرضا والقبول والانقياد والخضوع والامتثال لأوامر الله ونواهيه. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩
- تتشابه ملامح دعوة الرسل السابقين-عليهم السلام-فيما بينها من حيث المنهج والوسائل والأساليب، وموقف أقوامهم من دعوتهم إياهم إلى الله تعالى، وتتحد هذه الدعوات قاطبة في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، والتَّحَلِّي بمكارم الأخلاق، ونبذ الشرك، واجتناب الظلم والبعد عن الفواحش والمحرمات.
- حرص الأنبياء في دعوتهم على تنويع الأساليب واستثمار كافة الوسائل المتاحة، فلم يقتصروا على الدعوة بالقول حتى ضموا إليها الدعوة بالعمل.. وقد اتضح ذلك جليًا من خلال استعراض دعوة سيدنا نوح ويوسف عليهما السلام.
- تتميز دعوة النبي محمد ﷺ بأنها دعوة عالمية شاملة للزمان والمكان والثقلين جميعًا إلى قيام الساعة. وتتميز أمته بأنها آخر الأمم، وهي أمة الدعوة. وقد وقاها الله -تعالى- عذاب الاستئصال، على عكس ما كان عليه حال الأمم السابقة التي كذبت رُسُلَهَا. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الأنفال: ٣٣
- اتسَّعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة، وانتشرت خارج الجزيرة العربية، ووجدت الدعوة الإسلامية أرضا جديدة، واكتسبت مسلمين جُدُدًا اعتنقوها، وآمنوا بها، وجاهدوا في سبيلها.

- انتشرت اللغة العربية، والعلوم الإسلامية الخادمة للقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية بين سكان البلاد المفتوحة، والفضل في ذلك يرجع لهؤلاء الفاتحين المجاهدين الذين عملوا على نشر الإسلام وتعليم القرآن لأهل هذه البلاد.
- كثر العلماء المهتمون بعلوم القرآن والسُّنَّة، وعلوم اللغة العربية وآدابها، والفقه وأصوله من أهل هذه البلاد، وأصبحوا حجة للإسلام في ربوع العالم الإسلامي.
- أبلى العثمانيون بلاءً حسنًا في نشر الإسلام، واتساع رقعته الجغرافية بين دول شرق أوروبا من خلال فتوحاتهم المتعددة لهذه البلاد.
- لم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، بل تنوعت مناهجها ووسائلها-بحسب ما يقتضيه الزمان والمكان وأحوال المدعوين-رغم وقوع كثير من الحركات الإسلامية -الحاملة للدعوة والعاملة على نشرها وتعليمها لمن يجهلها-في أخطاء علمية ومنهجية، وأهواء شخصية، ومنافع ذاتية، أضرَّت بالعمل الإسلامي على وجه العموم.
- واجهت الحركات الإسلامية القائمة على أمر الدعوة في العصر الحاضر، صنوفًا من التحديات والهجمات الشرسة على أفرادها ومؤسساتها من قِبَلِ المتربصين بها في الداخل-من أبناء جِلْدَتِهَا-والخارج من أعداء الإسلام، مما أعاقَ من حركة الدعوة، وألزمها السكون فترات كثيرة.
- الأَمَلُ فِي الله ونصْرِهِ لهذا الدين قائمٌ يجب الإيمان به، والعمل على تحقيقه بالأخذ بالأسباب الممكنة في ظل الظروف الراهنة. عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ»[1]..

(1) صحيح مسلم. كتاب الإمارة. بَاب قَوْلِهِ ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ.

أسئلة التقويم الذاتي

أولًا: أسئلة المقال:

س1: وَجِّه الدَّلِيلَ دعويًّا ـ كما درست ـ في كلِّ مَا يأتي.

(1) قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤

(2) قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة: ٢

(3) قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥

(4) قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود: ٤٦

س2: علّل ما يأتي:

(1) من الصعوبة بمكان للباحث في تاريخ الدعوة التأريخ لها في العصر الحاضر.

(2) هجرةُ النبيِّ ﷺ إلى الطائف.

(3) تَوَجُّهُ الجيوشِ الإسلاميةِ إلى أرجاءِ الجزيرةِ العربيةِ، وبلادِ فارس والعراق.

(4) يؤرخ العلماء لِبَدْءِ تاريخ الدعوة قبل الإسلام بدعوة نبي الله نوح عليه السلام.

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1- يبدأ تاريخ الدعوة إلى الله تعالى منذ خَلْقِ نبي الله آدم -عليه السلام-. ( )

2- من أسس دعوة نبي الله نوح-عليه السلام-التلطف والرفق ولين الكلمة. ( )

3- الدعوة السِّرِّيَّة كانت بعد عودة الوحي مرة ثانية إلى النبي ﷺ ونزول سورة المزمل. ( )

4- أمر الله تعالى نبيه ﷺ ومَنْ معه من المؤمنين بمجابهة أهل مكة بالقوة؛ نُصْرَةً لدينه. ( )

5- فكرة تكوين الدولة الإسلامية للحفاظ على الدعوة والعمل على حمايتها من المتربصين بها كانت ملمحًا رئيسًا من ملامح الدعوة في العهد المكي. ( )

ثالثًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

ضع دائرة حول رقم الخيار المناسب في كل مما يأتي:

1- الهدف من عرض المنهج الحركي لدعوة النبي ﷺ يتمثل في:

أ- حُبّ النبيِّ ﷺ.

ب- التأسي به في دعوته ﷺ.

جـ- امتلاك الدعاة دليل عمل يسيرون عليه.

د- تحقيق عالمية الدعوة الإسلامية.

7- تحققت النُّبُوَّةُ له ﷺ بنزول قوله تعالى:

أ- يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.

ب- يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.

جـ- اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

د. وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ.

النشـــاط التعـليمي

عزيزي الدارس:

1- اكتب بحثا -فيما لا يزيد عن خمس صفحات-عن مرحلـة الجهـر بالـدعوة، مُبَيِّنًـا ميـزات المـنهج النبوي في هذه المرحلة. (واجب جماعي)

2- للـدعوة الإسـلامية فـي عهـد الخلافـة الراشـدة ملامـح تختلـف عـن سـابقتها فـي العهـد النبـوي. والمطلـوب منـك عزيـزي الـدارس، عقـد مقارنـة بينهمـا موضـحًا أسـباب هـذا الاخـتلاف. (واجـب جماعي)

3- من خلال دراستك لتاريخ الدعوة، بَيِّنْ بشـيءٍ من التفصيل أهم ملامح دعوة الرسل السابقين، وما الفرق بينها وبين دعوة النبي محمد ﷺ؟ (واجب فردي) (1)

4-

(1) توجد أنشطة إضافية مقترحة للفصل بالملحقات.

مصادر ومراجع إثرائية

عزيزي الدراس:

للتوسع حول موضوعات هذا الفصل يمكنك الرجوع للمصادر العلمية الآتية:

- الدعوة إلى الإسلام: تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة، وما يجب الآن. الشيخ: محمد أبو زهرة. ط: دار الفكر العربي. القاهرة.1992م.
- دعوة الرسل إلى الله تعالى. محمد أحمد العدوي. موقع المكتبة الشاملة.
- الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية-سير: توماس أرنولد. ترجمة: حسن إبراهيم حسن. ﷺ
- الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترىً عليها. مكتبة الأنجلو المصرية-الطبعة الأولى:1980م. عبد العزيز محمد الشناوي

الفصل الثاني

أصول الدعوة إلى الله تعالى

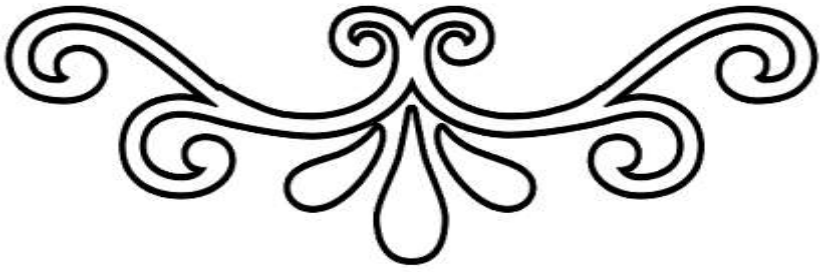

خارطة الفصل الثاني: أصول الدعوة وأركانها

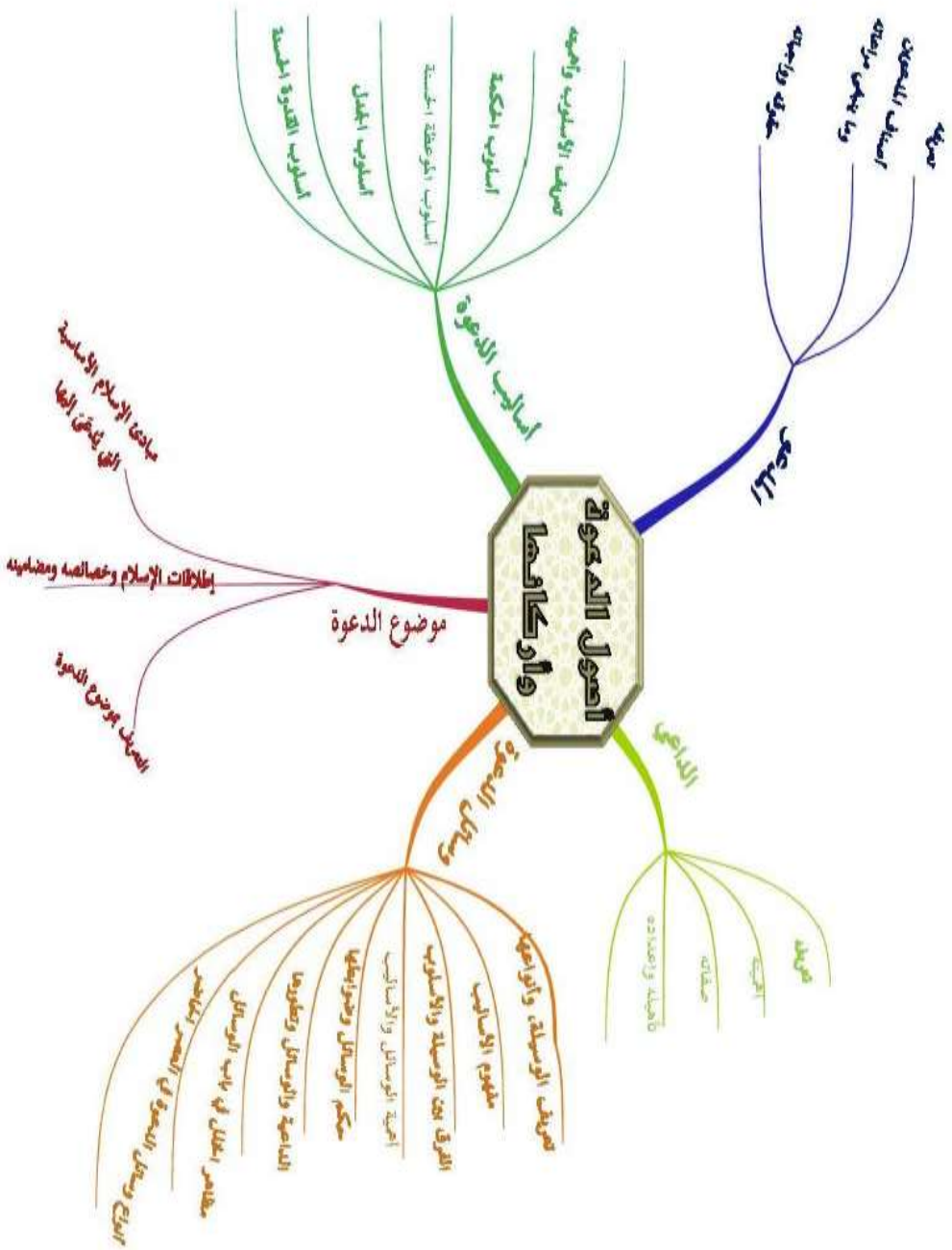

محتويات الفصـــل الثاني

المبحث الأول:

الداعي (صفاته وإعداده)

المبحث الثاني:

المدعو (أصناف المدعوين، وطرق دعوتهم)

المبحث الثالث:

موضوع الدعوة (أهميته ومبادئ الإسلام)

المبحث الرابع:

وسائل الدعوة (المادية والمعنوية) وأهم ملامحهما.

المبحث الخامس:

أساليب الدعوة (الحكمة، الموعظة الحسنة، الجدل، القدوة) وأهم خصائص كل أسلوب.

أهمية دراسة الفصل الثاني:

تكمن أهمية هذا الفصل في التعرف على أركان الدعوة وأهمية كل ركن، والتعرف على كيفية إعداد الداعية وصفاته الإيمانية والنفسية والخلقية والاجتماعية...وغير ذلك من الأوصاف التي لا غناء للداعية عنها، كذلك التعرف على المدعوّ وأهم أصناف المدعوين وكيفية توجيه الخطاب إليهم بما يتوافق مع كل فئة منهم، وبيان موضوع الدعوة وهو الإسلام بمعناه العام والخاص وأهم ما يدعو إليه هذا الدين من مبادئ. ويتناول بالتفصيل الوسائل الدعوية وأنواعها المادية والمعنوية، ووجوب اهتمام الداعية بكافة الوسائل التي توصل للحق الذي يدعو إليه. وتبين الدراسة في هذا الفصل أساليب الدعوة متمثلة في (الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى) تتمة لأركانها، مع بيان أهمية كل أسلوب ودوره في توصيل الرسالة الدعوية بصورة ناجحة.

الأهداف التعليمية:

يُرجى منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذا الموضوع:

1ـ أن تتعرف على أركان الدعوة وأهمية كل ركن من أركانها.

2ـ أن تدرك أهمية دراسة أركان الدعوة وفائدة الإعداد للداعية.

3 ـ أن تتبين ملامح كل ركن من أركان الدعوة على حدة، وما يتعلق به من شروط وواجبات.

4ـ أن تقوم بواجب الدعوة عمليًّا بناء على فهم عميق بأركانها، مستشعرًا قيمتها ودورها في الحفاظ على الدين والمجتمع، وإيصال الخير للبشرية.

بين يدي الفصل:

يتناول هذا الفصل أركان الدعوة من حيث بيان كل ركن من أركانها، مبتدئًا بالداعي (الركن الأول) من خلال تعريفه وبيان أهميته وفضله وصفاته وكيفية إعداده وتأهيله والوسائل الكفيلة بذلك.

كما يتناول المدعو (الركن الثاني) وطبائع المدعوين وأصنافهم وضرورة مراعاة أقسام المدعوين وأثر ذلك على الدعوة، مع بيان حق المدعو وواجباته.

كما يبين موضوع الدعوة (الركن الثالث) وهو الإسلام بمعناه العام والخاص، وبيان أهم المبادئ التي يُدعى الناسُ إليها في جانب الصلة بالله، والصلة بالنفس، والصلة بالآخرين.

كذلك بيان الوسائل الدعوية بقسميها المادي والمعنوي وهي (الركن الرابع) من أركان الدعوة، مع ذكر نماذج للوسائل المسموعة، والمرئية، والمسموعة المرئية، ودور هذه الوسائل في بيان الدعوة، وأهمية كل وسيلة، وشروط استخدامها؛ لتؤدي مهمتها بصورة تتوافق مع الشرع الحكيم.

وفي ختام الفصل يأتي (الركن الخامس) من أركان الدعوة وهو الأسلوب مع تفصيل للأساليب التي وردت في القرآن الكريم (الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحُسنى) وبيان سمات كل أسلوب وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الثاني: أصول الدعوة وأركانها

تمهيد

الركن هو: أحد جوانب الشيء التي يستند إليها ويقوم بها، وهو جزء من حقيقة الشيء، لا يتم إلا به. إذْ قِوامُ الشيء لا يتحقق إلا بركنه.

وأركان الدعوة: هي الأجزاء التي تُمثِّل حقيقة الدعوة، ولا تقوم الدعوة إلا بها. وهي: الداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة(المحتوى)، والوسائل والأساليب التي يتم من خلالها التبليغ والتعليم والتطبيق للدعوة.

المبحث الأول: الداعي

يُعد الداعي أهم أركان العملية الدعوية، فهو ركنها الأول، وعليه مدارها.

والداعي: *هو المُبَلِّغ للإسلام، والمعلِّمُ له، والساعي إلى تطبيقه في الحياة. وهو القائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى. والداعية*[1] *هو المحور المُحَرِّك للدعوة، وبواسطة مزاياه الإنسانية يتمكن من نقل الدعوة من خلال الوسيلة المناسبة -والمتاحة له- إلى المدعوين. وهو ركن أساس في حركة الدعوة كلها، فهو الذي يُلْقِي الموضوعَ، ويَفْهَمُهُ، ويُدْرِكُ كَافَّةَ جوانبهِ، ويَصُوغُه في صُور مُعَيَّنةٍ، ويُرْسِلُهُ عَبْر وسائل مختارة، ويخاطب به الناس.*

وهو حامل الرسالة الدينية؛ لهذا كان من الضروري أن يتمتع بصفات عقلية ودينية وخُلُقية تُمَكِّنُهُ من القيام بدوره... وتحتاج هذه المواصفات إلى إعداد مُسبَقٍ، ومتابعةٍ دائمةٍ، وعَوْنٍ مستمرٍّ.[2]

---

(1) التاء في لفظة الداعية للمبالغة وليست للتأنيث، وهو اسم منقوص، تُقَدَّرُ عليه حركة الرفع (وعلامته الأصلية الضم) والجر (وعلامته الأصلية الكسر)، وتظهر الفتحة على يائه في حالة النصب لخفَّتها.

(2) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، ص:49بتصرف. مرجع سابق.

المطلب الأول: أهمية الداعية وفضله

الداعية: هو المحور الأساس في الدعوة إلى الله تعالى، ومقامُه مقامٌ بالغُ الأهمية والخطورة، فهو ينوب عن الأنبياء في تبليغ أعظم رسالة في الوجود، من أعظم مُرسِل لها، لأعظم أمر وُجِدَ له الإنسان، فكيف لا يكون شأنه عظيماً، ومكانتُه رفيعة!!

☜ **وتتَّضح أهمية الداعية فيما يلي:**

1ـ شرف موضوعه ورفعة وظيفته وعظيم أجره

فالداعية إلى الله تعالى نال فضلاً وشرفًا لم ينله غيره من الناس، **فمن حيث موضوعه** الذي يدعو إليه: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣؛ فهو داعٍ إلى الله ورسوله، مبلغٌ لمنهاج النبوَّة. **ومن حيث وظيفته:** يقول تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٦٥، فهو يقوم مقام أنبياء الله ورسله في التبليغ والتعليم والتطبيق. **ومن حيث أجره وثوابه:** يقول رسول الله ﷺ ـ لعليٍّ في فتح خيبر: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ»[1]

إنَّ الدعوة إلى الله شرف عظيم لا يرقى إليه إلا أولو العَزَم، ولا يناله إلا العاملون المخلصون؛ فهي مهمة الرسل، الذين هم خيرة خلق الله تعالى، وسفراؤه إلى خلقه، ويتحمل هذه المهمة الشريفة بعدهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

فإذا فَطِنَ الداعية لرفعة مكانته وعلو منزلته وسمو وظيفته؛ صَفَتْ نفسه، ورَقَّ قلبه، وخشعت جوارحه، ولَانَ فؤاده، وصار شديد التوجه إلى مولاه، عظيم الرجاء فيه، يرجو رحمته ويخشى عذابه؛ فهو بين الخوف والرجاء، دائم الأمل في وجهه ﷻ أن يقبل منه عمله، وأن يبارك له سعيه، وأن يفتح له قلوب الصالحين من عباده، ولسان حاله يردد كما

(1) صحيح مسلم. كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم: باب: من فضائل على بن أبي طالب، 4/ 1872. رقم: 34.

قال أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ البقرة:١٢٧. وكله أمل أن يسلكه ربه في مقام الصالحين الذين قال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٠

2- الداعية أسوةٌ للمدعوين

فكثيرًا ما يتأثر المدعوُّون تأثرًا ملحوظًا، بشخصية الداعية، وأسلوبه، وأخلاقه ومعاملته، أكثر من تأثُّرهم بما لديه من طَرْحٍ وموضوع، وما عنده من عِلم ومادة.

ويدفعهم هذا التأثُّر في كثير من الأوقات إلى التسليم لأفكاره، والاستجابة لدعوته، دون معارضة، ولا تقديم بين يديه، ولذلك كلما اتصف الداعية بالأوصاف الحميدة، كان أثره في الدعوة أكبر، واستجابة الناس له أكثر. ومن هذا المنطلق أمر الله تعالى بالاقتداء بسيد الدعاة محمد ﷺ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... الآية ﴾ الأحزاب: ٢١. وقال الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ عقب ذكره لجملة من الأنبياء والمرسلين: ﴿﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ٩٠

لهذا، وجب على الداعية أن يتحلى بصفات مخصوصة، ويتجمل بميزات محمودة، وأن يلتزم بأخلاق معينة، وبتصرفات مشكورة، لكي يؤثر في المدعوين، كيما تثمر دعوته، وتؤتي أُكلها، وإلا انعكست آثار ذلك على الدعوة سلبًا.

واختيار الله للأنبياء دعاة، والأمر بالاقتداء بهم؛ لأنهم أحسن الناس استقامةً على الحق. وحرصًا على هداية الخلق.

وكان من عظيم حكمة الله إنزال رسالته على أفضل البشر، صدقًا وخلقًا ولا يختار لها إلا خيرة خَلْقِهِ، تضحية وفهمًا. ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ... الآية﴾ القصص: ٦٨ أي: يختار من الأزمنة ما يشاء..، ومن الأمكنة ما يشاء.. ومن البشر من يشاء.

قال الشيخ ابن سعدي: «أي يختار ويجتبي من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً

يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق»[1]. كما يجعل أفعالهم مكملة لرسالته، ويأمر الناس بالاقتداء بهم.

المطلب الثاني: صفات الداعية

الداعية إلى الله ﷻ رجل مؤمنٌ بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة والحديث العاديِّ، والعمل الجِدِّيِّ في سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية في عصره الذي يعيش فيه. فهو كاتب وخطيب ومحدِّث وقدوة، يؤثِّرُ في الناس بعمله وشخصه. والداعية يختلف عن الخطيب الذي جعل الدعوة وظيفة -وليست رسالة لها شرفها ومكانتها-واتخذها مهنة يتكسَّب منها كأي مهنة سواها. فالداعية يحمل همَّ الدعوة، فيحيا لها وبها. أما من جعل الدعوة وظيفة وكفى، فهذا حِمْلٌ على الدعوة، يُثْقِل كَاهِلَهَا، ويُعوِّق مسيرتَها؛ ولذلك وجب أن يتَّسم الداعية بسمات خاصة تؤهله لهذه المهمة ومن هذه السمات:

1- سمات إيمانية

الداعية الحق هو: من يؤمن يقينًا بأن الإسلام الذي هداه الله إليه حقٌّ خالصٌ لا مِرْيَةَ فيه، وأنه الهُدى الذي أراده الله لعباده، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال. فهو مؤمن بدعوته حريص على انتشار فكرته، وأن تكذيب المكذبين وإعراض الغافلين ليس ناتجًا عن خفاء الحق وضعفه، ولكن لعمًى أصاب أبصارهم وبصائرهم، فلم يبصروا نور الحق رغم جلائه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ الأنعام: ٥٧ وكلما كان الداعية مؤمنًا بهذه

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (دار السلام للنشر والتوزيع - السعودية، 1422هـ- 2002م) ص 546.

المعاني كلما نجح في أداء رسالته، وبقدر ضعف هذا اليقين في قلبه بقدر تَعَثُّرِهِ وضعف أثره على المدعوين.

كما أن الداعية يؤمن بأن الهداية بيد الله وحده، فينبغي عليه ألا ينسى في خِضَمِّ هذا المعترك أمْرًا مُهِمًّا -بل هو من أهم العوامل في نجاح الدعوة- وهو أن مفاتيح القلوب ليست بيده، وإنما القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وأن يعلم أن بيانه القوي، وفؤاده الزكي وعزمه الفَتِيّ، كل ذلك لا يكفي لفتح قلب أَوْغَلَ في الباطل وأمْعَنَ في الضلال، وأن يضع أمامه دائمًا قول الحق – سبحانه -: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ البقرة: ٢٧٢.

وينبغي ألا يستوحش من الطريق إذا رأى قِلَّة السالكين، ولا يَفُتُّ في عَضُدِهِ إعراضُ المعرضين، وليتذكر قول ربه عز وجلَّ ـ لنبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يوسف: ١٠٣. وليعلم أن الله سائله عن بذل الجُهد وإحسان العمل وإخلاص النية ودقة الالتزام بدين الله رب العالمين، ولن يسأله عن إعراض المعرضين وقِلَّة المهتدين فقد عَذَرَهُ الله بقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ الروم: ٥٢ - ٥٣

لذلك لابد أن يكون الإخلاص رائده في عمله ولا يبتغي به إلا وجه الله، فلا يرجو الخير إلا من ربه ولا يخاف إلا من سخطه وغضبه.

2- سمات ثقافية

يجب على الداعية أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه وبشرعيَّة ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فَقَدَ العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع في الخلط والقول على الله بغير علم، فيكون ضرره أكبر من نفعه، وإفساده أكثر من صلاحه، وقد يأمر

بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحلَّه الشَّرع وأوجبه، وبما منعه وحرَّمه[1]

لذا وجب أن يكون الداعية عالمًا كَيِّسًا فَطِنًا. ولا يكفي في ثقافة الداعية أن يكون مؤمنًا بدعوته مخلصا لفكرته، مهمومًا بآلام أمته، بل لا بد مع ذلك أن يكون واعيًا بثقافة عصره، متسلحًا بسلاح خصمه، قادرًا على رصد أساليبه وخططه، لا سيما وقد ازدهرت في زماننا اليوم علومٌ حديثة نشأت في ظل الحضارة المادية الأوربية، ونمت في بيئات دنيوية وإلحادية، غاية همِّها إمتاع الجسد، ورهافة البدن ونعومة العيش. فلا بد للداعية من وَعْيٍ وبصيرةٍ وثقافةٍ تُعينه على أن يرى ببصيرته ما تعجز بصائر الكثيرين عن رؤيته، ويدرك بفطنته وخبرته ما يحاول الخبثاء الماكرون تمريره بحذقهم ومِرَانِهم، وكثرة إتقانهم لفنون الدَّسِّ والتمويه والتضليل والخداع، فينبغي له أن يكون بصيرًا بأحوال أصحاب الأقلام، فَطِنًا لأساليبهم، واعيًا لما تضمره النفوس الملتاثة من خبث وكيد وحقد، يخفى على البسطاء والعوام، ويدركه ذوو البصائر والأفهام. وهذا الصنف ليس وليد اليوم بل هو من القِدَم ما جعل الله يحذر نبيَّهُ ـ ﷺ ـ منهم فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ محمد: ٣٠

وهذا ما يؤكد عليه الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله–فيقول منكِرًا على المسلمين جهلهم بواقعهم، وانشغالهم بأمور صغيرة، واهتمامات حقيرة: «ترى ماذا يشغل فقهاءنا ومفكرينا، إذا كانت حياة الدين كله في مَهَبِّ العواصف؟! وما هي القضايا الأهم التي تشد انتباههم، ويبدؤون فيها ويعيدون؟ وإذا كان المسلمون حملة دعوة عالمية فهل درسوا العالم حولهم، وعرفوا ما يسوده من مِلَلٍ ونِحَلٍ؟ وهل عرفوا العدو والصديق؟

وإذا قيل لهم في كتابهم عن المتربصين بهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن

(1) راجع: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص: 326.

دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ البقرة: ٢١٧. فهل فتحوا أعينهم على مَكَامِنِ الخطر، واتخذوا أسباب الحيطة؟»[1].

إن فهم الداعية أمرٌ لابد منه؛ ليكون جديرًا بشرف الدعوة قائمًا بواجباتها ببصيرة وعلم وليس بعماية وجهل.

3- سمات خلقية

لا شكَّ أنَّ الأخلاق لازمة لكل مسلم وهي للدعاة ألزم، وكل صفة من الصفات الخُلُقِيَّةِ لها معنى خاص يتعلق بطبيعة عمل الداعية فضلاً عن معناها العام، فالداعية مبلغٌ عن الله وعن رسوله، فعليه أن يتأدب بأدب الظاهر والباطن، وأن يتحلى بجميل الصفات ومعالي الأخلاق التي تساعده على أداء رسالته مثل الصدق والأمانة والصبر والتواضع والرحمة والعدل وصفاء السريرة، فوجب عليه أن يُطهِّر باطنه من الحقد والحسد والعجب والكبر والظلم والعقوق، ويطهر لسانه من الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور؛ لأنه إن تلبث بشيء من ذلك كان أهلاً لأن ينفضَّ الناسُ عنه، ويزهدون في الجلوس إليه أو القرب منه، وقد علمنا ربُّنا ﷻ أن نجاح الداعية في دعوته موقوف على إيمانه بها والتزامه بمبادئها وأخلاقها في قوله سبحانه على لسان نبيه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ هود: ٨٨

كما أن الداعية أمين في نقله، فهو لا يكذب على الله ولا على رسوله، فإذا أيقن أنه مبلغ عن الله وعن رسوله، فيتحتم عليه أن يكون أمينا في نقله عن ربه، متحرّيًا في نقله عن رسوله ﷺ. وليحذر تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، حتى لو ظنَّ أن كذبه سيجلب نفعًا أو يدفع ضررًا، فإن الكذب على رسول الله ﷺ يوجب النار، وهو من أكبر الكبائر،

(1) هموم داعية. محمد الغزالي (دار نهضة مصر – القاهرة، 2006) ص: 49.

لقوله ﷺ: «... ومن كذب عَلَيَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».[1]

وليحذر كذلك من الانزلاق وراء إغراء الحَكَاوِي والقصص التي تُعْجِبُ السامعين وتجذب العوام، وليست من الحقيقة في شيء، بل غالبًا ما تأتي هذه القصص أقرب إلى الخرافة، وأبعد عن الواقع، وأدعى إلى الرفض والسخرية وعدم التصديق.

ومثل هذه القصص الساذجة تُنزل بقدر الداعية والدعوة وتعطي لأعداء الدين الفرصة ليشككوا فيه ويسخروا منه ويتطاولوا عليه، متخذين من تلك الإسرائيليات سلاحًا يهزون به الراسخ من العقائد والثابت الصحيح من قواعد الدين. ولو اهتم الداعية بالبحث والتحصيل لوجد في الصحيح الثابت عن رسول الله وصحابته ما فيه غنى وكفاية.

إن الداعية صابر محتسب، فإذا استكمل الداعية جوانب الدعوة إيمانًا وأخلاقًا وثقافةً، وجب عليه أن يُوَطِّنَ نفسه على تحمل ما يقع له في طريق الدعوة من أذى وأن يحتسب ذلك كله عند الله، وأن يصبر على البلاء، ويثبت عند اللقاء، ويتجلد أمام المكاره. وأن يعلم أن مهر الجنة غالٍ. ومن يخطب الحسناء لم يُغْلِهَا المَهْر. ولْيَضَعْ أمام عينيه دائما قول نبينا ﷺ: «حُفَّتِ الجنةُ بالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشهوات»[2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق. باب: في التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، 4/ 2289. رقم 3004.

(2) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » رواه الترمذي، كتاب: صفة الجنة، باب: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. 4/ 693، رقم 2560، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.

4- سمات اجتماعية

الداعية طبيب اجتماعي، فهو يعالج أمراض النفوس، ويصلح أحوال المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يوقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله. وهو رفيق وصديق، وأخ للغني والفقير، والكبير والصغير. ومن هذه الصفات تشيع المحبة في قلبه، وتتدفق الرحمة من عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه، وهذا ضروريٌّ للداعية. فدعوته فيض من مواهب الروح والجنان، لا من صفات البلاغة وملكات اللسان. والداعية قائد في محيطه، وسياسي في بيئته، وزعيم لفكرته ومن يتبعه في ناحيته، وكل هذا لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه، فلا بد له من التأثير النفساني، والهيمنة الروحية، والاتصال بالله، واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ، وأحوال الناس.

والداعية رجل يعيش هموم أمته، فهو يشعر في نفسه أنه المسؤول وحده عن أمنها واستقرارها، وحراسة عقيدتها وصيانة كيانها والمحافظة على قيمها. إنه يشعر أن كل خطر عليها هو خطر عليه، وكل بأس يصيبها فإنه نازل به، إنه منها بمنزلة الراعي الشفوق على غنمه، والأب الحاني على بنيه.

لذلك تراه لا ينعزل عن مجتمعه وبيئته، بل هو معهم في السراء والضراء معلمًا، وموجها، وقائدًا وملهمًا، يصلح بين المتخاصمين، ويهدئ من روع الخائفين، ويسهم في عون المحتاجين ويساعد الضعفاء والمعوزين بدعوته قولاً وعملاً، مؤمنًا بقول الرسول ﷺ: «المؤمن يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»[1] وكذلك قوله ﷺ : «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[2]

(1) المستدرك على الصحيحين. 1/ 73، رقم 59. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(2) سنن ابن ماجه: باب: الصبر على البلاء. 2/ : 1338. رقم 4032. وقال الألباني صحيح.

5- سمات نفسية

من أهم الصفات النفسية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مَنْ يتصدى لأمر الدعوة إلى الله، ويقوم بالتبليغ والإرشاد: الإخلاص، الجرأة والشجاعة، والأمل والتفاؤل.

أما الإخلاص لله بحيث يترفع الدعاة إلى الله تعالى عن المصالح والغايات الدنيوية المحضة، ويقصدون بأعمالهم وجه الله سبحانه. كما يَتَحَلَّوْنَ بالشجاعة في قول الحق بلا وجَلٍ ولا خوف، وبالجرأة في الصَّدْعِ به، أينما كانوا لا يخشون في الله لومة لائم. يحدوهم الأمل في أن يتقبل الناسُ الحقَّ الذي هداهم الله إليه، بلا يأس يُوهِنُ عزائمهم، ولا فتور يقلل من همتهم.

على الداعية أن يكون قوي الثقة بالله في وعده وكمال الرجاء في حصول الفائدة، مهما طال به العلاج وعظمت المصاعب؛ فإنه متى تمكَّن ذلك من نفسه انبعثت همته وقوي نشاطه وتنبه إلى انتهاز كل فرصة بما يناسبها، موقنًا بأن ما لم يظهر تأثيره اليوم، فغدًا يظهر. مؤمنًا بأن الباطل زهوق، ولا بد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل، فإن دولة الباطل مؤقَّتة لا ثبات لها في ذاتها، وإنما بقاؤها في نوم أهل الحق عنها، ودولة الحق هي الثابتة بذاتها فلا يُغلب أنصاره ما داموا معتصمين به مجتمعين عليه. قال علي رضي الله عنه: لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق.[1]

المطلب الثالث: تأهيل الداعية وإعداده

تأتي أهمية تأهيل الداعيةِ وإعدادهُ، من أهمية العمل الذي يقوم به، فالداعية الذي يحمل الإسلام للناس يحتاج لشخصية ذات مواهب متعددة، ومزايا فريدة...ويجب أن يحاط الدعاة ببرنامج إعداد خاص، يخرجون منه رجالاً يتحملون المسؤولية، ويُخلصون في حمل الأمانة، ويستشعرون الله في كل حياتهم.

---

(1) هداية المرشدين. ص:103. مرجع سابق.

إن إعداد الدعاة من الضرورة بمكانٍ، لا سيما بعدما ظهر هذا التنافس الرهيب بين دعاة المذاهب المختلفة، والكل يحاول إيجاد أناس يحملون المذهب إلى غير أصحابه، ويدافعون عنه إن تعرض للوم أو النقد.[1]

لقد أصبح من المتعارف عليه في العصر الحديث أن يهيئ أهل كل فن جيلاً يحمل راية الدعوة إليه، يعدونه إعدادًا خاصًا يتوافق مع رسالتهم، ويمدونه بالأدوات اللازمة لتحقيق أهدافهم، سواء أكان ذلك في الإعلام، أم السياسة، أم الفن، أم الرياضة...إيمانًا من القائمين على هذه المؤسسات بأن الإعداد الجيد يحقق الأهداف المرجوة، ويضاعف الإنتاج في ميدان العمل.

من المعلوم أنَّ عمل الدعاة عمل فريد ويحتاج لإعداد يتوافق مع طبيعة هذه الدعوة العظيمة الشاملة، ويتناسب مع عظمتها وشمولها؛ ليكونوا قادرين على أن يمدوا ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم بعد أن تشرق بها جوانحهم، وتستضيئ بها حياتهم.

وهذا الداعية المنشود هو القوة المحركة لعملية الدعوة وحركة سيرها.[2] لذا كان إعداده مهمة الأمة كلها، وليست مهمة أفراد أو جماعات مهما بلغت إمكاناتهم أو حماستهم، فالأمر يتطلب جهودًا كبيرة ومتكاملة ومستمرة. وهذا مختصر عن جوانب الإعداد المثلى لتكوين داعية يجسم رسالة الإسلام بقوله وعمله ودعوته.

من أبرز معالم الإعداد للدعاة ما يلي:

ينبغي أن تتنوع جوانب الإعداد للدعاة، تنوعًا يؤدي إلى تكامل شخصيتهم، والقدرة على أداء رسالتهم، بدلاً من أن يخوض غمار الدعوة من لا يفقهون الدين ولا يعلمون فرائضه ومراميه، ولا يحسنون التعبير الدفاع عنه، وذلك من خلال العناية

(1) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، ص:459. مرجع سابق.

(2) ثقافة الداعية. يوسف القرضاوي (ط: 10، مكتبة وهبة– القاهرة، 1416هـ–1996م) ص4. بتصرف.

بالجوانب الإيمانية والفكرية والعلمية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية للداعية، وذلك بعد الاختيار المبكر منذ الصغر لمن يتميزون بقدرات عقلية مميزة ومواهب وطاقات تؤهلهم لِتَحَمُّلِ تَبِعَاتِ الدعوة إلى الله تعالى.. وفيما يلي بيان بهذه الجوانب:

1 - الإعداد النفسي

توجد أصولٌ نفسية لا بد أن يُرَبَّى عليها الداعية وأن يتسلح بها؛ حتى تكون جزءًا من شخصيته لينطلق في ميدان الدعوة بلا وجل ولا يأس ولا خوف، ومن هذه الأسس النفسية:

أ- **الإيمان:** فمن المعلوم يقينًا أن الإيمان بالواحد الواحد حين يتخلل في النفوس وتخالط بشاشته القلوب هو أول سلاح يتسلح به المؤمن الداعية في مواجهة صراع الحياة وفي مواجهة مغريات الدنيا سواء أكان الداعية متقهقرًا أم متقدمًا؟ وسواء أكان مهاجمًا أم مدافعًا، وسواء أكان منتصرًا أم ممتحنًا. فمن دون الإيمان يبطل كل سلاح، ويبطل كل إعداد وتبطل معه كل ذخيره، وأعني بالإيمان هنا: أن يعتقد الداعية من قرارة وجدانه أن الآجال بيد الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعليه أن يضع نُصْبَ عينيه قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة: ٥١، وهذا الاعتقاد يحرر المؤمن من الخوف والجبن والجزع، ويجعله يتحلى بالصبر والشجاعة والإقدام[1] كما أن إعداده على الإيمان الكامل يجعله يوقن أن رزقه بيد الله وأنه مطلع على سره ونجواه.

ويتطلب الإعداد الإيماني ربط الداعية بالقرآن الكريم، وبسنة النبي ﷺ، ارتباطًا عمليًّا، يغرس في القلب حب الطاعة وحلاوة القرب من الله

(1) صفات الداعية النفسية. عبد الله ناصح علوان (دار السلام- القاهرة، 1986م) ص: 2.

والتجرد إليه. وهذا الارتباط بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة يكون بالمعايشة معهما بالتدبُّر، وتنفيذ أوامرهما والتقيد بأحكامهما والوقوف عند حدودهما وآدابهما. وهذا يُشْعر طالب الدعوة، ببرد اليقين، وحلاوة الإيمان، وصدق المناجاة، ويوقن أنه في ذلك مثل: السمك في الماء لو خرج منه لكان هلاكه، ويساعده على ذلك ارتباطه بشيخ رباني يتعلم من أدبه وحاله كما يتعلم من علمه ودرسه، وكذلك رفقة مؤمنة طائعة تتعاون على الخير والطاعة ولا تسلك سبل المفسدين.

ب- **التفاؤل:** من الإعداد النفسي للداعية أن يُغذَّى بكل معاني العزة والرفعة والسُّؤْدُدِ والمجد، فالعاقبة للمتقين، والنصرة لهذا الدين، ويكون ذلك من خلال الآيات والأحاديث التي بشَّرت بذلك، ووضعت النهاية والخاتمة للصراع بين الحق والباطل.. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص: ٨٣ وقوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يوسف: ٨٧

وفي الحديث عن تميم الدَّاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر»[1]

2- الإعداد الاقتصادي

لقد اعتاد الناس على احترام الغني، والتودد والاستماع إليه، وإذا كان من الواجب على الداعية أن يستغني عن دنيا الناس بزهده مما في أيديهم، فهو في الوقت ذاته يحتاج إلى تيسير سبل حياته، وما ينفق به على نفسه وأهله ودعوته، وقد تنبَّه أصحاب الدعوات إلى

(1) مسند أحمد، حديث تميم الداري، ص:155، رقم 16957. والوبر الشعر والصوف، والمدر الطين الصلب.

ذلك فسلحوا دعاتهم بالمال، وأطلقوهم ينفقون في سبيل جذب الناس لدعوتهم، لذا؛ لا بد من العناية بحال الداعية الاقتصادي بأن يكون أوسط الناس حالاً، فلا تزدريه عين بعض الناس لفقره، ولا يهابه بعض الناس لغناه. وهذا يحتاج إلى نفقات كثيرة ربما يستطيع الأهل توفيرها[1]. لكن الأغلب هو عجز الكثيرين من الناس عن ذلك، فيصير هذا واجبًا على الدولة وعلى جماعة المسلمين، فينفقون عليه من خالص أموالهم، ومن زكاتهم وصدقاتهم، فمن جهز غازيًا فقد غزا ومن جهز داعيًا فقد دعا. فقد امتن الله على نبيه ﷺ بأن يسَّر له سُبُلَ الغِنَى والقوة بمال السيدة خديجة ونصرة عمه أبي طالب، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ الضحى: ٦ - ٨. وهذا يدل المسلمين إلى أن رعاية الدعاة ماديًّا من سُبُل إعدادهم لأداء رسالتهم.

---

(1) ومن قصص التاريخ ما روي عن مشيخة أهل المدينة أن فروخًا أبا عبد الرحمن أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار؛ فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا في يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال له: يا عدو الله! أتهجم على منزلي؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله! أنت رجل دخلت على حرمتي! فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي وكثر الضجيج. فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ! لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هذه داري وأنا فروخ مولى بني فلان، فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكيا. فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني؟! قالت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار فقالت: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به. فقالت امرأته: اخرج صَلِّ في مسجد الرسول فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة فشك فيه أبو عبد الرحمن فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني؛ فرجع إلى منزله فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيهما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله ألا هذا، قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه قال: فوالله ما ضيعته. **راجع:** تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي (ط:1، دار الغرب الإسلامي، 2002م) 9/ 414.

3- الإعداد العلمي والثقافي

أول ما يلزم الداعية المسلم من عُدَّةٍ فكرية، أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. ونعني بالثقافة الإسلامية: الثقافة التي مصدرها الإسلام، مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه. وهذا أمر منطقي، فإن الداعية الذي يدعو إلى الإسلام، لابد أن يعرف: ما الإسلام الذي يدعو الناس إليه؟ ولابد أن تكون هذه المعرفة يقينية، لا سطحية مضطربة. ولهذا كان لابد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه الصافية، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وبهذا يكون الداعية على بينة من ربه، وتكون دعوته على بصيرة كما أراد الله لرسوله ﷺ ومن تبعه واهتدى بهداه قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨

لا بد للداعية إذن أن يقف على أرض صلبة، من دراسة العلوم الإسلامية دراسة وعْيٍ وتذوق، ثم يخرج منها شرابًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس[1]، فيبدأ بكتاب الله حفظًا وتدبرًا وفهما[2]، ثم بكتب الحديث والسِّيَر، ثم كتب الفقه واللغة والشعر والأدب، ثم سائر العلوم. ولا يقدم الفروع على الأصول. ولا يعمد إلى دراسة ما اختلف فيه قبل أن يُتقن ما اتُّفق عليه، وأن يتسلح بثقافة أهل زمانه ومن يدعوهم، فإن لأهل كل مكان لسانًا وثقافة وأحوالاً لا بد من الاطلاع عليها، ومعرفة مراميها. وأن يكون الدعاة مُلِمّين

---

(1) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي. ص:6. مرجع سابق.

(2) ذكر السيوطي خمسة عشر علمًا من العلوم الضرورية لفهم كتاب الله تعالى، وهي: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم التصريف، وعلم الاشتقاق، وعلم المعاني، وعلم البديع، وعلم البيان، وعلم القراءات، وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه، وعلم الأحاديث المبينة للقرآن الكريم، والخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، 1974م) 2/ 181-180.

بقضايا عصرهم الذي يعيشون فيه، عارفين بما يسود فيه من نظم ومذاهب وأفكار وتيارات مختلفة. وتأهيلهم تكنولوجيًّا بما يتناسب مع أدوات الاتصال في العصر الحاضر، وكيفية استخدامهم لها في الدعوة إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ إبراهيم: ٤

4- الإعداد الاجتماعي

إن التنشئة الاجتماعية السليمة تمد الداعية بالثقة بالنفس، حيث يؤازر الأبوان والأقران الداعية في عمله ويشجعوه عليه، مما يجعله فخورًا بما يقدم لمجتمعه، سعيدًا بما يقوم به من عمل لخدمة دينه ووطنه، غير مكترث ولا عابئ بمن يسخرون من مهنته أو يتطاولون على رسالته. ومن لوازم التنشئة الاجتماعية الراقية للدعاة أن يُمكن الدعاة اجتماعيًّا من خلال تشريعات تحقق لهم مكانة اجتماعية بين الناس، وتضمن وضع الحصانة لهم، فهم ليسوا أقل شأنًا من رجال الإعلام أو القضاء أو السياسة، بل إن شأنهم لكبير لمن يعقل، فهم صوت الإسلام الحي، ونموذج الإسلام الفَعَّال الذي يجب أن يُعان حتى يحقق رسالته. كما ينبغي أن تُقام لهم المؤسسات الاجتماعية الراعية لشئونهم، والتي يمارسون فيها أنشطتهم الاجتماعية كالنوادي ومراكز الثقافة ودور المناسبات، التي تقدم لهم الخدمات بما يتوافق مع دخلهم، ولا يرهقهم ماديًّا، أو يؤثر عليهم معنويًّا.

5- الإعداد المهاري

تعتمد كل مهمة على مجموعة من المهارات التي تتكفَّل لمن يتقنها القيام بما يُوكَلُ إليه من مهام بصورة متقنة. ومهمة الدعوة إلى الله تعالى تحتاج لمهارات عِدَّةٍ؛ ليكون الداعية على مستوى المسؤولية والكفاءة اللازمين لأداء مهمته، ومن هذه المهارات: مهارة الخطابة والكتابة والتواصل باستخدام الوسائل التقليدية، وكذلك استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة وسائر أدوات الاتصال، وفنون المناظرة والمحاورة والمجادلة؛ ليكون قادرًا على

مخاطبة جميع فئات المجتمع الذي يريد دعوته. وكل هذه الفنون والمهارات تحتاج لتدريب ميداني ومباشرة عملية متكررة يَتْبَعُهَا تصويبٌ للأخطاء وتحسين للأداء؛ حتى يدخل ميدان الدعوة متسلحًا بمهارات عصره وفنون أهل زمانه.

☜ وسائل تحقيق تأهيل الداعية وإعداده

من وسائل تأهيل الدعاة إلى الله تعالى، المؤسسات التعليمية، نظامية كانت مثل: المعاهد والمدارس والجامعات المتخصصة، أو غير نظامية مثل: الدروس والحلقات العلمية في المساجد، وغيرها. وكذلك ممارسة الداعية للدعوة في الواقع المعيش. وحضور الملتقيات الدعوية والدورات التدريبية. كما يجب على الداعية إلى الله ألا يتوقف عن الدعوة بحجة أن تأهيله لم يكتمل بعد، ولكن عليه أن يُبلِّغ ما سمعه ووعاه، فرب مبلّغ أوعى من سامع.

المبحث الثاني: المدعو

الركن الثاني من أركان الدعوة هو المدعو. وفي هذا المبحث يتم التعريف به وبيان أهميته وأصناف المدعوين، وواجبات المدعو وحقوقه.

المطلب الأول: تعريف المدعو وأهمية معرفته

المدعو: هو مَنْ تُوَجَّهُ إليه الدعوة، وهو الإنسان مطلقًا قريبًا أو بعيدًا مسلمًا أو كافرًا ذكرًا كان أو أنثى...والمدعوون عنصرٌ أساسٌ من عناصر الدعوة إلى الله عز وجل.

وقد كان رسول الله ﷺ والرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يراعون أحوال المدعوين مراعاة حكيمة، ويعالجونها معالجة ناجعة. فقد فطر الله الناس على صفات متفاوتة، وسجايا متنوعة، وإدراكات متباينة. فمنهم صاحب الحِسِّ المرهف، والطبع الرقيق، الذي يتأثر بالعاطفة، ويستجيب للموعظة. ومنهم العقلاني ذو التفكير، الذي يناسبه الطرح العقلي، والاستدلالات الرياضية. ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب. ومنهم الذي يتأثر بالترهيب. ومنهم المسالم المنْصِت. ومنهم المجادل العنيد. ومنهم المتعالم. ومنهم المتجاهل. ومنهم القوي. ومنهم الضعيف.

وقد يكون لبعضهم ظروف مؤقتة، تمنعه من الإدراك، وتحول دونه ودون الاستجابة. ومما لا شك فيه أن مُقتضى الحكمة، ونفع الخطاب. أن تُراعى هذه الطباع، وأن يُهْتَمَّ بخطاب كل صنف بما يناسبه، في إطار الشرع الحنيف.

ومن المعلوم أنَّ الدعوة ما شُرعت إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم. لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة أحوالهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، مما يقرره الشرع الحنيف. فمن العبث الدعوي: أن يُلْقَى الكلامُ على عواهنه، بدعوى التبليغ -مجرد التبليغ-دون النظر إلى حال المدعوين، وأن يؤمر بالمعروف ويُنهَى عن المنكر -مجرد الأمر

والنهي-دون معرفة واقعهم.

ومن الخطأ الدعوي الواضح: ما يفعله بعض الدعاة، من عدم مراعاة أحوال المدعوين، فترى أحدَهُم يحفظ خطبة جمعة، أو موعظة، أو يُعِدُّ محاضرة، ثم يلقيها في كل زمان ومكان، على كل المدعوين، رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية، والعلمية، والعقلية.

ولأن الأخطاء تؤثر في مسيرة الدعوة وجب «تَعَلّم طُرُقِ الدَّعْوَةِ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِطَرِيقَةٍ صِنَاعِيَّةٍ، فَإِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ قَدْ تَيَسَّرَتْ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ صِنَاعِيٍّ وَلَا تَأْلِيفِ جَمْعِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ كَمَا كَانَ فَهْمُ الدِّينِ مُتَيَسِّرًا بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ صِنَاعِيٍّ فَفِي هَذَا الزَّمَانِ يَتَوَقَّفُ فَهْمُ الدِّينِ عَلَى التَّعْلِيمِ الصِّنَاعِيِّ، وَتَتَوَقَّفُ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا حَظَرَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ عَلَى تَعْلِيمٍ خَاصٍّ»[1] ومن التعلم الصناعي أن يعرف الداعية ما يجب عليه تجاه المدعو حتى لا يخطئ هدفه أو يضيع جهده.

المطلب الثاني: مراعاة أحوال المدعوين

مما لا شك فيه: أن المدعوين ليسوا في الاستجابة سواء، ولا في الفهم، ولا في العلم، ولا في التدين. كذلك، فمخاطبتهم على حدٍّ سواء، ليس من الحكمة في شيء.

والناظر في أسلوب القرآن الكريم: يجد تنوعًا عجيبًا في الأسلوب، وتفاوتًا بديعًا في الطرح، ومعالجة ناجحة لكل أصناف البشرية.

قال صاحب الظلال ـ رحمه الله: «كان هذا القرآن يُواجه به النفوس في مكة، ويروضها حتى تسلس قيادها، راغبة مختارة، ويرى أنه كان يواجه النفوس بأساليب متنوعة، تنوعًا عجيبًا. تارة يواجهها بما يشبه الطوفان الغامر من الدلائل الموحية والمؤثرات الجارفة. وتارة يواجهها، بما يشبه السياط اللاذعة تلهب الحس، فلا يطيق وقعها، ولا

(1) تفسير المنار. مرجع سابق، 4/ 36.

يصبر على لذعها! وتارة يواجهها بما يشبه المناجاة الحبيبة، والمسارَّة الودودة، التي تهولها المشاعر، وتأنس لها القلوب...! وتارة يواجهها بالهول المرعب، والصرخة المفزعة، التي تفتح الأعين على الخطر الداهم القريب...! وتارة يواجهها بالحقيقة في بساطة، ونصاعة، لا تدع مجالاً للتلفت عنها، ولا الجدل فيها. وتارة يواجهها بالرجاء الصبوح، والأمل الندي، يهتف لها ويناجيها. وتارة يتخلل مساربها، ودروبها ومنحنياتها، فيلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها، فترى ما يجري في داخلها رأي العين، وتخجل من بعضه، وتكره بعضه، وتتيقظ لحركاتها، وانفعالاتها التي كانت غافلة عنها! ومئات من اللمسات، ومئات من اللفتات، ومئات من الهتافات، ومئات من المؤثرات. يطلع عليها قارئ القرآن، وهو يتبع تلك المعركة الطويلة، وذلك العلاج البطيء، ويرى كيف انتصر القرآن على الجاهلية في تلك النفوس العصيّة العنيدة».[1]

وهكذا ينبغي أن يكون أسلوب الداعية متنوعًا، يتناسب وكل موقف؟ ويتوافق مع كل نفس، وما فيها من قدرات خَلْقية، وصفات مكتسبة. غير مُغْفِل لحال المدعو، ولا لصفاته الفطرية، ولا مزاياه الشخصية.

☜ وهذه بعض أوجه التباين بين المدعوين والتي ينبغي على الداعية أن يراعيها:

(1) مراعاة أحوال المدعوين الإيمانية

والمقصود بأحوالهم الإيمانية أي: ما يكون عليه المدعوون من الإيمان والكفر، وما عليه المؤمنون أنفسهم من تفاوت فيما بينهم في قوة الإيمان، والإقبال على الرحمن. الأمر الذي يحتم على الداعية ترتيب خطابه، واختيار مضمونه بما يتناسب مع حال المدعوين الإيمانية. ليتحقق لهم قبول الدعوة، وسرعة الاستجابة، فإن لكل قوم حالاً إيمانية، ولكل حال خطابها الدعوي الذي يناسبها. وأسلوب وحجج تتوافق ومستوى إيمانها فمن

(1) في ظلال القرآن. سيد قطب (ط:32، دار الشروق- القاهرة، 1423هـ-2003م) 6/ 3692-3693.

الناس من ليس في قلبه ذرة من إيمان بالله. ومنهم الذين مُلئت قلوبهم إيمانًا. وبينهما درجات ودركات لا يعلمها إلا الله.

فمن العبث: أن يُخاطبَ الجميع بأسلوب واحد، ومستوى علمي واحد، وأحكامٍ وحجج واحدة، دون مراعاةٍ لأحوالهم الإيمانية.

فالناس منهم الدهريون الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ومنهم الذين يؤمنون بوجود الخالق، مع انحرافات فكرية، وضلالات عقدية. وكذلك المؤمنون بالله، يتفاوتون من حيث التزامهم بقواعد الدين وأحكامه. فلا يجوز للداعية أن يكون غافلاً عن أحوال المدعوين الإيمانية هذه، فيضع -وقتئذ-الأمور في غير محلها. فليس من الحكمة: أن يتكلم مع الدهرين عن طاعة الله ومحبة رسوله ﷺ والتمسك بالدين، ويحتج عليهم بالآيات والأحاديث، وهم لا يؤمنون برب، ولا يقرون بدين. وليس من الشرع: أن يتكلم مع أهل الكتاب عن أهمية الصلاة، أو وجوب الحجاب، أو حرمة الاختلاط، أو أحكام الطلاق، وهي من شُعَبِ الإيمان، وهم لا يُسلِّمون بالأصل وفيما يلي بيان بأصناف المدعوين وبيان الفرق بين هذه الأصناف.

تقسيم الناس في الإيمان إلى الأصناف التالية:

الصنف الأول: الأخيار: هم الذين أتَوا بالواجبات على وجهها، وبمعظم النوافل، واجتنبوا محارم الله أو تابوا منها توبة نصوحًا، يأتون يوم القيامة ليس عليهم شيء. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ فاطر: ٣٢. ولهذه الأصناف تفصيلات كثيرة، وأحوال متنوعة، وأحكام مختلفة، ولكل أدلة شرعية، وشواهد واقعية.

الصنف الثاني: المقتصدون: هم الذين يأتون بالواجبات، ويجتنبون المحرمات، ولكنهم لا يسارعون في الخيرات، وإذا ما وقعوا في بعض الذنوب لم يصروا عليها، ويسارعون إلى

التوبة، وهؤلاء لم يكتمل الإيمان عندهم، فهم متفاوتون فيه حسب أعمالهم.

الصنف الثالث: العُصاة: هم المسلمون الذين غلب عليهم الفسق، وطغت عليهم المعصية، وهيمنت عليهم شهواتهم وأهواؤهم، حتى أصبحت تُلازِمهم، فلا يهتمون بدين، ولا يُفكرون بتوبة، وهؤلاء فيهم ضعف شديد في الإيمان، ولكنهم يقرون بذنوبهم، ولا يستحلُّونها.

الصنف الرابع: الضالون: هم المسلمون الذين رضوا بالله ربًّا، وبالقرآن كتابًا من رب العالمين، وبمحمد نبيًّا، وبالإسلام دينًا، ولكنهم لم يفهموا الإسلام على حقيقته، فانحرفوا انحرافات مختلفة ومتفاوتة. فمنهم من وقع في الشرك. ومنهم من سقط في ضلال وابتداع وخرافات. وفي بعضهم ضعف شديد في الإيمان، وإعراض كبير عن الاتباع. وكثير منهم أصحاب أهواء، وكثير منهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. كالخوارج، والمعتزلة وغيرهم من أمثالهم، ويدخل في هذا الصنف المتحررون.[1]

الصنف الخامس: المنافقون: هم الذين يُظهِرون الإسلام، ويُبطِنون الكفر. ونفاقهم هنا نفاق عقيدة وليس نفاق عمل[2]. وهذا النوع من النفاق يخرجون به من دائرة الإسلام، ويصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء: ١٤٥

(1) وهم فرقة حديثة: تسمى تارة بالليبرالية أو العلمانية (اللادينية)... وهم الذين يريدون أن يخضعوا الإسلام للواقع وللتوجهات السياسية العالمية منها والمحلية، بدل أن يخضعوها للإسلام، وبعضهم يحاول التوفيق بينهما، ولهم مبادئ شتى، وتخبطات كثيرة، ينقضون بها بعض أصول الإسلام، ومنهم من أتى بكفر بيّن، ومنهم دون ذلك، ولهم تفصيلات وأحكام، ليس هاهنا محل تفصيلها.

(2) نفاق العمل يوصف به من يأتي بعمل من أعمال النفاق رغم أنه مسلم ويؤدي فرائض الإسلام، وهو المقصود بقول الرسول ﷺ «عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر» صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق. 1/ 78. رقم 106.

الصنف السادس: الباطنيون: هم الذين انتسبوا إلى الإسلام، والإسلام منهم براء، وغالبهم من الحاقدين على الإسلام، ادعوا الانتساب إليه ليكيدوا به[1]

الصنف السابع: أهل الكتاب: هم الذين يؤمنون بالله خالقاً، وبكثير من الرسل، ولكنهم يشركون بهم، أو بغيرهم، ولا يؤمنون برسالة الإسلام[2] (اليهود والنصارى).

الصنف الثامن: المشركون: هم الذين ما زالوا يعبدون الأصنام، على اختلاف مشاربهم، حتى ساعتنا هذه.[3]

الصنف التاسع: الدهريون: هم الذين لا يؤمنون برب، ولا رسول، ولا كتاب، ولا دين.[4]

**** المقصود من هذا التقسيم**

والمقصود من هذا التقسيم؛ أن يكون الداعية على بيِّنَةٍ من أصناف الناس، وأحوالهم الإيمانية، ومواقفهم الاعتقادية، ليَختار لكل صنف خطابه، وما يناسب اعتقاده، ومستوى إيمانه، فيُخاطب الدهرين: في إثبات وجود الخالق عز وجل، ويقيم البراهين على ذلك.

---

(1) فمنهم من يدّعي وجود نبي بعد رسول الله، ومنهم يدّعي نسخ بعض أركان الإسلام، ومنهم الذين يدّعون تحريف القرآن، ومنهم من يُكفِّر معظم الصحابة، ولكل فرقة أتباع جاهلون، لا يعلمون الحقيقة.

(2) هؤلاء هم اليهود والنصارى، وهذه التسمية لها بعدان: بُعد تشريفي لهم، فهم لهم سابقة إيمان بالله وعلاقة بالرسل والكتب السماوية. والبعد الثاني في أنه دليل إدانة لهم إن لم يؤمنوا بالإسلام ويستجيبوا له، لأن كتبهم أمرتهم بذلك. فالنداء لهم بهذا المسمى تشريف وتكليف، وقد ناداهم القرآن به كثيرا لترغيبهم في الدخول في الإسلام.

(3) وقد أخطأ من أنكر وجودهم اليوم، بل هم كثيرون، وربما كانوا يمثلون الديانة الثانية أو الثالثة في العالم، ويتواجد معظمهم في جنوب شرق آسيا وأواسط أفريقية، ويُعدُّون بمئات الملايين، فمنهم الهندوس والبوذيون والسيخ، ومنهم قبائل كثيرة في إفريقيا وآسيا يعبدون معبودات مختلفة ومازالوا يعكفون على أصنامهم المختلفة، فمنهم من يعبد الرجال. ومنهم من يعبد الحيوانات، كالبقرة والأسد والثعابين... إلخ.

(4) وهؤلاء فرقة قديمة حديثة ويدخل ضمنهم فريق من الملاحدة في هذا العصر الذين لا يؤمنون بوجود خالق للكون، وقد نبَّه عليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية 24.

ويُخاطِب أهل الكتاب في صحة رسالة الإسلام، وبعثة الرسول ﷺ ووجوب الإيمان بالرسل جميعًا.

وأما الضالون؛ فيُخاطَبون بتصحيح المرجعية، ووجوب الاتباع، واجتناب الهوى، وقواعد معرفة الحق، ومعنى الدليل.

ويُخاطِب المسلم العاصي بما يزيد من إيمانه، وبما يُحببه بالله تعالى ورسوله ﷺ ثم يُخاطَب بمقتضى هذا الإيمان، وهذه المحبة. ويُرغَّب في ذلك ويُرهَّب، ويُدعى بطرق زيادة الإيمان. والتنبه إلى سبل الشيطان. وهكذا، لكل صنف طريقتُه، ولكل مستوى مقالُه.

(2) مراعاة أحوال المدعوين العِلمية

من الحكمة بمكان: أن يدرك الداعية مستويات المدعوين العلمية، ومخاطبتهم بما يناسبهم، وبما يحتاجون إليه. فلا يخاطبهم بما يَمَلُّون من سماعه، ولا بما لا يحتاجون إليه.

فليس من الحكمة: أن يُكلِّم الداعية جمهور المسلمين في تفاصيل علمية، كعلم أصول الفقه، أو مصطلح الحديث، أو أنواع كلام الله عند الفِرق، أو في خلافات العلماء، أو في دقائق لغوية، أو طرح شُبه الفِرَق الضالة، فإن لهذه المسائل مقامًا غير مقام الدعوة، وغير مقام جمهور الناس، كما ينبغي أن يُهتمَّ بما يُلْقَى في الإذاعات، والقنوات، وتوظيف برامج علمية وفقهية خاصة بالعامة، وأن يقلل من الدروس التخصصيّة، لأنها ليست من باب الدعوة إلا قليلا، فإن مقامها طلبة العلم في الجامعة والمسجد، ومعظم مشاهدي الفضائيات من العوام الذين سينصرفون عن هذه الدروس، ولا يستفيد منها إلا قلة قليلة من الناس، إلا إذا استطاع المحاضر بأسلوبه أن يبسط المعلومة، ويجذب بعباراته العامة.

والداعية الحكيم، هو الذي يكلم المدعوين بما ينفعهم، مما يناسب مستواهم العلمي، وعلامة الحكمة في ذلك: أن ينصتَ معظم المدعوين، وأن ينتفعوا بما يسمعون. فإذا كان الناس لا يعرفون أحكام الأركان الخمسة، فهل من الحكمة أن يجول الداعية بالمدعوين في

تفصيلات عقدية أو فقهية، لا يفهمونها، وإن فهموها فهي لا تنفعهم في حياتهم العامة.

ومما لا يخفى؛ أن للجاهل في الشريعة حكمًا، وللعالم بالأمر ـ وهو يخالفه ـ حكمًا آخر.

وكان رسول الله ﷺ يراعي أحوال المدعوين العلمية ومن ذلك: الأعرابي الذي بال في المسجد، [1] وكشف عورته فيه، وقام أصحاب رسول الله ﷺ ليقعوا فيه. لا شك أن تصرُّفَهم هذا ليس من الحكمة، لأنهم لم يُقدِّروا حالته من جهتين: حال كونه جاهلاً، وحاله ـ وقتئذ ـ وهو حاقن، يريد أن يبول.

ولكن خير الدعاة وسيد الحكماء عليه الصلاة والسلام، أدرك حاله من الجهل، وأدرك أنه ـ ساعتئذ ـ في حالة خاصة، أما الجهل: فدواؤه التعليم. وأما الحالة الخاصة ـ التي كان عليها ـ فعلاجها التأخير حتى يفرغ من بوله، ولو كان في المسجد، ولو كان كاشف العورة، لأن مفسدة قطعه من بوله أعظم من مفسدة ما يفعل. فضلاً عن أنه لن يستوعب ما سيقال له؛ لذلك: بدأ رسول الله ﷺ بمعالجة حاله، ونهى الصحابة أن يتعرضوا له، بل منعهم من أن يقطعوا عليه بوله، فقال: «لا تُزرِمُوه». ثم ما إن انتهت حاله هذه، إلا وبدأ رسول الله ﷺ بمعالجة حاله الأصلية، وهي الجهل، فبدأ يُعلِّمُهُ بكل رِفق، وبكل سهولة، حتى قال الأعرابي قولته المشهورة، التي أضحكت رسول الله ﷺ: «اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا».

فانظر أيها الداعية إلى أثر مراعاة أحوال المدعوين، في محبة الداعي، وقبول دعوته.

وتكلم معاوية بن الحكم السُّلَمِي رضي الله عنه في الصلاة، وكان لا يعلم أن الكلام قد حُرِّم فيها، فما إن انتهت الصلاة حتى أتى رسول الله ﷺ فقال له: «إن هذه الصلاة لا

---

(1) الحديث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَجُلا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ فِيهِ، فَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ لا تُزْرِمُوهُ فَلَمَّا فَرَغَ دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاةِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ شَنًّا وَتَرَكُوهُ». صحيح مُسْلِم، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. 1/ 236، رقم 98.

يصلح فيها شيء من كلام الناس»[1]. فقال معاوية رضي الله عنه وهو يصف ما خرج به من انطباعٍ عن رسول الله ﷺ: ما رأيت معلمًا قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرَنِي ولا ضربني ولا شتمني.

ومع هذا الرفق بمن لا يعلم، كان رسول الله ﷺ يغضب إذا أُنتهكت حرمات الله، فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بِالرَّبْذَةِ، وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّةٌ، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلاً فَعَيَّرْتُهُ بأمه، فقال لي النبي – ﷺ –: «يا أبا ذر أَعَيَّرْتَهُ بأُمِّه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وَلْيُلْبِسْهُ مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[2]

حاجة الدعاة إلى هذا الفقه

ألقى أحد الدعاة –في إحدى الدول الأوروبية–محاضرة في صفات الله، فكان مما قال: «إن أهل العلم اختلفوا في عدد أصابع الله، هل هي خمس أصابع أو ست...؟ وأن رواية الدار قطني فيها: كذا وكذا، ولكن العلة: كذا وكذا» والناس الحضور من الجهل بمكان، لا يعرفون أركان الإسلام من أركان الإيمان، ولا يمكنهم أن يستوعبوا ما يقال، بل ربما دفعهم هذا إلى التشكيك، واتهام الداعية بالتجسيم، فضلاً عما عليه معظمهم من الذنوب والفسوق. وأطال وأسهب. وبدأ الناس يتلفتون. ماذا يقول الداعية؟!

وبدأت إدارة المسجد تفكر بمخرج من هذه المشكلة، فلا الموضوع يناسبهم، ولا المسألة تفيدهم، إن لم تك تضيعهم أو تنفرهم، وربما أحدث فتنة كبيرة بينهم. ثم تدخَّل أحد الدعاة، فأنقذ الموقف. وتكلم عن صفات الله بما يتناسب وَوَضْع المدعوين مما هم فيه

(1) صحيح مسلم. كتاب الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، 1/ 381. رقم 537.

(2) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، 3/ 1282، رقم 1661.

من الذنوب، وأَثَرِ الإيمان بهذه الصفات في الرجوع إلى الله. [1]

وهكذا كان خطاب الداعية الثاني، بما يناسب مداركهم العقلية، ومستوياتهم العلمية، وحالاتهم الواقعية، فهم لا يدركون مصطلح الحديث، ولا يناسبهم الكلام في الخلافات الفرعية الدقيقة. وإنما الذي يناسبهم ويحتاجون إليه هو التوبة، والرجوع إلى الله تعالى، وهم بحاجة إلى معرفة أركان دينهم، قبل حاجتهم إلى شيء آخر.

فكم نحن بحاجة إلى إعادة النظر في خطابنا الدعوي!!

والخلاصة: على الداعية الحكيم ألا يتكلم إلا بعد أن يعلمَ مستوى المدعوِّين العلمي، وحاجتهم الدينية، وأن يكلمهم بما يناسبهم، والله الهادي إلى الحكمة والسداد.

(3) مراعاة أحوال المدعوين النفسية

من أفضل ما يتحلى به الداعية، إدراكُ ما عليه المدعوُّون من حالة نفسية خاصة، أو ظرف طارئ، وما يكون عادة بينهم من التفاوت في المنازل. فإذا كان ثمة زلزال، أو حريق، وحصل هلع، ووقع هرع، وتكشفت النساء، واختلطن بالرجال، فليس من الشَّرْعِ أن يُعابَ عليهن، وهن لم يقصدن ذلك، أو يقف الداعية-وقتئذ-ليعظهن في حلال وحرام، والأمر فيه موت، وشغل عما هو فيه. أو كان المسلمون في بلد تحت الاضطهاد، كما كان الأمر في عهد الحكم الشيوعي، فعليه أن يقدر ظروفهم، وألا

(1) ولولا فضل الله أن قدر حضور أحد الدعاة، الذي أنقذ الله به الموقف لكانت فتنة عظيمة. ونظراً لأهمية هذه المواقف، أذكر كيف استطاع الداعية الثاني، أن يخرج الجميع من هذا المأزق بالتدرج من فقرة إلى فقرة. دون أن يشعرهم، ودون أن يخدش شعور المحاضر. فقام متدخلاً لصالح المحاضر، مدعياً المداخلة والمشاركة في ذلك، فمما قال: لا شك أن ما يدعو إليه المحاضر هو الحق، من إثبات صفات الله تعالى، وكيف لا نثبت أن الله كريم رحيم بعباده؟! وكيف لا نثبت أن الله غفور تواب على عباده...؟! ونحن مذنبون نحتاج إلى أثر هذه الصفات من الله. ثم فصل في أثر هذه الصفات في التوبة، وغفران الذنوب، والإقبال على الله، وتكلم عن صفة السمع والبصر لله. وأنه يرانا. ويسمعنا. إلخ ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾الإسراء: 17. وانتهى الموقف على خير ما يرام، ففرحت إدارة المسجد، واستفاد المدعوون، ونسوا ما كان من المحاضر الأول، وخرج المحاضر الأول بماء الوجه، إذ لم يخدش شعوره بشيء، فالله نسأل الحكمة والقبول.

يُحَمِّلَهُم مالا يُطِيقُون. كيف؟ وقد عذر الله الذين لا يستطيعون الهجرة إلى ديار الإسلام نظراً لظروفهم الخاصة، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ النساء: ٩٧-٩٨.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ الأنفال: ٧٢. فكل هذه الأحكام تقديرًا لظروفهم الخاصة.

كما لا يجوز للداعية، إغفال منازل الناس، ومقاماتهم الخاصة، وعليه مراعاتها، وفي الأثر عن عائشة رضي الله عنها: «أنزلوا الناس منازلهم»[1].

وقال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»[2]. والمقصود من الحديث: أنه إذا سقط مَنْ عُرِفَ عنه التُّقى، أو الوَجاهة، في زَلَّة أن يُعفىَ عنه، ويُغَضَّ الطرفُ عن زَلَّته.

قال الإمام الشافعي: «وذوو الهيئات الذين يقالون في عثراتهم: هم الذين ليسوا يُعرفون بالشر، فَيَزِلُّ أحدهم الزَّلَّة».[3] وفي هذا تقدير واضح لبعض الظروف التي يَمُرُّ بها الناس.

ولما قدم عدي بن حاتم الطائي إلى رسول الله ﷺ استضافه، وقدَّم له وِسَادة إكرامًا

---

(1) ذكره مسلم في المقدمة (1/ 170) فقال: وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم، وأخرجه أبو داود ج: 4، ص:261، رقم 4842، وهو ضعيف، فيه انقطاع بين ميمون وعائشة وفيه علل أخرى، وأخرجه ابن عساكر (42/ 522) عن علي، وفيه الأصبغ بن نباته متهم بالكذب، فلعله من قول عائشة رفعه من رفعه خطأً لضعفه في الحفظ.

(2) سنن أبي داود. باب: في تنزيل الناس منازلهم، ط: بيروت، المكتبة العصرية. 4/ 261، رقم 4842.

(3) سنن أبي داود. باب: في الحد يشفع فيه، 4/ 133. رقم 4375.

له، فهو ابن كريم مشهور.[1]

والمقصود: تقدير ذوي الهيئات. ومن كان وجيهًا، أو سلطانًا، فلا يستحسن مناصحته أمام الناس، بل لابد أن يكون على انفراد، وبأسلوب لا يدفعه إلى الاعتزاز بسلطته، أو استخدامها إذا لم تُرق له الموعظة.

قال ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر فلا يُبْدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلوَ به، فإن قَبِل منه، فذاك، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه له».[2]

وأهدت إحدى زوجات النبي ﷺ للنبي ﷺ طعامًا، وكانت ليلته عند بعض نسائه، فضربت ـ التي يقيم النبي ﷺ في بيتها ـ بِيَدِهَا يَدَ الخَادِمِ فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، ويقول: «غارت أُمُّكُم» وقال: «كُلوا» وحبس الخادم والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة، وحبس المكسورة[3]. أي: أخذ من بيت التي كَسَرَتِ القصْعَةَ قَصْعَةً سليمةً، وأرسلها للزوجة صاحبة القصعة المكسورة.

ومع بساطة هذه القصة، إلا أنها لا تخلو من مدلول عظيم على سُمُوِّ خُلُقِ النبي ﷺ وتقديره لأحوال الناس، وظروفهم الطارئة.

ولو فعل أحد العلماء مثل هذا الفعل أمام رسول الله ﷺ لكان فيه من الاستهجان وتجاوز حدود الأدب الشيء الكثير، ولكن النبي ﷺ أدرك – وقتئذ– حالتها الخاصة، وما ثار فيها من غَيْرةِ النساء التي تُفقِدُهُن عقلَهن، وحُسنَ التصرف، فما زاد أن قال: «غارت أُمّكم».

ومَرَّ رسول الله ﷺ بامرأة تبكي على ولدها، فقال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (4/ 223)، وتاريخ ابن عساكر (40/ 77) وأصل الحديث في الترمذي (2953)، وأحمد (4/ 378)، وصحح أصله الألباني في الصحيحة.

(2) مسند أحمد بن حنبل، حديث هشام بن حكيم بن حزام ﷺ. 24/ 49.

(3) صحيح البخاري، كتاب: النكاح باب: الغيرة. 7/ 36، رقم 5225.

عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بَوَّابين، فقالت: لم أَعْرِفْكَ، فقال: «إنما الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الأُولى»[1].

ولا شك أن كلمتها «إليكَ عني» كلمة كبيرة على أحدِنا، فكيف إذا قيلت لرسول الله ﷺ ؟! ولكن النبي ﷺ سيد الحكماء، أدرك ما كانت المرأة عليه من حالة خاصة، فضلاً عن أنها لم تعرفه.. فأعرض عنها، بل أعرض عن تعليمها، لأنها في حال لا يُمَكّنها من القبول والفهم، فلما جاءته وكانت في نَفْسِيَّةٍ غيرَ نَفْسِيَّتَهَا الأُولى، أقبلَ عليها الرسول ﷺ يعظها ويعلمها ولا يعاتبها.

ولما نزلت الآيات بتبرئة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، قالت لها أمها: قومي فاحمدي رسول الله ﷺ فقالت: «لا والله؛ لا أقوم إليه، ولا أَحْمَدُ إلا اللهَ عزَّ وجَلَّ.»[2]

ولا شك أن هذا القول لا يتناسب، ومقام الرسول ﷺ ولو كان مع أحدنا، لوجدَ في نفسه ما وجد. ولكن النبي ﷺ سيد الدعاة أدرك حالتها الخاصة، فلم يجد في نفسه عليها، بل لم يعاتبها مجرد عتاب على هذا التصرف.

ولينظر الدعاة والهداة إلى هذا الحدث مع رسول الله ﷺ... وتأَمُّل ما فيه من الحكمة في مخاطبة المدعو بما يناسب حاله.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لا وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللهَّ يَا رَسُولَ اللهَّ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا

(1) صحيح البخاري. كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور، 2/ :79. رقم: 1283.

(2) صحيح البخاري. كتاب الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا، 3/ 173. رقم 2661.

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.»[1]

لقد أدرك رسول الله ﷺ حالته الخاصة، فلقد كان يتصارع في نفس الشاب شهوة عارمة، وإيمان صادق، ولم يرَ الشاب –وقتئذ– حَلاً لهذا الصراع، وَفَضًّا لهذا النزاع.. إلا إذنًا مؤقتًا من النبي ـ ﷺ ـ يتجاوز به حدود الشرع مؤقتًا، ثم يرجع إلى الشرع.

فتَقَدَّم إلى النبي ﷺ ليستأذنه بالزنى بكل صراحة، وأدرك النَّبِيُّ ﷺ حالَ الشابِّ، فلم يتوجه إليه بموعظة إيمانية، فضلاً عن أن يُعنِّفه أو يُوَبِّخه أو يطرده؛ لأن الشاب كان ممتلئاً إيماناً، ولولا ذلك لزنى دون إذن النبي ﷺ وعلمه، وما دفعه إلى الاستئذان إلا الإيمان. فجعل النبي ﷺ يُذَكِّرُهُ بما في هذا العمل من مفسدة أخلاقية عظيمة.. تستبشعها الفِطَرُ السليمة، وتستقبحها النفوس العفيفة. إذ أن المسألة ليست مسألة حرام فحسب... بل فيها مفاسد أخرى، فكأن النبي ﷺ يقول له: إذا استأذنت لك من الله... فكيف نحصل على الإذن من آباء المزني بهن، وإخوانهن، وأعمامهن، وأخوالهن.. وإذا أذنت لك بالزنى بقريبات هؤلاء. فهل ترضى أن آذن لهم فيزنوا بقريباتك؟

ولما بدأ الشاب يشعر أن لا مجال للإذن، ولا سماح بالإثم. سارع رسول الله ﷺ إلى تثبيته بدعاء، يثلج الصدور.. ويطمئن القلوب. ويهدئ الأنفس «اللهم اغفر ذنبه، وطَهِّر قلبه، وحَصِّن فَرْجَه». والنصوص من الكتاب والسنة، في تقدير ظروف المدعوين، كثيرة واللبيب يكفيه الإلمام.

---

(1) مسند أحمد. 5/ 256، المعجم الكبير للطبراني. 8/ 162، 183، شعب الإيمان للبيهقي: 4/ 362 (5415)، قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/ 592: رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 129: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 712 (370).

(4) مراعاة حاجات المدعوين الاجتماعية والاقتصادية

من الضروري للداعية الحكيم: أن يراعي حاجات الناس، من فقر، ومرض، ونكاح، وعزاء، وألا يتجاهلها، بل يكون قوي الملاحظة في ذلك مع المدعوين.

فقد خرج رسول الله ﷺ مَرَّةً، فإذا بأبي هريرة رضي الله عنه في الطريق، وقد خرّ على وجهه من الجَهْد والجوع، فقال له: «يا أبا هِرٍّ» فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني. وعرف الذي بي، فانطلق بي إلى رحله، فأمر لي بعُسّ من لبن، فشربت منه، ثم قال: «عُدْ فاشْرَبْ يا أبا هِرٍّ».[1]

ومن أعظم الفوائد الدعوية في هذا الحديث:

تَفَطُّنُ رسول الله ﷺ إلى حال أبي هريرة، وعدم تجاهل حاجته.

ومن بديع ما يُذكر هنا: أن أحد الصحابة جامع زوجته في شهر رمضان، فسأل النبيَّ ﷺ عن ذلك، فقال له: «هل تَجِدُ رَقَبَةً تَعْتِقُهَا؟» قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تَجِدُ إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أُتِيَ النبي ﷺ بِعَرَقٍ[2] فيها تمر قال: «أين السائل؟» فقال: أنا. قال: «خذه فتصدق به»، فقال الرجل: أعَلَى أفقرَ مِنِّي يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها، -يريد الحَرَّتَيْنِ-أهل بيت أفقرُ من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه.. ثم قال: «أطعمه أهلك».[3]

فما أحوجنا إلى هذا الفقه العظيم. وإلى تقدير ظروف المدعوين، إذِ انقلبَ الذَّنْبُ

---

(1) صحيح البخاري. كتاب الأطعمة، ج: 7/ 68، رقم 5375، والعُسُّ: القدح الكبير،

(2) العَرَقُ: المِكْتَل، أوالزَّبِيل والزِّنْبِيل. والعَرَق هو الوعاء الذي يُحمل فيه، ويكون من الخوص أو من الجلد.

(3) صحيح البخاري، كتاب: الصيام، باب: إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء. 3 / 32، رقم 1936، واللاّبة أو الحرّة: هي الأرض ذات الحجارة السود. والمدينة بين لابتين عظيمتين، النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 374)، مادة:(لوب)، قلت: فأراد بهذا الساكنِين بين هذين المكانيْن وهم جميع أهل المدينة.

عليه -لصدقه ولحاله-نعمةً. فهل من مدّكر؟

ولما أدرك رسول الله ﷺ حاجة أحد الصحابة -ممن كان يخدمه- في الزواج قال له: «يا ربيعة ألا تتزّوج؟» [1]

وأشهر من هذا كله: أن النبي ﷺ كان يأمر الأئمة أن يخففوا من الصلاة، مُعَلِّلاً ذلك بقوله ﷺ: «أيها الناس إنكم مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بالناس فَلْيُخَفِّفْ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» [2]. ولا شك أن غنى الفقير، وزواجَ الأعزب، وشِبَعَ الجائع، مطلبٌ عظيم، وحاجة مُلِحَّةٌ، لا ينبغي للداعية أن يغفل أو يتغافل عنها.

---

(1) الحديث عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا رَبِيعَةُ، أَلا تَتَزَوَّجُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَاللهَّ مَا عِنْدِي مَا يُقِيمُ امْرَأَةً، وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْ خِدْمَتِكَ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ لِي يَوْمًا آخَرَ: يَا رَبِيعَةُ، أَلا تَتَزَوَّجُ؟ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهَّ لَرَسُولُ اللهَّ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مِنِّي، وَاللهَّ لَئِنْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ الثَّالِثَةَ، لأَقُولَنَّ: نَعَمْ، فَقَالَ لِي الثَّالِثَةَ: يَا رَبِيعَةُ، أَلا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لِيَصْنَعْ رَسُولُ اللهَّ مَا شَاءَ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى آلِ فُلانٍ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقُلْ: رَسُولُ اللهَّ أَرْسَلَنِي يَقْرَأُ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلانَةَ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلانَةَ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللهَّ، وَبِرَسُولِ رَسُولِ اللهَّ، وَاللهَّ لا يَرْجِعُ رَسُولُ رَسُولِ اللهَّ الْيَوْمَ إِلا بِحَاجَتِهِ، قَالَ: فَزَوَّجُونِي وَأَكْرَمُونِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَرَآنِي كَئِيبًا حَزِينًا، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا رَبِيعَةُ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَتَيْتُ قَوْمًا كِرَامًا فَأَكْرَمُونِي وَزَوَّجُونِي، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَسُوقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: يَا بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ، اجْمَعْ لِي فِي وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَمَعَ لِي فِيهَا، فَقَالَ: انْطَلِقْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنِّي وَفَرِحُوا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَرَآنِي كَئِيبًا، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا رَبِيعَةُ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَتَيْتُ قَوْمًا كِرَامًا فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنِّي وَفَرِحُوا، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُولِمُ، قَالَ: يَا بُرَيْدَةُ، اجْمَعُوا لَهُ فِي ثَمَنِ كَبْشٍ، فَجَمَعُوا لِي فِي ثَمَنِ كَبْشٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: ائْتِ عَائِشَةَ، فَقُلْ لَهَا: يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهَّ: ادْفَعِي إِلَيَّ ذَاكَ الطَّعَامَ، فَأَتَيْتُهَا، فَقَالَتْ: دُونَكَ الْمِكْتَلَ، وَاللهَّ مَا عِنْدَنَا غَيْرُهُ، قَالَ: فَأَخَذْتُهُ وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ، فَقَالَ: انْطَلِقْ بِهَذَا إِلَيْهِمْ فَلْيُصْلَحْ هَذَا عِنْدَهُمْ خُبْزًا، وَلْيُنْضَجْ هَذَا عِنْدَهُمْ لَحْمًا، فَأَتَيْتُهُمْ بِهِ، فَقَالُوا: أَمَّا الْخُبْزُ فَنَحْنُ نَكْفِيكُمُوهُ، وَاكْفُونَا أَنْتُمُ اللَّحْمَ، فَانْطَلَقْتُ بِالْكَبْشِ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِي، فَتَعَاوَنَّا عَلَيْهِ فَفَرَغْنَا مِنْهُ، وَانْطَلَقْتُ بِهِ فَأَوْلَمْتُ، فَدَعَوْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَأَجَابَنِي.» انظر: المستدرك على الصحيحين. 2/ :188 رقم 2718.

(2) صحيح البخاري. كتاب: العلم، باب: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، 1/ 30. رقم 90

(5) مراعاة عادات الشعوب وثقافتها

والمقصود بعادات الشعوب وثقافتها: أي ما هم عليه في دينهم وبلدهم وطريقة تعاملهم، وما اعتادوه في حياتهم، وورثوه من آبائهم.

فقد يكون قوم حديثو عهد بإسلام، اعتادوا محرمًا -يعلمون أنه مُحَرَّمٌ أو لا يَعْلَمُونَ- لا يُمكنهم الانفصال عنه في عشية أو ضحاها.

وقد يكونون في ضعف واضطهاد، لا يمكنهم القيام بشعائر الإسلام كلها، أو يكونون في حال قوة واستقرار، أو حال عِلْمٍ ودِين، أو حال جهل وفجور.

فلا بد للداعية من أن يكون بصيرًا بواقع الناس، عالماً بأحكام هذا الواقع. فكما أن لكل قوم حالًا. فإن لكل حال حكمًا ومقالاً.

وعلى الداعية أن يقسم عادات الناس إلى ثلاثة:

الأول: ما اعتادوه مما هو مُحَرَّم، لكنه مما عمّ فيهم وانتشر، كاعتياد النساء السُّفور والاختلاط، وسماع المعازف وشرب الدخان، وما شابه هذه المحرمات، كما هو الحال في كثير من البلاد.

الثاني: ما اعتادوه مما سكت عنه الشرع، لا يُحَرِّمُه ولا يوجبه، ومن ذلك؛ ما اعتادوه في أطعمتهم وألبستهم وولائمهم وأفراحهم، وأدويتهم، وطرق بنائهم، وما شابه ذلك.

الثالث: ما اعتادوه من الأخلاق الفاضلة، مما حث عليه الشرع حثًّا عامًّا، دون تقييد أو تخصيص، كالكرم والمروءة، وإغاثة الملهوف، والتعاون في حاجات المجتمع، وما شابه ذلك.

ولا بد للداعية قبل أن يخوض غمار الدعوة إلى الله تعالى؛ أن يكون على إدراك واقعي، وعلمٍ شرعي، وحكمةٍ دعوية في هذه العادات حتى يضع الأمور في مواضعها، وينزل الأحكام على وقائعها، وحتى لا يتعرض لِمَا يُوقِف دعوته، ويُعرقل

مسيرته؛ لأن التعرض لعاداتِ الناس دون حكمةٍ، مُفْضٍ في كثيرٍ من الأوقات إلى الفتنِ، واتهامِ الداعية، ومؤذنٌ بِعَزْلِهِ عن المجتمع، وتوقُّفه عن دعوته؛ ذلك لأن تَخَلِّيَ الناس عن عاداتهم -ولو كانت محرمة-ليس بالأمر الهيِّن، فمن الصعوبة بمكان أن يستجيبوا بموعظة أو موعظتين.[1]

المطلب الثالث: حق المدعو وواجبه

للمدعو ـ وهو مَنْ تُوَجَّهُ إليه الدعوة من بني آدم كائنًا مَنْ كانَ ـ حقوقٌ يجب على الدعاة إلى الله القيام بها وأدائها على ما ينبغي أن تُؤَدَّى عليه. وعليه واجبات يجب عليه القيام بها كما هو مطلوب منه.

☜ **ولعل أهم حق للمدعوين في أعناق الدعاة ما يلي:**

- أن يُقْصَدُوا ويُدْعُوا أَو يُرْسَلَ إليهم، وألا تكون الدعوةُ لهم عَرَضًا أو مُصادفةً.

- ومِنْ حقوقهم: أن يكون الحِرْصُ عليهم جميعا، ولا يستهان بواحد منهم مهما كان شأنه... فقد أرسل الله ﷻ رسله إلى الناس إعطاءً لحقهم من جهة، وإقامةً للحجة عليهم من جهة أخرى.

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق فبشَّر وأنذر، ودعا الناس فُرَادَى وجماعات، وذهب إليهم في أماكن تواجدهم، وتكبَّد عناء السفر مع الخوف عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم، بل إن من أشد الأيام عليه هذا اليوم، الذي أتعب نفسه فيه، وعرض الدعوة على أهل ثقيف فلم يستجيبوا له، بل أغْرَوْا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم فآذوه وأدموه.

---

(1) منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص: 89 ـ 129 بتصرف كبير، مرجع سابق.

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم -على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» قال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يعبدُ اللهَ وحده، ولا يشرك به شيئًا»[1]

وكان من حرصه على أمَّتِه أن يغتنم مواسم الحج ليعرض دعوته على قبائل العرب، حتى هيأ الله له نفرًا من أهل يثرب، فآمنوا به وصدقوه، فصاروا أنصارًا للإسلام، وحملةً للدين وأعوانًا على الحق، وخرج أصحابه من بعده بالدعوة فنشروا هذا الدين في الآفاق، وأقاموا الحجة على الناس كافةً؛ ذلك لأن الأمة المسلمة لم تُوجَد لنفسها، وإنما وُجدت لتنقذ البشرية قاطبةً من الظلمات إلى النور، فكانت بحق الأمة الداعية. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... **الآية**﴾ آل عمران: ١١٠. ولم يُفَرِّق رسول الله ﷺ في عَرْضِ دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير، وذكر وأنثى، وقريب أو بعيد. أو بين أبيض وأسود، وهكذا يجب أن يكون الدعاة، نشاط بلا كسل، ودعوة بلا مَلَلٍ، وشفقةً على الخلق، وأداءً للأمانة التي كلفهم الله بها.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق. باب: إذا قال احدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، 4/ 115، رقم 3231.

☜ واجب المدعو

إذا قام الدعاة إلى الله بواجبهم في التبليغ للدعوة فإن مِنَ الأَوْلَى على المدعوِّ تجاه ذلك أن يستجيب لدعوة الحق فلا يمنعه من الاستجابة مانع سواء أكان عادة اعتادها، أم جهلًا، أم كِبْرًا في نفسه، أم ضعفًا في شخص الداعي، أم تقصيرًا فيه، وما إلى ذلك....وقد ضرب الله أمثلة في الاستجابة للحق عند وضوح برهانه، وظهور آياته، فهؤلاء سحرة فرعون أصبحوا كفرة، وأضحوا مسلمين، وأمسوا شهداء لله. قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٤٥ - ٥١

وكذلك ينبغي أن يكون حال مَنْ اهتدى لطريق الإيمان في سرعة استجابته للحق والتقيد بمنهاجه والعمل بأحكامه، بل ودعوة الناس إلى الحق الذي هداهم الله إليه، قال تعالى في وصف هؤلاء المؤمنين: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: ٥١.

المبحث الثالث: موضوع الدعوة

الرسالة الدعوية بمضمونها الشامل هي المقصودة من عملية الدعوة تبليغًا ونشرًا، وتعليمًا وتطبيقًا. ومن ثم يختلف مضمونها عن مضامين الرسائل الأخرى في المجالات الحياتية المختلفة. ونتناول هنا بيانًا بموضوع الدعوة، وأهم المبادئ التي يدعو إليها الداعية المسلم.

المطلب الأول التعريف بموضوع الدعوة

موضوع الدعوة الإسلامية هو: الإسلام الذي يُدْعَى الناسُ إليه في ضوء الوحي..

والإسلام في اللغة: مشتق من الاستسلام وهو: الخضوع والانقياد، والتسليم والإذعان. وسُمِّيَ المسلمُ مسلمًا لخضوعه وانقياده لما جاء به النبيُّ محمد ﷺ.

والإسلام في الاصطلاح له إطلاقان: عام وخاص.

الإطلاق العام: يطلق لفظ الإسلام على الدِّين الذي بَعَثَ الله به رُسُلَه إلى البشر من لدن آدم حتى محمد ﷺ مهما اختلفت الشرائع، وتعددت الأمم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران: ١٩

الإطلاق الخاص: ويطلق الإسلام على ما جاء به النبيُّ محمد -ﷺ-وهو الدين الخاتم، والشريعة الخاتمة التي خضعت لها أمته، وآمنت بها. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣

☜ **والإسلام بهذا الاطلاق الخاص له تعريفان كذلك:**

أوَّلًا: الإسلام بمعناه العام ويقصد به: الدِّين الذي جاء به محمد -ﷺ-والذي يشتمل على جانب العقيدة والشريعة والأخلاق.

☜ **والإسلام بهذا المعنى له جملة من الخصائص يمتاز بها وهي:**

(أ) خصائص عامة مثل: الربانية، الكمال، الوضوح، الشمول، التوازن، والواقعية أو العَمَلِيَّة وهي قابليته للتطبيق في واقع الناس ومعاشهم؛ لمناسبة تشريعاته لفطرتهم، وقدرتهم على ذلك.

(ب) خصائص خاصة مثل: التيسير ورفع الحرج، التدرج في التشريع، التوقيف في جانب العبادات، الجمع بين الثبات والمرونة في الأحكام التشريعية.

ثانيًا: الإسلام بمعناه الخاص: وهو التعريف المستنبط من خلال بيان أركانه الخمسة، التي عَرَّفَهُ بها الرسولُ ﷺ كما في حديث عمر ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلا».[1]

(أ) جانب العقيدة:

يتمثل هذا الجانب في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. كما تلحق بهذا الجانب جميع المسائل العقدية التي جاء بها الاسلام والتي يُطلق عليها اسم النظام العَقَدِي في الاسلام.

(ب) جانب الشريعة

يتمثل جانب الشريعة في أركان الإسلام الخمسة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام سواء على المستوى الشخصي والأسري، أو على المستوى العام (المجتمعي) فيشمل ما يسمى بنظام العبادة، ونظام المعاملة، ونظام الاقتصاد، ونظام الأحوال الشخصية، ونظام الحكم والسياسة، ونظام

(1) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإسلام والإيمان والقدر. 1 / 36.

الاجتماع، وما إلى ذلك مما أَوْفَتْ بِبَيَانِهِ كُتُبُ الفقه والأحكام.

(جـ) جانب الأخلاق. أو نظام الأخلاق في الإسلام.

ويُقْصَدُ به: جُملةُ القِيَمِ والأخلاق الكريمة، والصفات الحسنة، التي جاء بها الإسلام، وحثَّ عليها في التعامل مع كل أنواع الوجود الأزلي، والمُحْدَثُ، الغيبي والمشاهد. ومنه الإحسان المُشَار إليه في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه...».

- **علاقة العقيدة بالشريعة والأخلاق**

يربط الإسلام العقيدة بالشريعة بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى، على أن تكون العقيدة أصلًا يدفع إلى الشريعة، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة، فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة (الأحكام) أو أخذ بالشريعة وألغى العقيدة لا يكون مُسْلِمًا في نظر الشَّرْعِ، ولا سالكًا طريق النجاة كما توضح تعاليم الإسلام ذلك. ولا بد للعقيدة والشريعة من أخلاق تُبرِزُهما في صورتَيْهِمَا الحسنة الجميلة؛ إذِ الأخلاق ثمرةٌ لهما، وذلك من خلال السلوك اليومي للمسلم في تعامله مع الكون والمجتمع الذي يعيش فيه؛ تحقيقًا للسعادة والأمن في الدنيا والآخرة.[1]

المطلب الثاني: مبادئ الإسلام الأساسية التي يُدْعَىَ إليها

يمكن إجمال أهم هذه المبادئ في ثلاثة جوانب، هي:

جانب الصِّلَةِ بالله تعالى. جانب الصِّلَةِ بالنفس. وجانب الصِّلَةِ بالآخرين.

هذه الجوانب الثلاثة أشار إليها النبي الكريم ﷺ في حديثه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».[2]

---

(1) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، ص:35. مرجع سابق.

(2) سنن الترمذي. كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ. باب: ما جاء في معاشرة الناس. حديث رقم: (1987) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(أ) المبادئ الأساسية في جانب الصِّلَةِ بالله تعالى. (أركان الدين)

تتمثل هذه المبادئ في الدعوة إلى الإيمان بالأركان الستة وذلك من خلال حديث جبريل ـ عليه السلام ـ وسؤاله للنبي ﷺ ما الإيمان؟ والدعوة إلى العمل بأركان الإسلام الخمسة كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «بني الإسلام على خمسٍ...». وكذلك الدعوة إلى الإحسان، الذي لا يكتمل إيمان المسلم إلا به كما جاء في حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ ما الإحسان؟

هذه الأركان مجملة -الاعتقادات، والأعمال، والأحوال-لها أثرها في حياة المسلم. ونظرًا لأهميتها؛ فقد أطلق عليها النبي ﷺ كلمة الدِّين في حديث جبريل عليه السلام حيث قال بعد أن انتهى من سؤاله وانصرف: «... فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم».[1]

من هذا العرْض الموجز يتضح أنَّ أركان الإسلام أعمُّ وأشمل من أركان الإيمان، حيث إنَّ الركنَ الأولَ من أركان الإسلام يشتمل على الجانب الاعتقادي، ويتعلق بالإيمان، بينما جاء الجواب عن سؤال جبريل في الحديث مُبَيِّنًا أركان الإيمان الستة.

(ب) المبادئ الأساسية في جانب الصِّلة بالنفس

تتمثل هذه المبادئ في الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها المادية والمعنوية كاملة غير منقوصة. وفي الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها، وأداء وظائفها، والتحذير من إنكار التوازن بين الحقوق والواجبات، ومثال ذلك: موقف سَلْمَان الفارسي من أخيه أبي الدرداء -رضي الله عنهما-وكذلك حديث الرهط الثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته.[2]

(ج) المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإسلام والإيمان والقدر. 1 / 36.

(2) موقف سلمان روي من طريق عون بن أبي جُحَيفة عن أبيه، وأورده البخاري في صحيحه، كتاب الصوم. باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له. 3 / 38. رقم 1968.

أما خبر الرهط الثلاثة فقد روي عن أنس ﷺ، وخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح. 7/ 2. رقم 5063.

تتضح هذه المبادئ من خلال: دعوة الإسلام إلى برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والعناية بالأهل والأولاد. والدعوة إلى حسن الجوار، والرحمة بالضعفاء واليتامى والمساكين. والدعوة إلى التآخي والتعاون والتعاطف والتحابّ بين المسلمين. والدعوة إلى بذل النصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والدعوة إلى الشورى، وعدم الانفراد في الرأي. والدعوة إلى العدل والمساواة بين الناس. والدعوة إلى معاملة الناس بالخُلُقِ الْحَسَنِ.

المبحث الرابع: وسائل الدعوة

تُعَدُّ الوسائل والأساليب الدعوية ركنًا مُهمًّا من أركان ودعائم الدعوة إلى الله تعالى؛ ذلك أنها الأداة التي من خلالها تنتشر الدعوة، ويتحقق بقاؤها واستمرارها. وقد تباينت آراء المتخصصين في مجال الدعوة الإسلامية حول مفهوم كل من الوسيلة والأسلوب وفي العلاقة بينهما، وقد رأيتُ توضيح كل مفهوم على حِدَةٍ، ثم ذكرُ الفرق بينهما وأقوال العلماء في ذلك؛ دفعًا للبس وبيانًا للمطلوب، مع بيان أنواع الوسائل وفائدة كل وسيلة.

المطلب الأول: تعريف الوسيلة، وأنواعها

من الواجب على الداعية تحديد ما يدعو إليه، وكذلك تحديده للوسيلة التي يوصل بها دعوته إلى مَنْ يدعوهم.

والدعوة إلى الله تعالى في أمسِّ الحاجة إلى داعية موفَّق يحسن اختيار أفضل الوسائل وأحسنها لإيصالها إلى المدعوين، حيث إنَّ ثمرة الدعوة المرجوَّة تتوقف على قوة تأثير الوسيلة في نفوس المدعوين، فكلما كانت الوسيلة أقوى كلما كانت الثمرة أعظم. والداعية إلى الله تعالى مطالب من جهة العقل والشرع معًا باستخدام الوسيلة المباحة والمناسبة التي يوصل من خلالها دعوته إلى المدعوين.

وقد تتعرض بعض الوسائل الدعوية لبعض العوارض أو المعوقات، وهذا أمر طبعي يتكرر دائمًا نظرًا للصراع الدائم بين الحق والباطل؛ لذا على الداعية الحكيم الانتقال إلى وسائل أخرى –وما أكثر البدائل– بل إن من الحكمة التي ينبغي أن يتصف بها الدعاة مراعاة الظروف الزمانية والمكانية للوسيلة المراد تطبيقها، فيأخذون بالمناسب من الوسائل، ويؤجلون غيرها إلى فرص أخرى[1].

---

(1) انظر: 92 وسيلة دعوية، إبراهيم بن عثمان الفارس. ص: 5، 6 بتصرف. على الرابط:
http://www.saaid.net/afkar/Fekrh47.htm

أولا: مفهوم الوسيلة

الوسيلة لغةً تعني: القُرْبَى والوصْلَة. ويقال: توسل فلان إلى فلان بوسيلة، أي: تسبب إليه بسبب. والوَسِيلةُ: المَنْزِلة عند المَلِك، والوَسِيلة الدَّرَجة، والوَسِيلة القُرْبة ووَسَّل فلانٌ إِلى الله وسِيلةً إِذا عَمِل عملاً تقرَّب به إِليه، والواسِل: الراغِبُ إِلى الله، وهي في الأَصل: ما يُتَوَصَّل به إِلى الشيء ويُتَقَرَّب به.[1] فكل ما يتوصل به إلى شيءٍ ما فهو وسيلة. فالوسيلة إذن هي: السبب الموصل إلى المقصود، أو المُعِينُ على ذلك.

الوسيلة في الاصطلاح

الوسيلة هي: مجموع الطرق المؤدية إلى تبليغ الدعوة الإسلامية، وإيصالها إلى عموم المدعوين. وتأخذ الوسيلة شكل الأدوات والأوعية الحِسِّية والمعنوية؛ لنقل مضمون الدعوة، فهي أداة وقناة يَعْبُرُ منها المعنى إلى الناس.

كما تُعَرَّفُ بأنها: الكيفية العملية التي تنتقل الدعوة من خلالها من مصدرها إلى مَنْ يُرادُ إيصالها إليهم بأساليب مختلفة. وهي القنوات التي تَعْبُرُ من خلالها الأساليب إلى الطرف المتلقِي لتحقيق غاية مقصودة.[2]

إذ لابد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه والوصول إلى غايته من استخدام الوسيلة التي تُعِينُه على ذلك، فإن الله ﷻ ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات.[3] قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ المائدة: ٣٥

(1) لسان العرب. 11/ 724. مرجع سابق. وانظر: تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردِيني، على محمد البجاوي (الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة، د. ت) باب: السين واللام:13/ 67،68.

(2) الدعوة الإسلامية أصولها–وسائلها–أساليبها في القرآن الكريم. مرجع سابق. ص: 41. بتصرف.

(3) وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مجلة دراسات دعوية العدد 16، يونيو 2008 م.

قال ابن كثير (رحمه الله): «الوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود»[1] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمرٍ، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود والمراد. والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود، فلهذا يذكرُ الدعوة تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة»[2].

☜ **وتنقسم الوسائل إلى ثلاثة أقسام:**

أ- **الوسائل المعنوية أو العِلْمِيَّة (الأسلوبية)**[3]: وهي طريقةٌ مُتَّبَعَةٌ مخصوصةٌ بالبيان والتعليم والبلاغ: كالدرس، والمحاورة، والمناظرة، والدورة العلمية، وما شابه ذلك.[4]

وتشترك الوسيلة مع الأسلوب في هذا المعنى، غير أن إفرادها هاهنا يُبين المقصود، ويُوضح المسلك الدعوي. وهي -كذلك- جميع ما يُعين الداعية على دعوته من أمور قلبية أو فكرية، أو خُلُقية كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والتفكير والتخطيط، وما إلى ذلك من أمور لا تُحَسُّ ولا تُلْمَسُ وإنما تُعْرَفُ بآثارها.

ومن الوسائل التي أسهمت في تأثر الفكر والعقل البشري بالدعوة إلى الله، وسيلة القول والموعظة الحسنة فبالقول اللين والتعامل الحسن ومطابقة القول للفعل يدخل الشخص إلى الإسلام -غالبًا- وفي الكتاب العزيز يقول الله تعالى مخاطبًا موسى وهارون -عليهما السلام- حينما أرسلهما إلى فرعون لدعوته على الله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ

(1) تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 3/ 103.

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية. 15/ 162. مرجع سابق.

(3) المدخل إلى علم الدعوة. مرجع سابق، ص 282-284. وانظر: الثويني. محمد بن عبد العزيز. من وسائل الدعوة، على الرابط التالي: http://www.saaid.net/afkar/70.htm?print_it=1

(4) إشكالية أن هذه الوسائل يتم استخدام الصوت فيها – وهو محسوس – يجعلنا نميز بينها وبين الأدوات الحسية بأن ننسبها إلى الفكر أكثر من نسبتها إلى الحس.

أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤. كما أمر باستعماله. وقال -تعالى- مبينًا أمهات الأساليب الأساسية في الدعوة إليه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥

وقد جَعل رسول الله ﷺ النصيحة أساس الدين، وقد استخدمها جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في دعوتهم لأقوامهم، فقد أخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ الأعراف: ٦٢. فقد تكون النصيحة سببًا للهداية والتفكير السليم.

ب-الوسائل الحِسِّيَّةُ (الماديَّة) وأنواعها

الوسائل المادية: هي وسائل تتكون من المادة: كالحديد، والورق، والتراب، وغيرها، مثل مُكَبِّرِ الصَّوت، والمنبر، والحاسوب، والإذاعة، والصحف، والكتب، وجميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة. وترتكز هذه الوسائل على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب، وعلى العلوم التجريبية.[1]

جـ- الوسائل العَمَليَّة

هذا النوع من الوسائل لا يعتمد على الكلمات والأساليب والصور، وإنما يظهر من خلال العمل والحركة. ومن خلال هذه الوسائل العملية يتم نقل الفكرة بالقدوة والمثال. ويحتاج هذا النوع من الوسائل إلى المعاشرة الطويلة للمدعوين مع القدوة الطيبة من الداعي، وأثر ذلك كبير وواسع، فقد انتشر الإسلام في مواطن عديدة من الأرض بواسطة التجار والعمَّال المسلمين؛ لأنهم عاشوا الإسلام عمليًّا، وكانوا قدوة لمن تعاملوا

(1) مراكز مصادر التعلم والتكنولوجيا المساعدة للأطفال ذوي الإعاقة السمعية. فايزة فايز عبد الله الفايز (ط:1، دار الفكر العربي- القاهرة، 1431هـ- 2010م) ص 126 بتصرف.

معهم والْتَقَوْا بهم. وبذلك تعمل القدوة في الناس بلا حديث أو مقال.

ويرى البعض أن القدوة أسلوب للتربية والدعوة وليست وسيلة... وهذا صحيح.

فإن قيل: كيف يكون العمل وسيلة وأسلوبًا في آنٍ واحدٍ؟

والجواب: أنَّ العمل والهيئة في صورته الحركية وسيلة؛ لأنه أمر مادِّيٌّ وظاهرٌ للعَيان. أمَّا الدلالة المعنوية من العمل فهي الأسلوب الذي ينقل المعنى للمدعوين.[1]

هذا، والوسيلة ليس لها تأثير في الغاية غالبًا، لا في المضمون الدعوي المُقدَّم، ولا في طريقة التَّعَبُّد، ولا في فحوى الدعوة. وإنما أثرها في الأداء، لزيادة التوضيح، وحفظ المعلومة، وتوسيع رقعة الدعوة، وتسهيل القيام بها، وما شابه ذلك.

ثانيًا: مفهوم الأساليب

الأسلوب الدعوي: هو مجموع الصِّيَغِ والتعبيرات التي يتم عن طريقها عرض قضايا الدين والدعوة إليه[2].

وهو طريقة الخطاب، وأسلوب الحوار، ونهج التعبير. مما يتضمن من اختيار الألفاظ، وتركيب العبارات، ونوع الكلمات، من لِينٍ وقسوة، ورفعِ الصوت وخفضه، وما شابه ذلك. وكل ذلك يدخل في إطار الأسلوب. وبهذا يتبين المقصود من الأسلوب.

ثالثًا: الفرق بين الوسيلة والأسلوب

تعددت الآراء حول الفرق بين الوسيلة والأسلوب ويمكن تلخيصها في رأيين مشهورين:

الرأي الأول: يرى أن الأساليب والوسائل الدعوية، أسماء لمسمىً واحدٍ.

---

(1) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، ص:41 بتصرف. مرجع سابق.

(2) الوسائل الدعوية بين التوقيف والاجتهاد، لأبي يزيد سليم بن صفية المدني الجزائري، منتديات تَبِسَّة الإسلامية، وهي ملتقى لطلبة العلم بالجزائر. انظر الرابط التالي:

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=213080

وبناءً على ذلك فهي: مجموع الطرق المؤدية إلى تبليغ الدعوة الإسلامية، وإيصالها إلى عموم المدعوين. ويُبَرِرُ هؤلاء رأيَهُم هذا بأمور منها:

1. أن الوسائل والأساليب مشتركة في المدلول اللُّغَوِي، راجعة إلى معنى واحد وهو: (الطريق)، ولهذا أتت التعريفات الاصطلاحية للوسائل الدعوية والأساليب في مُجملها متقاربة، أو متفقة ومجتمعة في معنى واحد، وهي أن الوسيلة والأسلوب هما: الطريق الأمثل الذي يُمَكِّنُ الداعية من إيصال مضمون الدعوة بطرقٍ شَتَّى.

2. أن كل ما أوصل إلى تبليغ الدعوة فهو وسيلة دعوية، سواء سُمِّيَتْ منهجًا، أو طريقة، أو أسلوبًا، أو غير ذلك من المسميات.

3. أن الناظر في كتب الدعوة التي عُنْوِنَ لها بطرق الدعوة، أو مناهج الدعوة، أو أساليبها، أو وسائلها، يجد أن معظمها يتحدث عن معنى واحد، وهو طرق إيصال الدعوة.

الرأي الثاني: يرى أن بين الوسائل والأساليب الدعوية عموم وخصوص.

حيث يرى أصحاب هذا الرأي أنَّ الوسائل الدعوية في حقيقتها، ما هي إلا أوعية للأساليب الدعوية، فهناك ترابط كبير بين الوسيلة والأسلوب. ومثال ذلك: الخُطبة، فقد يُنظَرُ إليها من ناحية هيكلها العام، وصورتها الفنية، وأقسامها العلمية، وحينئذٍ تكون وسيلة للدعوة. وعند النظر إلى كلمات الخُطبة وأسلوبها المعبِّر عن المعنى المراد منها من حيث ملائمة اللفظ، ووضوح الدلالة، وحُسْنِ الخطاب، فهي الأسلوب حينئذٍ؛ ذلك لأن الأسلوب تحمله الوسيلة.

أما الأساليب فهي تأخذ شكل الصِّيَغِ والتعبيرات؛ ولذا يعبر عنها بأنها: فَنُّ القَوْل.

ويمكن أن يقال: إن الوسيلة تحتوي الأسلوب بداخلها. أو بعبارة أخرى: فإن الأسلوب هو طريقة عرض الموضوع الدعوي الذي يلقى بواسطة وسيلة معينة.

والراجح: أن للوسائل والأساليب قدرًا مشتركًا من المعنى اللُّغوي والاصطلاحي؛ فهما يُعَبِّرَانِ عن طريقة الدعوة وسبل إيصالها للمدعوين. ومن جهة أخرى: يمكن أن يُجعل الأمر الواحد وسيلةً دعويةً أو أسلوبًا دعويًّا في الوقت نفسه. فالداعية مثلًا، عندما يجعل من أخلاقه وصفاته وأعماله الخيِّرَة أسلوبًا من أساليب دعوته، وجذب المدعوين إلى الاقتداء به؛ فإن القدوة الحسنة تكون في نفس الوقت وسيلة من وسائل دعوته، يتوصل بها إلى جذب المدعو إلى الاقتداء به، ومعرفة الإسلام عن طريق هذا العمل، فأصبحت القدوة في هذا الموضوع أسلوبًا ووسيلةً في الوقت ذاته.

ويتضح مما سبق: أن بين الوسائل والأساليب الدعوية، عمومًا وخصوصًا، وأنَّ أحدهما لو أُفْرِدَ دخل في مسمى الآخر، وإذا اجتمعا، كانت الوسيلة هي: مجموع الأدوات والآلات والأوعية الحسية والمعنوية لنقل مضمون الدعوة إلى المدعوين، ولكونها تشتمل على الأدوات المادية فهي خاضعة للتطوير حسب التطور العلمي للبشرية، فكل يوم يظهر من أدوات التواصل الجديد الذي ينبغي على الدعاة إتقانه واستخدامه في الدعوة إلى الله تعالى. وأما الأسلوب فهو متنوع حسب الحاجة والموقف ولا بد له من وسيلة تحمله ويظهر من خلالها.

رابعًا: أهمية الوسائل والأساليب في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى

تعني عملية الدعوة: نقل الفكرة من موطنها إلى طرف آخر ليؤمن بها، ويطبقها. فالفكرة لا تتحرك وحدها وإنما تحتاج إلى طاقة عملية تحملها في صورة ما إلى الطرف الآخر المراد إقناعه بها.

والفكرة أثناء التحرُّك بها تحتاج إلى أُطُرٍ ماديَّة تحملها وتنقلها للغير، وهذا الحامل هو الوسيلة. وغالبًا ما تكون الوسيلة ماديةً ظاهرة يحركها صاحب الفكرة إلى الطرف الآخر.

ولا يمكن تبليغ الإسلام بتعاليمه السمحة للناس، وتعليمه إياهم، والعمل على تطبيقه فيما بينهم إلا من خلال الوسائل والأساليب التي يستخدمها الداعية لذلك الغرض النبيل.

ووسائل الدعوة من المتغيرات الشرعية، فهي قابلة للتجديد والتطوُّر، والعمل على استفادتها من مستجدات العصر الذي نعيش فيه ضرورة دينية يقتضيها واقع الدعوة اليوم، وليس للإسلام تقييد على الوسيلة والأسلوب المستخدم في الدعوة إليه إلا بما يجعلهما في إطار المشروعية الدينية لتحقيق الخير والصلاح.[1]

ومن المعلوم –لدى الدعاة–أنَّ الدعوة الإسلامية لا تقرُّ بأن الغاية تبرر الوسيلة، بل إن للوسائل حكم الغايات في الإسلام، فأي وسيلة نص الشارع على مشروعيتها بأن أمر بها وباستخدامها على سبيل الوجوب أو الندب، أو صرح بإباحتها وجواز استخدامها، فهي وسيلة مشروعة بحسب نوع مشروعيتها، يلتزم الداعية باستخدامها أو يسعه التوصل بها إلى دعوته.

المطلب الثاني: حكم الوسائل وضوابطها

الأصل في الوسائل بنوعيها، المادية والعملية، الإباحة، إلا ما ورد الدليل بمنعه، وهي اجتهادية، يخضع استعمالها لقواعد المصالح والمفاسد. ومثال ذلك في الواقع: أنَّ المساجد تُبنى من طين، ومن حجر، ومن حديد، وإسمنت، بما يتناسب وأحوال الزمان والمكان والناس.

وأما الزخرفة –على سبيل المثال–فهي، لا شك، وسيلة، ولكنها لا تجوز؛ لورود النهي عن ذلك، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى». والتشييد هاهنا بمعنى

(1) الدعوة الإسلامية أصولها–وسائلها–أساليبها في القرآن الكريم. مرجع سابق. ص 42 بتصرف.

الزخرفة كما ذكر ابن عباس موضحًا معناها.[1] والأدلة على ذلك صريحة في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

الأول: قوله تعالى في باب وسائل الجهاد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠. فَعُدَّةُ الحرب المتنوعة تُعَدُّ من الوسائل. وإطلاق الأمر وعدم تقييده بوصف يدل على الإباحة المطلقة ما لم يَرِدْ دليلٌ يستثني أو يُحَرِّم، ولو لم تكن الوسائل اجتهادية، لما جاز صنع سلاح إلا بدليل شرعي خاص به، وكفى بهذا دليلًا على ذلك.

الثاني: قوله ﷺ: «الخيل لثلاثة؛ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، ولِرَجُلٍ وِزْرٌ.»[2]

ولا شك؛ أن الخيل ليست طريقة، حسب التعريف السابق، ولا غاية، بل هي وسيلة من الوسائل، وقد علَّق الحديث حكمها بِنِيَّةِ صاحبها وغايته، مما يدل على أن الأصل فيها الإباحة، وأن حكم الوسائل حكم غاياتها، كما قَعَّدَهُ الفقهاء.

ضوابط استخدام الوسيلة الشرعية

لكي تبقى الوسيلة مباحةً على الأصل، لابد من ذكر ضوابط لها، حتى لا يُتجاوز في استعمالها، فتصبح محرمة.

الأول: الأصل جواز استعمال الوسائل وعدم منعها، إلا إذا ورد نهي عنها، أو ترتب على استعمالها مفسدة، وقد سبق الاستدلال على ذلك.

الثاني: يتأكد استعمال الوسيلة عند ورود نص بالحث عليها، أو عندما يفوت بتركها مصلحة، أو يجلب مفسدة، فحينئذ لا ينبغي التخلف عنها؛ كإعداد القوة للقتال، ووجود الكهرباء في المسجد.

---

(1) سنن أبي داود. كتاب: الصلاة. باب: في بناء المساجد. حديث رقم: 448. صححه الألباني.

(2) صحيح البخاري. كتاب: الجهاد والسير. بَاب: الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ". حديث رقم: 2705.

فأما الأول: فقد ورد فيه النص، وأما الثاني: فتتحقق باستعمالها مصالح، ولا يترتب على ذلك أدنى مفسدة.

الثالث: ألا يُتجاوز في الوسيلة مهمتها؛ حتى لا تصبح الوسيلة غاية في ذاتها، إذ غايتها إعانة الناس. فالمنارة، مثلًا، وسيلة، مهمتها توسيع رقعة الأذان، ويمكن أن تكون وسيلة للدلالة على المسجد، فلا يجوز بناؤها بحجم كبير، وزخرفتها زخرفة بالغة، تخرج بذلك عن كونها وسيلة لرفع الأذان، أو للدلالة على المسجد، فتصبح غاية في نفسها، يتباهى بها أصحابها، حتى وجد من ينكر وجود مسجد بلا منارة كبيرة، أو منبر غير مرتفع، أو غير مزخرف. ودليل ذلك: أنه يخشى من تجاوز الحَّد في الوسيلة مع الزمن، وأن تصبح طريقة تعبدية فتكون بدعة، وتحريم البدع معلوم من الدين بالضرورة، أو لِمَا يكون فيها من الإسراف، وضياع الجهد والمال فيما لا طائل وراءه.

الرابع: ألا يكون لها أثر في المادة الدعوية، أو الأمر الديني نفسه. فمثلاً: لا يكون طول المنبر وعظمة حجمه سبيلاً لقطع الصفوف.. أو يتم تغيير بعض العبارات الدالة على الأحكام الشرعية من أجل مشهد تمثيلي ليحقق التفاعل بين الممثل والمشاهد.

الخامس: جواز استعمال الوسيلة التي حُرِّمَتْ سَدًّا للذريعة، عند تحقُّق المصلحة، وعلى قدْر الحاجة، وألا يترتب عليها المفسدة التي حُرِّمَتْ لأجلها.

ثمة وسائل جاء النص من الكتاب والسنة بتحريمها، كاستعمال الناقوس، والتصوير، والمعازف، والنظر إلى النساء. غير أن التحريم، كما هو معلوم، إما أن يكون لذات الشيء كالزنى، والخمر. وإما أن يكون سدًا للذريعة؛ كالتصوير سدًّا لذريعة الشرك، والمضاهاة. وكالنظر إلى النساء سدًّا لذريعة الفاحشة. فما كان سدًّا لباب ذريعة، أبيح عند تحقُّق المصلحة الراجحة، بشرط ألا يترتب على العمل به تلك المفسدة التي حُرم لأجلها.

السادس: ألا يكون أصل الوسيلة شعارًا للكافرين؛ مثل: استعمال الناقوس أو

البوق للتنبيه على بدء أمر شرعي؛ كالأذان، أو الصلاة. ودليل ذلك قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بقوم فهو منهم».[1] وقوله ﷺ: «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»[2].

والخلاصة: أنَّ الوسيلة في باب الدعوة تباح بشرطين وهما:

1- أن تكون مباحة في أصلها (حيث لم يرد نص بتحريمها). وفي غايتها.

2- يحرم استعمال الوسيلة إذا كانت محرمة، أو كانت غايتها محرمة، حتى ولو كانت هي مباحة.

المطلب الثالث: الداعية والوسائل وتطورها

ثمة أمور فنية لاستخدام الوسائل، تزيد من فاعليتها، وتوسع من أثرها، وتُذهب سلبياتها. ومن ثم ينبغي للداعية أن يراعي عند استعمالها ما يلي:

أولًا: عدم التقصير في استخدام الوسائل المتاحة والمتنوعة والنافعة؛ طاعة لربه ولرسوله ـ ﷺ ـ وخدمة لدينه، ونشرًا لدعوته.

ثانيًا: أن تكون الوسيلة مناسبة لزمانه ومكانه وللمدعوين، فلا يستخدم وسيلة فوق مداركهم ولا دونها، ولا مالا يناسب بيئتهم.

ثالثًا: أن تكون يسيرة واقعية غير متكلَّف فيها ومن واقع البيئة، وإلا انقلبت إلى غاية، فقد استعمل رسول الله ﷺ الرمل والحصى، والخشب، وكل هذه وسائل من بيئته لم يتكلَّف في صنعها، ولم يقصِّر في استخدامها.

رابعًا: مواكبة تطور الوسائل. فمن حكمة الداعية وفطنته أن يواكب تطور

---

(1) سنن أبي داود، باب: في لبس الشهرة، 4/ 44، رقم: (4031)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (1269)

(2) المعجم الكبير، الطبراني. 11/ 153 برقم:(11335)، والديلمي في مسنده برقم:(5309)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (5439).

الوسائل، وبخاصة في هذا العصر، وألَّا يتخلف عن ركبها واستعمالها، لما لها من أثر كبير في توسيع إطار الدعوة وتوضيحها، بل عليه أن يبتدع فيها، وأن يُبدع في استخدامها ما استطاع، فإن عجلة القطار إذا سارت لا ترحم مَنْ صادمها، ولا تنتظر مَنْ تأخَّر عنها. وقد تراجع كثير من الذين كانوا يستنكفون عن استخدام بعض الوسائل؛ كالإذاعة، والفضائيات، حينما شعروا بخطورة هذا التخلُّف عن هذه الوسائل، وسارع كثير منهم إلى استعمالها، بعد ما كانوا ينتقدون مَنْ يستعملها.

خامسًا: الموازنة بين الأثر والبذل. فَمِنْ بصيرة الداعية، قبل أن يُقبل على استخدام وسيلة ما، أن يَفْطِنَ لأثرها، وكلفتها المادية والوقتية، وأن يوازن بين الأمرين، بين بذل الوقت والمال والجهد.[1] فإن كان الأثر يكافئ البذل فالعمل هنا محمود مرغوب. وإن كان غير ذلك فيجب إعادة النظر في هذا العمل حتى لا يكون فيه هَدْرٌ للمال فيما لا ينفع، أو فيما يقل نفعه ويمكن الاستغناء عنه.

المطلب الرابع: مظاهر الخلل في باب الوسائل

بداية نقول: إن الخلل في الحياة، والفساد في المجتمع، ينشأ من جهتين؛ إما من جهة مقاصد الناس وغاياتهم، مثل: اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ المؤمنون: ٧١. وإما من جهة أعمالهم الفاسدة التي يتوسلون بها إلى تحقيق المآرب. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: ٤١

وابن القيم رحمه الله يعطينا صورة جزئية يتضح بها هذا المعنى المذكور، فيقول: «مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد...» ثم يقول:

(1) انظر: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص385، 397. مرجع سابق.

«والتحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥. علمًا ومعرفةً وعملًا وحالًا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد، فإن فساد القصد يتعلق بالغايات والوسائل، فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية، وتوسل إليها بأنواع الوسائل الموصلة إليها كان كِلاَ نَوْعَيْ قَصْدِهِ فاسدًا». ثم يقول: «وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأسمى، ولكن لم يتوسل إليه بالوسيلة الموصلة له وإليه، بل توسل إليه بوسيلة ظنها موصلة إليه وهي من أعظم القواطع عنه، فحاله أيضًا كحال هذا، وكلاهما فاسد القصد، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»[1].

• والواقع أن ضعف الإدراك لقواعد الوسائل وأحكامها، لدى بعض القائمين على أمر الدعوة الإسلامية ـ أفرادًا ومؤسسات ـ أدى إلى خلل كبير، وخلَّف آثارًا سيئة في حياة الأمة. فالمتأمل في أوضاع الأمة يحس بالخلل، ويدرك الاضطراب الواقع في فهم الوسائل، ومنهج التعامل معها، وذلك في مجالات متعددة.

• **ففي المجال التربوي والدعوي** نجد اهتمامًا تَوَسُّعِيًّا في الوسائل، لا ينضبط بالضوابط الشرعية أحيانًا، كما نجد اتجاهًا في المقابل يرى أن وسائل الدعوة والجهاد توقيفية؛ فلا يشرع استخدام وسيلة لم يستخدمها الرسول ﷺ والسلف الصالح!، وهذا الأخير مبني على أساس عدم التفريق بين الوسائل التي تُعَدُّ من باب العبادات، ومبناها على التوقيف، وبين الوسائل التي هي من باب العادات ومبناها على المصالح. كما نجد في هذا المجال الخلط بين المقاصد والوسائل؛ فبعض الناس قد يجعل المقصد وسيلة فيتساهل فيه، وآخر يجعل الوسيلة مقصدًا فيتعصب لها، وميزان العدل والنصفة يوجب وضع الأشياء في مواضعها الصحيحة، والتمييز بين حقائق الأشياء كما هي في الواقع والأمر نفسه.

(1) مدارج السالكين، لابن القيم. 1/ 76-77. مرجع سابق.

الخلاصة: إن مظاهر الخلل متعددة، ولكن يمكن إجمالها فيما يلي:

1. ترك الأخذ بالوسائل بحجة التوكل ونحوها.
2. الأخذ بالوسائل غير المشروعة لغير ضرورة.
3. الكف عن الوسائل المشروعة التي تؤدي إلى مصالح راجحة لغير سبب شرعي.
4. استعمال الوسيلة المشروعة في غير ما وضعت له، كما في باب الحِيَلِ.
5. الأخذ بالوسائل المفضولة مع القدرة على الفاضلة لغير موجب شرعي.
6. جعل المقاصد وسائل، والعكس، وعدم التمييز بينهما[1].
7. تأخر الأمة في باب الوسائل الدنيوية؛ كوسائل الطب والاتصال والمواصلات، والاعتماد على الغرب، والأخذ عنه بلا ضوابط شرعية أحيانًا.

إنَّ المجتمع المسلم المعاصر -في الجملة-يعيش مشكلة الاقتباس عن الغرب، دون أن يكون له مقياس واضح أو مراجعة ناقدة لها. بينما نجد مجتمع الصحابة يقتبس بعض الوسائل عن الأمم الأخرى، ولكنه كان اقتباسًا مبنيًّا على منهج واضح ووعي صحيح. وإن أمتنا اليوم بحاجة ماسة، -وهي تسعى لتصنع حاضرًا زاهرًا ومستقبلًا مشرقًا-أن تُعِيدَ ترتيب الأوراق، وأن تُفَقِّهَ أبناءها في المقاصد والوسائل، ثم تربط الفكر بالعمل، والنظرية بالتطبيق، فتباشر الوسائل التي تساعدها على الإبداع في مجال الحياة الدنيا، والنهوض من كبوتها، مع الفقه المعتدل، والموازنة الصحيحة، والله أعلم[2].

---

(1) لهذا أنكر ابن خلدون توسيع النظر وتفريع المسائل في علوم الوسائل؛ لأن ذلك يجعلها كالمقصود لذاتها، ويعيق عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات، فإذا قطع العمر في تحصيل الوسائل فمتى تطلب المقاصد. انظر: تاريخ ابن خلدون. تحقيق: خليل شحادة (دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ-2001م) 1/ 739.

(2) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية. مصطفى بن كرامة الله مخدوم (ط:1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع- السعودية، 1420هـ/ 1999م) ص107-112، بتصرف. وانظر موقع: http://www.forislah.com/

وسائل الدعوة يصعب حصرها

وسائل الدعوة – بالمفهوم السابق – يصعب حصرها، حيث إن الأسباب والطرق التي يتوصل بها إلى إقامة المعروف في الحياة، وزوال المنكر –بقدر الاستطاعة– كثيرة جدًّا ومتغيرة، فقد أجرى الله تعالى سننه الكونية على تَغَيُّرِ كثيرٍ من الأسبابِ بِتَغَيُّرِ الزمان والمكان، فقد يكون من الأسباب ما يقتضي حصول مسببات لم يكن لها وجود في أزمنة مضت، مثل: ما يستعمل الآن من السلاح في الحروب فإنه يحصل به من تحقيق أهداف الحرب ما لم يكن ممكنًا في الماضي، فمنه ما يقضي على الأمة العظيمة من الجند في لحظة واحدة. ومعلوم أن هذا لم يكن ـ.قط ـ ليتحقق في الأسباب العادية الطبيعية في جميع العصور السابقة منذ بدأت الحروب بين البشر.

وكذلك كل ما يحتاج إليه المسلمون من الأسباب والطرق التي تقتضيها ظروف العصر لتحصيل العلوم الشرعية وتمكين حملتها من ممارسة دورهم في المجتمعات، وإدخالهم في مؤسسات الدولة ليتمكنوا من خلالها من إيصال الدعوة الإسلامية، مثل: إنشاء الكليات الجامعية، وإدارتها بأساليب الإدارة الحديثة التي يكون غالبها مما أحدثه غير المسلمين، ومنحهم الشهادات على النظام التي تعترف به الدولة وقد يكون من الأنظمة المستوردة من غير بلاد المسلمين.

هل يجوز استعمال الوسائلِ المُحَرَّمَةِ في بعض الأحْيَانِ؟

الواقع المعاصر للدعوة يُجِيزُ ـ على الصحيح ـ استعمال وسائل تقترن بِمُحَرَّمٍ في الأصل إذا دخل ذلك في قاعدة (ارتكابُ أخفِّ الضَّرَرَيْنِ) وقد جاء في الشريعة الإسلامية ما هو أصل لذلك، وهو إباحة الكذب في الإصلاح بين الناس؛ لأن مفسدةَ فسادِ ذات البَيْنِ أعظمُ من مَفْسَدَةِ الكذب. ولا يعني هذا استعمال الكذب في مصلحة الدعوة، فإنه ليس من مصلحة الدعوة في شيء، بل أعظم مصلحة للدعوة أن تكون في الصدق، والصدق يجب أن يكون شعارها، والدعاة أوْلى الناسِ بأن

يكونوا أصدق الناس فإن الكذب من شُعب النفاق. وإنما المقصود إعمال هذه القاعدة الشرعية في مواضعها إذا تحققت شروطها، وأن هذا يجوز في وسائل الدعوة بحسب الضوابط الشرعية تحته كوسيلة لتحقيق هدف التعليم الشرعي في الأمة، بما يناسب العصر.

المطلب الخامس: أنواع وسائل الدعوة في العصر الحاضر

تتعدد وسائل الدعوة إلى مادية ومعنوية، والوسائل المادية ما لها أثر ملموسٌ ومحسوسٌ بحواس الإدراك المعروفة، وأما المعنوية فهي التي لا تُمس ولكنها تحس كالأمور القلبية والفكرية.

والحقيقة أنه يوجد ارتباط وثيق بين هذين النوعين، فما يكون منها ماديًّا لا بد وأن تلازمها وسائل معنوية تستند إليها وربما تنطلق منها، كما أن الدعوة التي تُبنى على وسائل معنوية غالبًا ما تظهر آثارها ويتم التعبير عنها من خلال وسائل أخرى مادية، وأن اقتصارها على صفتها المعنوية يُضعف من آثارها وقيمتها، فالتفكير في مستقبل الدعوة والتخطيط لها مثلاً يُعد وسيلة معنوية بلا شك، لكنها تكون عديمة التأثير ما لم يتم التعبير عنها من خلال وسائل أخرى عملية مادية تطبيقية، تجسدها على أرض الواقع واقعًا حيًّا ملموسًا. كتأليفٍ لكتابٍ دعويٍّ أو عقد دورات تثقيفية دينية.

كما أن العمل الدعوي الواحد قد يحتوي على أكثر من وسيلة دعوية، فالرحلة مثلاً كوسيلة دعوية ناجحة -بما لها من تلبية للرغبة في الترويح عن النفس، وكسر حاجز المَلَلِ المكاني بالرغبة في رؤية أماكن جديدة-تحتاج للتخطيط لها والتفكير فيها قبل تنفيذها، وهذه وسائل معنوية، ثم ما يتم تطبيقه من فقرات وأعمال دعوية أثناء الرحلة كسماع أناشيد أو عمل مسرحيات... فهي وسائل دعوية مادية.

أولا: الوسائل المادية

إذا كانت الوسائل المادية تعنى كل ما هو ملموس ومحسوس فمن الممكن وضع تقسيمات لها حسب ما يلي:

1- وسائل سمعية فقط

وهي: كل ما يعتمد على السماع والمشافهة بين الداعي والمدعو، ويشمل فنون القول المختلفة مثل الِعَظة المباشرة، الخطبة، الندوة، المحاضرة، الجدل، المناظرة، المحاورة، الإذاعة.

2- وسائل بصرية فقط

وهي: كل ما يعتمد على حاسة البصر فقط لإيصال الرسالة الدعوية بين الداعي والمدعو، وتتسم بأنها تطبيقية ويشمل ذلك، كافة الوسائل الدعوية المكتوبة والمجسمة مثل: الكتب والصحف والمجلات والدوريات والمطويات والملصقات اللوحات المعَبِّرَة، والرسوم الكاريكاتورية، والشعارات الدعوية المجسمة، والصور الفوتوغرافية، ودور العبادة، ومراكز الدعوة.....

3- وسائل بصرية سمعية

وهي: التي يستخدم الداعية فيها أكثر من حاسَّة في توصيل الرسالة الدعوية، وغالبًا ما تكون حاستا السمع والبصر هما المستخدمتان في هذه الوسيلة، ويشمل ذلك كافة أدوات التكنولوجيا الحديثة التي تعتمد على السمع والبصر مثل: التلفاز وما يقدمه من مسلسلات وأفلام ومسرحيات، والإنترنت وما يحتوي عليه من فيديوهات يوتيوب، وغرف دردشة، وكذلك الهواتف الذكية وما تقدمه من وسائل التواصل الاجتماعي، وكافة الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تحتوي بداخلها على مادة مسموعة ومرئية في آنٍ واحد مثل (الأقراص المدمجة) والفلاش موري (USP). وكل أدوات التسجيل.

وكل وسيلة من الوسائل السابقة الذكر تحتاج إلى تفصيل وبيان لمعرفة ما تمتاز به من

إيجابيات وما قد يتخللها من سلبيات يجعل استخدامها في ميدان الدعوة محظورًا شرعًا، وهذا يحتاج لبسط وتطويل لا يتحمله هذا المؤلف الدراسي، ولذلك سيتم الإشارة إلى بعضا فقط، وهي كالتالي:

أولًا: الوسائل السمعية

وهي: كل ما يعتمد على السماع والمشافهة ومن صورها:

العظة المباشرة بالقول

تُعد الكلمة الوسيلة الأولى والأساس في مجال الدعوة إلى الله تعالى لمختلف الأجناس، ولكافة طبقات الناس. وهي أبسط الوسائل استعمالاً، وأسهلها تناولاً، وأقلها كلفة، وأسرعها استجابة، وأكثرها انتشاراً، وأعظمها نفعاً. يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦

وهي الأداة الأولى للتعبير عن الدعوة لدى كل رسل الله تعالى، يأمر الله تعالى بها نبيه محمدًا ﷺ فيقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨

وهي وسيلة موسى عليه السلام ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٤

والقول -لأنه أول الوسائل وأهمها -يحتاج لآداب وضوابط حتى يؤتي ثمرته المرجوة مثل: التلطّف والوضوح والتمهّل والحثّ على الخير والبعد عن الفحْش والتقعّر، واغتنام الفرص لاستثماره في صالح الدعوة. واستخدامه مع كل أصناف المدعوين وفي كل مكان يكون متهيئا لإلقائه.

ومن صور العظة المباشرة

أ- الخطبة

وهي: مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.[1] والخطابة لمنزلتها في الدعوة صارت من العبادات التي يخضع لها المسلم كل أسبوع مَرَّةً على الأقل ليتلقى من خلالها العلم النافع والنصح الجميل.

ورغم تعدد فنون القول إلا أن الخطابة لا زالت من أهم وسائل التواصل والإقناع بين الناس في كافة المجالات، يستخدمها السياسي والإعلامي والواعظ ورجال الأعمال في الوصول لمبتغاهم، وتعتمد الخطابة على إثارة الوجدان وإقناع العقل والقدرة على التعبير بفنون القول المختلفة، فالإنسان يسيِّره وجدانه أكثر مما يسيِّره فكره، والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية، ومواهبه الأصلية، ويندرج في وجدان الجماعة، وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الأمور التي مرجعها إلى الوجدان، كالدين، والأدب، والميل، والنفور، وهكذا إلا نادرًا، وليس هناك أجدر من الخطبة في استمالة الوجدان، وتهييج الشعور، وتحقيق الانفعال المؤدي إلى الاندفاع والعمل[2]

ب -المحادثة والمناقشة

وهذا النوع من الكلام يكون غالبًا وليد ساعته أو معدًا له من قبل، وقد يكون مع الصغير أو الكبير أو الرئيس أو المرؤوس أو القريب أو البعيد، وسواء أكان وجهًا لوجه أو عبر آلة تنقل الحديث المباشر بين الناس في الحياة العادية، والعناية به أمر مهم. وينبغي الاستفادة منه في بثِّ تعاليم الإسلام وأخلاقياته وآدابه وهو ما يعرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) الخطابة وإعداد الخطيب. عبد الجليل شلبي (دار الشروق – القاهرة، 1402هـ – 1981م) ص:13.

(2) روح الاجتماع. غوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول (مكتبة الشعب – القاهرة، 1909). ص: 30

جـ-الدروس والمحاضرات والندوات

معظم هذه الوسائل ليست جديدة في المجال الدعوي، وإنما الجديد فيها الترتيب والتخطيط، والقدرة على التبليغ. فعلى سبيل المثال: الدروس، لها طابع معروف، وهي: مادة علمية مخصوصة، يلقيها شيخ مُعَيَّنٌ بالتتابع، في وقتٍ ومكانٍ مُحَدَّدَيْنِ.

وأما المحاضرة: فهي وسيلة من الوسائل الدعوية، ذات طابع خاص. وهي: إلقاء موضوع مُعَيَّنٍ، لداعية مُعَيَّنٍ، مرة واحدة، في وقت ومكان محددين، ويتم ذلك بالتعاون بين المحاضر-أو المحاضرين في حال الندوة -من جهة، وبين المسئولين الذين رغبوا بالمحاضرة أو الندوة من جهة أخرى.

وتكمن أهمية هذه الوسيلة في اهتمامها بالتعليم، بل لعلها الوسيلة الأساس في تدارس العلم وتناقله. كما تكمن أهمية المحاضرة في التركيز على جانب علمي، أو دعوي مُعَيَّنٍ، مما يكون له أثر علمي ودعوي عظيم.

ومن مميزات المحاضرة: عرض موضوع واحد، وبأسلوب علمي مقنع، يتدرج فيها المحاضر، فيلقي فيها أفكاره ويؤيدها، ويتعرض للأفكار المخالفة ويفندها، وغالباً ما تكون موجهة لمستوى معلوم من الناس، ويعقبها أسئلة ومناقشة كل ذلك يدفع المستمع (المدعو) إلى استجماع أفكاره، وخروجه بنتيجة مثمرة.

وأما الندوة: فهي كالمحاضرة؛ إنما تزيد الندوة عن المحاضرة ميزة مشاركة أكثر من محاضر في وقت واحد، في الموضوع نفسه، مما يثري المدعوين كثافة في المعلومات، وذلك لتنوع الأفكار، وتفاوت الطرح من المشاركين.

وقد شارك الدعاة في هذه الوسيلة في مضمار الدعوة مشاركة فعالة، واستطاعوا أن يغطوا معظم القضايا الدعوية.

د -الإذاعات

تعتبر الإذاعة من أهم وسائل المحادثة في هذا العصر، وإن كان لها أصل عند الأمم من قبل، فقد كانوا يرسلون من ينادي في المدن والقرى والأسواق، بما يأمر به السلطان، أو بما تريده القبيلة. غير أن وجودها بهذا الشكل المتطور، وبهذا الانتشار الواسع، مما لم يُسبَق إليه.

والإذاعة لغة: من أذاع الخبر، أي: نشره وأفشاه.

فالإذاعة بالمعنى اللغوي الإشاعة، وهي بمعنى النشر العام وذيوع ما يقال، حتى إن العرب يصفون الرجل الذي لا يكتم السر بأنه رجل مذياع.

ويمكن تعريف الإذاعة بأنها «الانتشار المنظم والمقصود بواسطة الراديو لمواد إخبارية وثقافية وتعليمة وتجارية وغيرها من البرامج، ليلتقطها في وقت واحد المستمعون المنتشرون في شتى أنحاء العالم- فرادى وجماعات- باستخدام أجهزة الاستقبال المناسبة». [1]

ورغم ما أُحدث من وسائل إعلامية أكثر جاذبية، وأوسع انتشارًا، كادت تطغى عليها؛ كالفضائيات والشبكة، إلا أنه لم يزل للإذاعة أثر فاعل، وما زال لها مستمعون، كراكبي المواصلات، والعمال في مصانعهم، والبائعين في متاجرهم، والنساء في بيوتهن. فهؤلاء وأمثالهم-في الغالب-لا يستطيعون أثناء أداء مهامهم استعمال وسيلة دعوية أخرى. كالكتب أو الفضائيات وغيرها، ولكن يمكنهم – بكل سهولة – السماع إلى الإذاعة.

وأما المشاركة للدعاة في الإذاعات الرسمية والسياسية، فترجع إلى المصالح والمفاسد، فإن كان في هذه المشاركة مفاسد، من مداهنة، أو تغرير بالمستمعين، فلا يشاركون فيها، فإنَّ دفْعَ المفاسد، مُقَدَّمٌ على جلب المصالح. وإن كانت في المشاركة مصالح، ولا يوجد مفاسد، أو كانت المفاسد قليلة لا تذكر أمام المصالح، فلا بأس بالمشاركة فيها.

---

(1) الإعلام الإذاعي والتلفزيوني. إبراهيم إمام (دار الفكر العربي، ط2، 1985م)، ص256.

☜ ميزات الموضوعات الناجحة

من الحكمة بمكان أن يتسم الطرح عبر وسائل الإعلام العامة كالإذاعات والفضائيات، والصحف، بما يلي:

أولاً: أن تطرح الموضوعات العامة، التي تخص الأمة، وتشغل بالها، وتعالج الأدواء التي تعاني منها، من جهل وضعف في الإيمان.

ثانيًا: تُجنب الموضوعات الفرعية، والتي هي من شأن الخاصة، كدقائق العقيدة، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، وبعض علوم الآلة، أو التي تفرق الأمة بغير حق، أو تحدث الفتن العلمية، أو الواقعية. وأما ما يطرح عبر بعض الإذاعات من موضوعات العقيدة الفرعية والمعقدة لدى العامة، مثل بحث هل (الاسم هو المسمى)، وخلاف العلماء في (تفاوت المعرفة)، وما شابه ذلك، مما لا يفهمه عموم الناس، ولا يهمهم ذلك، ولا يلزمهم، فليس مناسبًا من حيث الأولويات.

ثالثاً: على الداعية أن يراعي ما مَرَّ سابقًا، في باب حسن الأسلوب من بساطة الطرح، وسهولة التعبير، ولو أدى ذلك إلى التكلم بلغة الناس العامية (الدارجة) عند الحاجة، وأن يبتعد عن الأسلوب (الأرسطي) الفلسفي، والإلقائي الرتيب المُمِل، فإن ذلك لا ينفع المستمعين. فإن من المستمعين المرأةَ والرجلَ، والصغيرَ والكبيرَ، والعامِّيَّ والمثقفَ، والحَضَرِيَّ والبدويَّ. وألَّا يغفل عن ضرب الأمثلة المبيِّنَةِ، والقصص المعبِّرَةِ، وما شابه ذلك مما ذكر في باب الأسلوب الحسن.

هـ-المؤتمرات

المؤتمرات هي: مجموعة محاضرات مكثفة، ذات موضوع مترابط، تلقى في وقت محدد، لا يتجاوز في الغالب أياماً معدودة، وفيها يتبادل المحاضرون وجهات النظر حول الموضوع المطروح. وقد كثرت هذه الوسيلة الدعوية في الآونة الأخيرة، وعليها إقبال كبير من الشباب والمثقفين.

وقد كان لكثير من هذه المؤتمرات أثر دعوي واجتماعي بين المسلمين، وبخاصة تلك التي تُعقد في ديار الغرب.

الإيجابيات:

الأولى: تبادل وجهات النظر، والتعاون الفكري بين المسلمين بعامة، وبين المحاضرين بخاصة.

الثانية: أثر هذه المحاضرات دعويًّا وعلميًّا على المدعوين، وغيرهم فيما بعد.

الثالثة: الأثر الروحاني والاجتماعي الذي يعيشه المسلمون الحاضرون أثناء المؤتمر، وبعده.

الرابعة: التعارف بين المسلمين في أفكارهم، وأشخاصهم.

الخامسة: الظهور بمظهر القوة للإسلام والمسلمين.. ففي هذه المؤتمرات يستشعر المسلمون وغيرهم، بقوة الإسلام، وبخاصة العلمية منها، وبإقبال الناس عليه، في الوقت الذي يُدبر الناس عن أديانهم.

السادسة: الخروج بحلولٍ لكثيرٍ من قضايا الإسلام العالقة، أو التفكير في حلها.

السابعة: إنقاذ كثير من المسلمين دينيًّا واجتماعيًّا، مما حل بهم من الضياع والفساد، وبخاصة في ديار الغرب.

و-الدورات العلمية

الدورات العلمية هي: مجموعة دروس متنوعة مكثفة، تعقد في وقت محدود، قد يطول أو يقصر، حسب الخطة الموضوعة لذلك. ويخرج المدعو (الطالب) منها بحصيلة علمية جيدة. وقد بدأت هذه الوسيلة الدعوية تتنامى في الأيام الأخيرة، وتثمر ثمرات طيبة، وعليها إقبال كبير، وتظهر أهميتها في إيجابياتها.

ز-المجادلة والمحاورة والمناظرة

لما كان من المعلوم بالضرورة: أن دين الإسلام لا يقوم بالإكراه، ولا ينتشر بالعنف. قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦. وإنما يُدعى إليه عن طريق البيان، وإقامة الحجة، ودحض الباطل. قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ الأنبياء: ١٨؛ لذلك شرع الله المجادلة بكافة أشكالها، وما يدخل في هذا الباب؛ من المناظرة والمحاورة -وما شابه ذلك-سبيلًا من أهم سُبُلِ الدعوة إليه.

فقد سبق أن الداعية يتعرض إلى أحوال دعوية متفاوتة، وأن المدعوين يتفاوتون في فهمهم وثقافتهم وطرق دعوتهم؛ لذلك كان تنوع خطاب الداعية من إلقاء إلى حوار إلى مناظرة أقوى سلاحًا له، وأنفع للمدعوين.

ذهب بعض أهل العلم واللغة إلى: أن المجادلة والمحاورة والمناظرة والمناقشة، كلها ألفاظ مترادفة، ذات معنى واحد، أو متقارب.

والمتتبع لألفاظ الجدل والمحاورة والمناظرة والمراء، وما شابهها في القرآن والسُّنة، يجد أن ثمة اشتراكًا كبيرًا بين هذه الألفاظ في معانيها، وبينهما فروق تدل على أن لكل نقطة معنى مخصوصًا، فمن ذلك:

أن الله أمر بالجدال، ولم يحدد صوره، وإنما حدد أسلوبه وهو: أن يكون بالتي هي أحسن ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ النحل: ١٢٥

وامتثالاً لهذا الأمر؛ نجد أن رسول الله والأنبياء – عليهم السلام – من قبل، ناظروا وحاوروا، وأن الله وصف ما جرى بين النبي ﷺ وخولة بنت ثعلبة – التي كانت تشتكي زوجها – بالجدال وبالحوار في وقت واحد.. ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ المجادلة: ١

وسمى الله الكفار المعاندين: بالمجادلين بالباطل، فقال: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ الكهف: ٥٦، وسمّى بعض بيان الأنبياء لأقوامهم جدالاً ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾ هود: ٣٢

وسمّى الله المجادلة مراء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرٗا﴾ الكهف: ٢٢ وحاجَّ إبراهيمُ صاحبَه، وسمّاه العلماء مناظرة.

وسمّى رسول الله المجادلة بالباطل؛ مراء. فقال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء، وإن كان مُحِقًّا»[1]. وبناء على هذا فالظاهر: من هذه الألفاظ؛ المجادلة، المحاورة، المناظرة، المراء التي ذكرت في هذه النصوص، إما أنها مترادفة مع فرق قليل في المعنى. وإما أنها -المناظرة والمحاورة والمراء -صور من صور الجدال، ويكون الجدال جامعًا لهذه الألفاظ، وهن شعب من شعبه، وهذا أشبه بالصواب. قال ابن الأثير (المجادلة: المناظرة والمخاصمة)

★★ وقد عُرّفتْ هذه الألفاظ -الجدال، المناظرة، الحوار-تعريفات فلسفية منطقية، لا داعي لذكرها؛ لأننا في مقام الدعوة، لا في مقام علم الكلام، وسيتم تبسيط هذه التعريفات، وتسهيل عباراتها، وتقريبها إلى أذهان الدعاة والمدعوين قدر المستطاع وذلك على النحو التالي:

- **الجدال** لغة: اشتداد الخصومة. ويتم بتبادل الكلام بين طرفين. وهو: مقابلة الحجة بالحجة.

واصطلاحًا: هو بيان ما عند المتكلم من الحق، وتخطئة المخالف، ورد الشبهات.

- **الحوار** لغة: المجاوبة والمجادلة.

واصطلاحاً: تبادل وجهات النظر المختلفة بين أكثر من طرف، لإحقاق قوله،

(1) سنن أبي داود. كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، حديث: (4800). وانظر: صحيح الترغيب والترهيب 3/ 6.

وتخطئة قول غيره، دون تعمد لكسر مخالفه. ففيه يلقي كل طرف ما عنده، بكلمات موجزة، أو محاضرات قصيرة، محاولًا إظهار ما عنده من الحق، وإزالة ما وقع على مذهبه من اللَّبْسِ، وبيان ما عند المخالف من الخطأ، وما في مذهبه من اللبس. وتتم في جَوٍّ يسوده الهدوء والإنصات.

وغايته: إظهار الحق، وإقناع الطرف الآخر، عن طريق التفاهم والمناصحة والبيان.

وحكمه حكم الأصل -أصل الدعوة-الوجوب على مَنْ يستطيعه، وقد ورد في القرآن الكريم صور له، من ذلك في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ...﴾ الكهف: ٣٧. إلى آخر النص.

- **المناظرة** لغة: المباراة في المَحَاجَّة.

واصطلاحًا: بيان ما عند كل طرف من الصواب أو الحق، ودحض ما عند الطرف الآخر من الخطأ والباطل، على طريقة السؤال والجواب، لأجل الإلزام، والإفحام، والإحراج. وهي: أدق صور المجادلة، وأصعبها، وتحتاج إلى فنٍّ خاص، فوق العلم والفقه؛ ولذلك لا يجوز لأي طالب علم أن يقوم بها، لأنها سلاح حاد ذو حدين.

- **المراء** لغة: هو الجدال.

واصطلاحاً: الجدال بالباطل، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ الشورى: ١٨. وأحياناً يأتي بالمعنى اللغوي.. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ الكهف: ٢٢. أي الجدال.

- **والجدال بالتي هي أحسن:** أن يكون الجدال بأسلوب حسن، وعرض مقبول دون تعرُّضٍ إلى شتم، أو استهزاء، أو تقبيح.

- **والجدال بالسوء:** أن يكون بأسلوب سيِّءٍ، وخروج عن الأدب، من مقاطعة وصراخ، وصدور ألفاظ مُشِينَةٍ، وخروج عن البحث العلمي إلى الشخصي، وما شابه.

ثانياً: الوسائل البصرية

وهي ما يعتمد فيه الداعية على حاسة البصر فقط ومن هذه الوسائل:

(أ) الكتاب

تُعد الكتابة الوسيلة الثانية بعد القول، من حيث سهولة الاستعمال، وانتشار الأثر والنفع، إلا أنها أثبت منها للمعلومات. وهي: أول وسيلة خلقها الله عز وجل، وبها كتب الله اللوح المحفوظ، وغيره -كما مر سابقاً-. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٥

ومن المطبوعات التي لها أثر في الدعوة الكتاب، فالكثير من الناس يقرؤون، ولا ينبغي أن يقال: إنهم هجروا الكتب. والدليل أنَّ الواقع يشهد بذلك، حيث المكتبات التي يكثر افتتاحها، ويتنوع المعروض فيها، فهذا دلالة على وجود قُرَّاء، ولولا أن هناك من يقرأ ما وجد الكتاب.

ويجب ألا يكون الهدف من الكتاب هو ذات التأليف أو لمجرد المزاحمة، بل يجب أن تكون الحاجة للمؤلَّف هي الداعية للتأليف والحاجة قال عنها حاجِّي خليفة... «إن التأليف على سبعة أقسام لا يؤلِّف عالم عاقل إلا فيها وهي: إما شيء لم يُسْبَق إليه فيخترعُه، أو شيء ناقصٌ يُتَمِّمُهُ، أو شيء مُغْلَقٌ يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعُه، أو شيء مختلطٌ يرتِّبُه، أو شيءٌ أخطأ فيه مُصَنِّفٌ فَيُصْلِحُهُ. وينبغي لكل مؤلِّفِ كتابٍ في فنٍّ قد سُبِقَ إليه ألا يخلوَ كتابُه من خَمْسِ فوائد وهي: استنباط شيءٍ كان مُعْضَلًا، أو جَمعهُ إن كان مُفَرَّقًا، أو شرحُهُ إن كان غامضًا، أو حسنُ نَظْمٍ وتأليفٍ، أو إسقاطُ حَشْوٍ وتطويل.»[1]

إنَّ العمل الدعوي تجارة مع الله، لكنه ليس تجارة مادية بالدينار والدرهم. فإذا رأى

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة (مكتبة المثنى- بغداد، 1941م) 1/ 35،36

الداعية أن غيره قد قام بما يرى أنه يريد القيام به فليحمد الله على أن قد قام بالمهمة عنه غيره، والمجال واسع فليبحث عن مجال آخر، بمعنى أنه ليس من أهداف الدعاة تحطيم الذوات والتقليل من الشأن، بل يشد بعضهم بعضًا، فيؤيدون، ويناصرون، ويسددون، ويقاربون، ويوجهون، وينصحون، ولا يفضحون.

(ب) الإنترنت

من الوسائل العصرية -مع كونها مسموعة إلا أن القراءة فيها أكثر من السماع-وسيلة الإنترنت. ولم يَعُدْ خافيا على أحد – وبخاصة الدعاة -ما حصل من قفزة نوعية في عالم الاتصال، وسرعة فائقة في نقل المعلومات، ثم سهولة في تناولها، حتى كادت تغطي كل بقعة، وتصل إلى معظم الأيدي، وتدخل كثيراً من البيوت، والمؤسسات، والدوائر، والمراكز التعليمية. وليس «... من الممكن تجاوز شبكة الإنترنت وتجاهلها، أو اعتبارها شيئًا شريرًا اخترعه الغرب في إفساد المسلمين وإغوائهم. لماذا؟! السبب بسيط وهو أن التجارب العملية أثبتت أن الإنترنت كائن يمكن السيطرة عليه وتطويعه حسب ما نشاء»[1].

فعلى هذا يكون العزوف عنه في هذا الوقت تضييع لأفضل الفرص في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والمشارك فيها يَجْمُلُ به أن يكون على قدرٍ من العلم الشرعيِّ، ولديه القدرة على الحوار والإقناع، ومجالاته واسعة من كتابات مطولة وحوارات جادة وأحاديث خفيفة، أو ما يسمى (بالدردشة) وما على الداعية إلا أن يستعين بالله ويساهم بهذه الوسيلة بما يحقق الاستغلال الأمثل لها والمساهمة الفاعلة بها في مجال الدعوة.

وقد حوت وسائل الاتصال هذه؛ الغث والسمين، والشر والخير. ويستطيع المرء أن يتناول منها ما شاء، ويدع ما شاء، كل ذلك عبر وسائل كثيرة، من أهمها (الشبكة العالمية)

ولهذه الوسائل أهمية كبيرة في الدعوة، والتخلي عنها يترك ثغرة في المجال الدعوي، يستغلها المفسدون، في ترويج بضاعتهم الفاسدة.

---

(1) الإنترنت في خدمة الإسلام، عبد المنعم حسن النهدي (ط:1، دار المحمدي- جدة، 2002- 1422هـ) ص 10.

والواقع يقول: إن عددًا غير قليل من الدعاة، سارعوا إلى استثمار هذه الوسيلة على نطاق واسع، وأجادوا وأفادوا، وإن تردد فريق منهم، وأحجم ورعًا، فله اجتهاده. وقد فتحت مواقع جيدة، منها: الإخباري. ومنها: العلمي. ومنها الحواري. ومنها الاجتماعي. ومنها للفتاوى، ومنها دون ذلك. وفيها الخير، وفيها الشر كأي وسيلة أخرى، يمكن استخدامها في كليهما، ولا تخلو وسيلة من مثل هذه الوسائل من إيجابيات وسلبيات.

ومن إيجابياتها: سهولة تبليغ المعلومة، وسهولة الحصول عليها. وسرعة تبليغها وتَلَقِّيهَا. وتنوع المعلومات وغزارتها، فقد حوى الكثير من الكتب الإلكترونية والموسوعات العلمية والمقالات النافعة ومحركات البحث لا يستغني عنها باحث أو داعية.. كما أنها وسيلة من وسائل الترفيه المشروعة إذا أحسنوا استخدامها. ومنها: مشاركة المسلم في مشكلات المسلمين، ووقوفه على أخبارهم. وإمكانية الاستماع للدروس والمحاضرات مباشرة، مع المشاركة فيها داخل البيوت، والمكاتب. ووصول الدعوة إلى المحرومين، حيث توجد بلاد كثيرة أهلها محرومون من الدعوة، وتلقي العلم، إما لقلة العلماء، أو لظلم من السلطان، أو لظرف آخر. وبوجود هذه الوسيلة، التي تتجاوز الحدود بلا تأشيرة، وتدخل البيوت بلا إذن، يسهل على الدعاة دعوة هؤلاء الناس، ويسهل على المدعوين التلقي. وهي مجال واسع للعلماء.

(جـ) الرسائل:

والرسائل فيما يَظهرُ تنقسم إلى قسمين:

النوع الأول: رسائل خاصة على غِرار ما تقوم به بعض المؤسسات الدعوية. وقد يقوم به بعض الأفراد بمراسلة هواة المراسلة الذين يشيرون إلى هذه الهواية ببعض الصحف والمجلات، أو الرسالة إلى صديق داعيها المحبة والإخاء.

النوع الثاني: الرسائل الخاصة في مسائل متفرقة في العقيدة، أو الفقه، أو الأخلاق والآداب أو غير ذلك، وهذا الرسائل الخاصة هي الأكثر اليوم، وهي من جانبٍ تُعَدُّ

ظاهرة صحية، ومن جانب آخر قد يكون فيها على البعض ضرر وبخاصة إذا كان القارئ أو المطلع من أهل القراءة فقد يقتصر على قراءة هذه الرسائل ويترك الأمهات والكبار من المؤلفات التي أخذت منها هذه الرسائل إما نصًّا أو مقاربة.

ومن الرسائل الطريفة الجديدة: رسائل الهاتف الجَوَّالِ إن أحسن الداعية استخدامها واستغلالها فإنَّ لها أثرًا عظيمًا.

(د) الصحف والمجلات

وهذه تنقسم إلى قسمين: صحف ومجلات متخصصة بالعلوم الشرعية وهذه قد تكون المشاركة فيها مما لا إشكال فيه، وأخرى عامة، مواضيعها متنوعة. والمشاركة فيها أمر يُستحسن ومطلوب، طالما أنه لهدف دعوي.

(هـ) الكُتيِّبات والنشرات (المطويات)

المقصود بالكتيبات، تلك الكتب الصغيرة الحجم، والنشرات المطوية، التي يمكن اصطحابها في الحضر والسفر، ومطالعتها في الليل والنهار؛ لذلك تعد هذه الوسيلة وسيلة نافعة، لما يتوفر فيها من ميزات الوسيلة الناجحة.

ومن فوائدها:

- سهولة حملها، وتواجدها عند الحاجة، مما يسهل مطالعتها متى شاء المدعو.
- ملء فراغ كثير من الناس، في أماكن انتظارهم، وأثناء سفرهم، إذ يمكن وضعها في أماكن تجمعهم وانتظارهم، مما يسهل تناولها لدى العامة، دون كلفة.
- قلة التكلفة المادية، مما يساعد على انتشارها. ومناسبتها لحال الناس اليوم، من عدم تمكُّنِهم، أو رغبتِهم في مطالعة الكتب الكبيرة.

ومن سلبياتها: أنه يخشى من انتشار ما يخالف الكتاب والسُّنَّة مما يضل العامة، لعدم تمكنهم من العلم.

شروط الكتيبات والنشرات الناجحة

لكي تكون هذه الوسيلة ناجحة، ينبغي أن يتوفر فيها العناصر التالية:

1- أن تتضمن مادة دعوية، لا مادة علمية دقيقة.

2- أن تكتب بعبارات سهلة، يدركها جمهور القراء.

3- أن تصاغ بأسلوب بسيط، حتى تُفهم من الجميع.

4- أن تكتب بخط كبير. حتى يتسنى قراءتها من ضعيفي النظر.

5- أن توضع في كل مكان يرتاده الناس. وبهذا تكون ذات نفع عظيم.

(و) اللوحات المعلقة

المقصود باللوحة المعلقة؛ كل لوحة معلقة يكتب عليها ما يذكّر الناس. وتعلق لأجل ذلك.. وهي نوعان: مطلقة، وخاصة.

أما المطلقة: فهي التي يكتب عليها موعظة عامة، تصلح لكل زمان، ومكان، ومناسبة، مثل: كتابة آية، أو حديث، أو تذكير بذكر، أو بعمل صالح. وتعلق في المساجد، وعلى جوانب الطرق، وفي البيوت، والدوائر الرسمية، والمؤسسات الأهلية.

وأما الخاصة: فهي التي توضع لحدث معين، أو للتذكير بأمر محدد، أو بموسم مخصوص، كوفاة امرئ، أو موسم حج، أو دخول عشر ذي الحجة، وما شابه ذلك. فتكون -والحال هذه -موجهة لأناس مخصوصين، أو لتصرف محدد، كالتذكير بالصبر عند المصيبة، أو الرد بالتي هي أحسن عند الإساءة في الحج، وما شابه ذلك.

ولا يخفى على بصير، ما لهذه الوسيلة من أثر في التذكر والحفظ، فكم من آية أو حديث حفظهما المرء من لوحة، وكم غفلة عن ذكر الله، زالت بقراءة موعظة معلقة. ولا يزال الطلاب يحفظون آيات كريمة، وأحاديث عظيمة، وأبيات شعر جميلة، من لوحات المدرسة.

(ز) الصـــور

لا شك أن الصورة لها أثرها الفعَّال في نقل المعاني والمشاعر والأحاسيس، بل إن صورة واحدة قد تغني عن ألف كلمة، وتعبر عن موضوع أو مشكلة أو أزمة بأكملها، وقد رأينا ما فعلته الصور المسيئة لرسول الله ﷺ من رسالة سلبية لدى المسلمين، وقد انتشرت هذه الصور المعبِّرة عن قضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، كما انتشرت كذلك لتعبِّر عن أخلاق فاسدة ومشاعر سلبية عنصرية أو فاشية.

كما احتلت الصور الكاريكاتورية مكانًا مهمًّا في عالم التعبير حتى أفرد له مقدمو الأخبار في بعض المحطات الفضائية فقرة لاستعراض أهمها في صحف العالم وعبر المواقع الإلكترونية.

ويُعد التصوير وسيلة من الوسائل القديمة، غير أنها تطورت تطوراً مذهلاً، باختراع التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) ثم التصوير المتحرك، ولهذه الوسيلة أثر بالغ عند المدعوين لما للمنظر من تأثير على التفكير.

(ح) المباني والمجسمات

تُعَدُّ المجسمات والمباني تنفيذًا لفكرة دعوية يتم التعبير عنها بواسطة هذا المجسم أو المبني للوصول لهدف دعوي وسيلة مهمة من وسائل الدعوة. فعندما يتم بناء مركز للدعوة، أو مسجد للصلاة، أو مجلس للندوات والمحاضرات والمؤتمرات، فكل هذه المباني هدفها الدعوة إلى الله تعالى، وهي في الوقت ذاته وسيلة لتبليغ هذه الدعوة، وكذلك المجسمات المصنوعة من مواد صلبة خشبية أو معدنية أو غير ذلك، والتي لها رسالة دعوية، مثل مجسم الكعبة أو المسجد الأقصى أو محفور عليها ذِكْرٌ، أو آية، أو حديث، أو دعوة إلى خُلق، أو أدب من آداب الإسلام، أو لُعَبِ أطفال تُعَلِّمُ شعيرة من شعائر الإسلام.

ويؤيد هذا أن النبي ﷺ، بنى المساجد، وأجاز استعمال اللعب للأطفال، وهي صور مجسمة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فَيسِرُّ بهن إليَّ فيلعبن معي» [1]

وعن الربيع بنت معوذ قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار». [2]

ثالثًا: الوسائل السمعية البصرية

(أ) المحطات المرئية: (التلفاز – الفضائيات)

لعل المحطات المرئية المحلية منها، والفضائية العالمية، من أكثر وسائل الإعلام انتشارًا، ومن الناس إقبالًا، ولربما طغت على كثير من الوسائل الأخرى؛ لأن طبيعة الإنسان، يشدها الصوت والصورة مجتمعين، ولِما تتميز به من تنوع في الأداء، وثراء في المادة المقدمة، وجاذبية في العرض.

والمقصود بالمحطات المرئية: أو (الرائي) هي: إذاعات تبث الصوت والصورة معًا.

ولا شك أن المصلحة في الدعوة إلى الله عبر هذه القنوات مصلحة راجحة ومحققة. فضلاً عن أن التخلف عن المشاركة في هذا الإعلام الهائل، يشكل فراغاً دعوياً كبيراً، يستغله بعض الضالين والمفسدين.

ومن إيجابياتها: كثرة المشاهدين والمستمعين. والانتشار الكبير للكلمة بين الناس،

---

(1) صحيح البخاري. كتاب: الأدب، باب الانبساط إلى الناس، 8/ 31. رقم: 6130.

(2) صحيح البخاري. كتاب: الصوم، باب صوم الصبيان. رقم: 1859.

ووصولها إلى بيوتهم، وأسواقهم. وحتى إلى متنزهاتهم. وسد فراغ كثير من الناس، وإشغالهم بما ينفعهم عما لا ينفعهم أو يضرهم.

ويُقدم التلفاز والفضائيات كثيرًا من المسلسلات والأفلام والمسرحيات، والتي من الممكن استخدامها في الدعوة ونشر القيم والأخلاق والفضائل وحل مشكلات الناس الحياتية والتوعية والتثقيف بكافة أنواعه، إذا توفرت الشروط الشرعية، ولم تخرج المادة المقدمة من خلال هذه العروض عن حدود الشرع والآداب العامة والتقاليد والأعراف المجتمعية، وهذا يدعونا إلى بيان وسيلة التمثيل بالتعريف والتوضيح.

(ب) وسائل التكنولوجيا الحديثة (السمعية والمرئية)

وهذه تشتمل على كل ما يتم استخدامه الآن من وسائل تنقل الصوت والصورة معًا في أجسام خفيفة وصغيرة ويمكن استخدامها في أماكن عدة وبسهولة، مثل أجهزة التسجيل (الأقراص المدمجة) والفلاش ميموري (USP) والهواتف الذكية بما توفره من وسائل التواصل الاجتماعي، والإنترنت وما يحتوي عليه من مقاطع فيديو (اليوتيوب) وما يستحدثه العلم في المستقبل من وسائل مشابهة تعطي نفس الإمكانات أو أكثر منها ويكون الاعتماد فيها على السمع والبصر، وقد حازت هذه الوسائل مكانة كبيرة بين الناس في كافة المجالات، كما أن استخدامها في الدعوة بات ملحوظًا، فهي علم متحرك، وعلماء جوالون، ودعاة متنقلون، مع كل طالب علم، وراغب هداية، حسب رغبته.

ومن إيجابياتها:

الأولى: ملء فراغ كثير من الناس، منهم: ركاب المواصلات، والنساء في بيوتهن، والعمال في مصانعهم، والموظفون في مكاتبهم، والمنتظرون في أماكن انتظارهم.

الثانية: إمكانية اختيار المادة المحبوبة لدى كل فرد.

الثالثة: سهولة اصطحاب هذا العلم في السفر والحضر، والركوب، والجلوس، وفي البر والبحر، وداخل البيت وخارجه، وإمكانية السماع منفردين أو مجتمعين.

الرابعة: سهولة اقتناء أجهزتها ومادتها.

الخامسة: إمكانية عقد مجالس علمية ودعوية في كل مكان، بالاستماع إليها، أو مشاهدتها. إذ يمكن لرب الأسرة عقد جلسة مع أسرته، أو المدرس مع تلاميذه، والمدير مع عماله؛ والاستماع إلى إحدى المحاضرات والتعليق عليها، ومداولة الرأي، وتدريب المدعوين على إبداء الرأي، والتناصح في العلم، واستخراج الفوائد، وما شابه ذلك. وذلك لما فيها من خاصية الاختيار والتحكم. ولأجل هذه الميزات، فقد شاركت هذه الوسيلة مشاركة فعالة ورئيسة في موكب الدعوة إلى الله.

ثانيا: الوسائل المعنوية

الوسائل المعنوية هي: جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، أو أخلاقية مثل الصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والتفكير والتخطيط وما إلى ذلك من أمور لا تُحس ولا تُلمس، وإنما تعرف بآثارها...[1]

ولأنها لا تظهر للعيان ولا تُمس بالجوارح قد يغفل عنها من يكتب في وسائل الدعوة مكتفيًا بالوسائل المادية غير أننا نؤكد على أهميتها حيث إنها:

1- تعتبر الأساس الذي تنطلق منه كل الوسائل الدعوية المادية تقريبًا، فما من وسيلة مادية يستخدمها الدعاة إلا ويسبقها وسيلة معنوية من تفكير أو تخطيط. ككتابة كتاب دعوي، أو بناء مسجد أو مركز للدعوة.

2- تتميز بالتنوع في صورها بين خُلقية ونفسية وفكرية.

(1) المدخل إلى علم الدعوة. ص283. مرجع سابق.

من صور الوسائل المعنوية

1- الأخلاق (القدوة الحسنة عند بعض العلماء)

الالتزام الأخلاقي وسيلة من الوسائل المهمة في بلاغ الدعوة، وقد فتح الله قلوب كثير من الناس للإسلام من خلال أخلاق المسلمين وخاصة التجار الذين كانوا يسافرون للتجارة، فيُسْلم مَنْ يتعامل معهم، ودول مثل: إندونيسيا وماليزيا، وكثير من البلدان الإفريقية شاهدة على ذلك، فلم تَصِلْهَا جيوش الفتح عبر عصور الإسلام المتلاحقة، وإنما وصلتها نماذج إنسانية أخلاقية راقية، وهذه الوسيلة كانت من أمضى الوسائل للرسول الكريم محمد ﷺ في الدعوة إلى الله، حتى إن القرآن الكريم قرن نجاح الدعوة بالالتزام بأخلاق معينة مثل: الرحمة والعفو والشفقة كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٩ وفي السنة النبوية أمثلة عملية تطبيقية -فردية وجماعية[1]- كثيرة تدلل على قيمة هذه

---

(1) **(قصة إسلام أهل سمرقند)** في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قتيبة بن مسلم الباهلي - رحمه الله - يفتح المدن والقرى ينشر دين الله في الأرض أوفتح الله على يديه مدينة سمرقند. افتتحها بدون أن يدعوَ أهلها للإسلام أو الجزية. ثم يمهلهم ثلاثاً كعادة المسلمين. ثم يبدأ القتال. فلما علم أهل سمرقند بأن هذا الأمر مخالف للإسلام كتب كهنتها رسالة إلى سلطان المسلمين في ذلك الوقت وهو عمر بن عبد العزيز عليه رحمة الله أرسلوا بهذه الرسالة أحد أهل سمرقند يقول هذا الرسول -أخذت أتنقّل من بلد إلى بلد أشهراً حتى وصلت إلى دمشق دار الخلافة فلما وصلت أخذت أتنقل في أحيائها وأُحدِّث نفسي بأن أسأل عن دار السلطان أ فأخذت على نفسي إن نطقت باسم السلطان أن أؤخذ أخذاً فلما رأيت أعظم بناءٍ في المدينة دخلت إليه وإذا أناس يدخلون ويخرجون ويركعون ويسجدون وإذا بحلقات هذا البناء فقلت لأحدهم أهذه دار الوالي؟

قال: لا؛ بل هذا هو المسجد .قال: صليت؟ قال: قلت: وما صليت؟ قال: وما دينك؟ قال: على دين أهل سمرقند فجعل يحدثني عن الإسلام حتى اعتنقته وشهدت بالشهادتين ثم قلت له: أنا رجل غريب أريد السلطان دلّني عليه يرحمك الله؟ قال أتعني أمير المؤمنين؟ قلت: نعم. قال: اسلك ذلك الطريق حتى تصل إلى تلك الدار، وأشار إلى دار من طين. فقلت: أتهزأ بي؟ قال: لا، ولكن اسلك هذا الطريق فتلك دار أمير المؤمنين إن كنت تريده قال: فذهبت واقتربت وإذا برجل يأخذ طيناً ويسدّ به ثُلمة في الدار وامرأة تناوله الطين. قال: فرجعت إلى الذي دلّني وقلت: أسألك عن دار أمير المؤمنين وتدلّني على طيّان! فقال: هو ذاك أمير المؤمنين. قال: فطرقت الباب وذهبت المرأة، =

الوسيلة في الدعوة، ومن الصور الفردية إسلام ثمامة بن أثال الحنفي[1] الذي عفا عنه الرسول ﷺ، فما كان منه إلا أن أسلم وتحولت العداوة إلى محبة. كما كان العفو عن أهل مكة، وإسلامهم – إلا القليل منهم– دليلاً على أثر الأخلاق على قبول المجتمعات للإسلام، ويستطيع كل مسلم يعيش في بلاد الإسلام أو خارجها أن يكون داعية للإسلام

= وخرج الرجل فسلّم علي ورحّب بي وغسّل يديه وقال: ما تريد؟ قلت: هذه رسالة من كهنة سمرقند فقرأها ثم قلبها فكتب على ظهرها(من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عامله في سمرقند أن انصب قاضياً ينظر فيما ذكروا، ثم ختمها وناولنيها .فانطلقت أقول: فلولا أني خشيت أن يكذبني أهل سمرقند لألقيتها في الطريق ماذا تفعل هذه الورقة وهذه الكلمات في إخراج هذه الجيوش العرمرم وذلك القائد الذي دوّخ شرق الأرض برمتها قال: وعدت بفضل الله مسلماً كلما دخلت بلداً صليت بمسجده وأكرمني أهله فلما وصلت إلى سمرقند وقرأ الكهنة الرسالة أظلمت عليهم الأرض وضاقت عليهم بما رحبت، ذهبوا بها إلى عامل عمر على سمرقند فنصّب لهم القاضي جُمَيْع بن حاضر الباجي لينظر في شكواهم ثم اجتمعوا في يوم وسألناه دعوانا فقلنا اجتاحنا قتيبة ولم يدعنا إلى الإسلام ويمهلنا لننظر في أمرنا فقال القاضي: لخليفة قتيبة وقد مات قتيبة – رحمه الله –: أنت ما تقول؟ قال: لقد كانت أرضهم خصبة وواسعة فخشي قتيبة إن أذنهم وأمهلهم أن يتحصنوا عليه. قال القاضي: لقد خرجنا مجاهدين في سبيل الله وما خرجنا فاتحين للأرض أشراً وبطراً ثم قضى القاضي بإخراج المسلمين على أن يؤذنهم القائد بعد ذلك وفقاً للمبادئ الإسلامية.ما ظنّ أهل سمرقند أنّ تلك الكلمات ستفعل فعلها ما غربت شمس ذلك اليوم ورجل من الجيش الإسلامي في أرض سمرقند خرج الجيش كله ودعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال. فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له في تاريخ البشرية من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها قالوا: هذه أمة حُكمُها رحمة ونعمة فدخل أغلبهم في دين الله وفُرضت الجزية على الباقين. **(فتوح البلدان. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (دار ومكتبة الهلال– بيروت، 1988م) ص: 411)**

(1) **(قصة إسلام ثمامة بن أثال الحنفي)** عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟". فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ ! إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ:"لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟". قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ !فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ":مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟' فَقَالَك عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ!فَقَالَ: " أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ." فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ! يَا مُحَمَّدُ! وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ. وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟! قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا، وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ. صحيح البخاري. كتاب: المغازي، باب: وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، 5/ 170، رقم 4372.

من خلال أخلاقه الحميدة.

إن الداعية طبيب يعالج الإنسانية من عِلتها الكبرى التي تتسلل منها سائر الأمراض... ومعلوم أن دواء هذه العلة ليس مما ينبت في حقل، أو يخرج من منجم، أو يُركَّب في صيدلية، إنما هو روح إلهي في ضمير المؤمن، يشيع الربانية، فإذا هي للناس شفاء ورحمة، ونور وقوة، ورضى وبهجة، واستقامة وعمل...فهذا القلب الحيُّ الكبير، وهو (الصيدلية الإلهية) وكل كلمة تصدر عنه: (علبة دواء) فيها شفاء...فما لم تكن أقوال الداعية وأفعاله صادرة من محيطه الروحي، منبعثة من حياته التي يحياها وراء المادة، كانت أقوالا غير مغموسة بالنور، لا تمس القلوب بشيء من أسرار الشفاء...نعم قد يُنَمِّق المتكلم كلامه، ويوشي عباراته، فيثير العواطف، ويحظى بالإحسان، ولكنه استحسان الزيف والتهريج، أترى المريض يشفيه أن تقدم له (علبة فارغة).. (حُقًّا ليس فيه شيء) وحسبه أنها علبة موشَّاة بالذهب وأنه (حُقٌ مُطَعَّم بالعاج والصدف) مثلا؟ فهذه الربانية هي الدواء، فإذا خلت أقوال الداعية وأعماله منها فلا بركة فيها.[1]

إن من الفتن التي يتعرض لها غير المسلمين أن يروا المسلم غير ملتزم بتعاليم الإسلام، فَيُفْتَنُوا ويَبْتَعِدُوا عن الإسلام لما يرونه من نموذجٍ سيءٍ في الأخلاق والسلوك مُتَعَلِّلِينَ بحال هذا المسلم، وقد استعاذ أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام من هذا الصنف من الناس فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الممتحنة: ٥. ومن الفتن أن يظهر الدين من خلال أتباعه بصورة أخلاقيَّةٍ مُنفّرة تَصُدُّ الناسَ عنه.

2- التخطيط

التخطيط بمفهومه العام هو أن يضع الإنسان أهدافًا وخطوات لتنفيذ هذه الأهداف ضمن فترةٍ زمنيّةٍ مُعيّنة قد تكون طويلةً أو قصيرة.

(1) تذكرة الدعاة. البهي الخولي (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – القاهرة، 1418–1998م) ص213.

والتخطيط علم يدخل في كل المجالات والنبي ﷺ مع تأييد الوحي وتسديده له، لم يستغن عن التخطيط والتدبير والأخذ بالحيطة والحذر، لذلك كانت النتائج المنطقية لهذا الجهد – بعد توفيق الله تعالى–هذا النجاح العظيم الذي تحقق بأن انقلب وضع العالم رأسًا على عقب. إضافة إلى أن التخطيط فيه اقتداء بالرسول ﷺ، فإنه لا يقل عن أن يكون واجبًا من الواجبات الدينية المأمور بها...فقد قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤.

والقيام بهذا الواجب في عصرنا الحاضر له مستويات متعددة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الحكومات، فلكي تقوم الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، يلزمها تخطيط محكم وتدبير حكيم حتى تستطيع الوفاء بذلك الواجب من أدنى مستوياته متمثلا في الفرد إلى أعلى مستوياته متمثلا في الحكومات.

وهذا التخطيط من باب الإتقان الذي يحبه الله تعالى كما قال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[1] وهذا الإتقان ليس من باب التحسينات التي يحبها الله تعالى بل هو من الواجبات التي أمر بها، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب والنهوض بالدعوة الإسلامية اليوم وإقامة دين الله تعالى في أرضه وإعادة العزة للمؤمنين والتمكين لهم في الأرض من أوجب الواجبات المنوطة بالأمة.[2]

وتحتاج الساحة الدعوية سواء المحلية أو العالمية لخطط محكمة، ترسم ملامح الدعوة الحالية وخطواتها المستقبلية، يراعى فيها فقه الواقع، ومعرفة الفُرص والتحديَّات الحالية والمستقبلية، ومعرفة التيارات والفلسفات التي تقف عقبة أمام الدعوة الإسلامية

---

(1) المعجم الكبير، الطبراني. 24/ 306، رقم 776. ورواه الطبراني في (الأوسط) (891) وأبو يعلى (4386) والبيهقي في (شعب الإيمان) (4/ 334) وابن عدى في (الكامل) (6/ 2359) وضعَّفه الهيثمي في (المجمع) (4/ 98) وقد صححه الألباني في الصحيحة نظرًا لشواهده.

(2) التخطيط للدعوة الإسلامية – دراسة تأصيلية. عبد المولى الطاهر المكي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، 1415هـ–1995م، ص: أ.

وتنافسها في الرغبة في الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم وكيفية مواجهتها. وهذا ينظم الجهود ويُعظِّم من آثارها، ويحمي الدعوة من العشوائية وغلبة الطابع الفردي عليها وينتقل بهذا العمل الدعوي من الفردية إلى الجماعية التي تضمن له الاستمرار والقوة والمزيد من الإبداع.

3- **المشاركة المجتمعية (الاتحادات والانتخابات والنقابات)**

في مجال العمل الدعوي المنظَّم، يحتاج الدعاة – في كثير من البلاد– إلى عمل جماعي حركي منظم ذو آلية متطورة يُتَّخَذُ فيه القرار بناء على معلومات دقيقة عن المجريات اليومية المتلاحقة، فحسابات، فمعرفة بالبدائل، فدرجة مخاطرة، ثم ينتج القرار الذي يكون مصيريًّا في كثير من الأحيان يحتاج فيه إلى معلومات تجمعها لجان متخصصة متابعة للأحداث، وذلك كله لا يتم على الوجه المطلوب إلا باستعمال وسائل الإدارة الحديثة ونظرياتها، ويحتاج فيه إلى منهجية دقيقة للاتصال الداخلي وتقويم للعلم الحركي مستمر، ومناخ تنظيمي سليم وتخطيط ومتابعة وتطوير، حتى لو لم يكن كل ذلك سريا، بل علنيًا تسمح به الدولة. فهذا ما يتعلق بنظام الدعوة الداخلي.

أما في المجال الخارجي، فإنها – مثلا – قد تواجه نظامًا جديدًا تعيش فيه، تضطر إلى سلوك أساليب معينة للمحافظة على الدعوة قد لا تناسب بيئة أخرى.

ومن ذلك أنه قد يكون (ولي الأمر) هذا الاسم الشرعي، هو في الواقع عبارة عن مؤسسات مترابطة، وشبكة من الإدارات السياسية تؤثر في درجة وجودها وقوتها وبقائها عوامل خارجية سياسية، وقوة اقتصادية، وثقل عائلي أو طبقي. وقد تكفل هذه المؤسسات بطبيعتها، أساليب مسموحًا بها للضغط على الحاكم؛ لتغيير سياساته بما تقتضيه المصلحة، ويمكنها نزع الثقة من الحكومة، أو من وزير من وزرائها متى تطلب الأمر ذلك. مع ضمان ألا يصيب الداعين إلى ذلك ضررُ ما يسمى بالحصانة البرلمانية.

فكيف تتعامل الدعوة مع هذا الوضع وهل تُفهم النصوص الشرعية في ولاة الأمر بأن تضعها في غير موضعها كما في هذا المثال؟ وهل تبقى الدعوة بعيدًا عن التأثير في الأحداث وكسب المواقف لصالح أهدافها من خلال الظروف الجديدة التي تكتسح العالم هذه الأيام بما يسمى (بالديمقراطية)؟ أم يجوز أن تسلك هذه الوسائل، مما يحتاج من الدعاة إلى فَهْمٍ وَوَعْيٍ لأساليب (العمل السياسي) في الدولة وكيفية التعامل مع كل طرف منها؟، وكيف تناور لتكسب، أو تخسر شيئا لتكسب شيئين؟، وكيف تحافظ على التوازن بين الضوابط الشرعية والمواقف التي يضطرها إليها دخولها المعترك السياسي لتحافظ على نفسها؟ مما يجعلها محتاجة إلى منظومة من الإدارات السريعة الحركة والحكيمة والمترابطة ونظاما للمعلومات وانسيابا في الخطوات المرحلية يتناسب مع سرعة التغيرات في الساحة؟

وقد يحتاج إلى قَدْرٍ من السِّرِّية؛ لأنها في معترك سياسي تتنافس فيه الأحزاب على ضرب بعضها بعضًا، وتستفيد من المعلومات الداخلية لكل حزب بشكل مؤثر وخطير.

إنَّ توسيع دائرة وسائل الدعوة ضرورة لتغيير واقع المسلمين في بعض البلاد ومما يستعمله الدعاة ـ في بعض هذه البلاد ـ في هذه الأيام، ويمكن بواسطته تغيير كثير من واقع المسلمين إلى الأفضل، دخول الاتحادات الطلابية، ونقابات العمال والمعلمين ونحو ذلك، والمجالس النيابية أو غيرها مما يحتاج في القيام بأعبائه إلى عمل دؤوب ولجان متخصصة، وهي وسائل لم تكن على عهده ﷺ، ولو تركت بهذه الحجة بناء على أن وسائل الدعوة متوقفة على نصوص خاصة لأنها توقيفية؛ لأدى ذلك – في بعض البلاد – إلى استغلال أهل الفساد وأعداء الدين وأصحاب المذاهب العلمانية لها لاجتثاث شعائر الدين في المجتمعات الإسلامية وما أحرصهم على ذلك.

المبحث الخامس: أساليب الدعوة

تعد الأساليب من الأهمية بمكان، فعليها مدار قبول الدعوة أو رفضها، وسيتناول هذا المبحث التعريف بمفهوم الأسلوب وأهميته، وأنواع الأساليب الدعوية المختلفة.

المطلب الأول: تعريف الأسلوب الدعوي وأهميته

الأساليب جمع أسلوب، وهو في اللغة، الطريق. يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا، طريقته ومذهبه. وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته.

والأسلوب عبارة عن: ألفاظ مُختارةٍ مركَّبة في صِيَغٍ مُؤَلَّفة للتعبير عن المعاني المطلوب إيصالها للآخرين؛ قَصْدَ الإيضاح والتأثير. والأداة الناقلة للأسلوب هي الوسيلة.

والأسلوب المُعَبِّرُ عن المعنى يتركب من كلمات، أو من إشارات، أو من أحوال.

والكلمات تكون مكتوبةً أو منطوقةً. والإشارات تكون مع لفظٍ أو بدونه. والأحوال تكون بسيطة أو مُرَكَّبَة.

والألفاظ تُحَسِّنُ المعاني وتزينها في القلوب، والكلمة المكتوبة أوسع انتشارًا، وأبقى زمانًا، والإشارة تفيد في بعض المواقف التي لا يصح فيها التصريح، وتكون بإحدى الجوارح، أو بما يستعمله الإنسان من آلات، وأحيانًا تلتقي الإشارة مع اللفظة في البيان والإفادة، وحينئذٍ يكون أثرهما أبلغ، ودلالتهما أقوى.

والأحوال دلالات ناطقة بلا لفظ، وبرهانٌ بَيِّنٌ بلا حديث، وذلك ظاهر في كل مخلوقات الله -تعالى- ففي كلٍّ منها آية دالَّة على وجوده وقدرته. [1]

(1) الدعوة الإسلامية أصولها-وسائلها-أساليبها في القرآن الكريم. ص: 50-51 بتصرف يسير. مرجع سابق.

أهمية الأسلوب وأثره في الدعوة

لا يخفى على كل ذي بصيرة ما للأسلوب من أهمية بالغة في استجابة المدعوين، وقبول الحق، وانتشار الدعوة، ولم يَبْعُد النُّجْعَة [1] مَنْ عَزَى للمادة والمنهج نصف النجاح، وللأسلوب النصف الآخر .

ولبيان ذلك؛ لنتصور خطيبًا يتكلم عن موضوع مهم كالتوحيد، بمنهج سليم، وقواعدَ صحيحة، من حيث الموضوع، ومن حيث التدرج بالمدعوين، ومن حيث طرح الأدلة. إلا أنه كان فظًّا في كلماته، عابسًا في سَحْنَتِهِ، ضعيفًا في صوته، أو عاليًا جدًّا في نبراته، ركيكًا في عباراته، فوضويًّا في ترتيب أفكاره، مرتفعًا في مستوى عرضه، معقدًّا في تركيب جمله. يختار الألفاظ الصعبة والأسلوب الهجومي .

فإذا كان هذا الداعية كذلك، أو فيه بعض ذلك، فهل يكون موفَّقًا في دعوته؟ مقبولًا لدى المدعوين؟ كلا؛ بل سيكون خاسِرًا في دعوته، ومنفِّرًا الناس عنه رغم صحة موضوعه وأهميته.

ولنتصور داعية: ليِّن الكلمات، بشوش الوجه، معتدل الصوت، فصيح النطق، جميل العبارات، مرتبًا في أفكاره، بسيطًا في عرضه، يضرب لهم الأمثلة الجميلة، ضمن القواعد السليمة، بكلمات مفهومة، وجمل واضحة، يبتسم في وجوههم، ويسع جميع المدعوين ببصره، كأنه مع كلٍّ حاضِرٌ. ويخاطب كل مستمع.

فكم سيكون موفَّقًا في دعوته؟ مقبولًا لدى المدعوين؟!!

إنه سيكون ناجحًا في دعوته نجاحًا عظيمًا، محبوبًا لدى المدعوين؛ لأنَّ النَّفْسَ البشرية طُبِعَت على حُبِّ الكلمة الطيبة، والإنصات للأسلوب الحسن، والتأثر به، والاستجابة لصاحبه .

---

(1) النُّجْعَةُ: طلبُ الكلإ ومَساقطِ الغيث. والنُّجْعَةُ قَصْدُ ذي المعروف لمعروفه. ويقال: فلان أبعد النُّجْعَةُ أي: أنه لم يُصِبْ عينَ الحقيقة.

فَرُبَّ كلمةٍ طيِّبَةٍ كان لها وقْعٌ في النفس أكثر من خطب جمعة. ورب كلمة فظَّةٍ صَدَّت قومًا عن الهداية؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «الكلمة الطيبة صدقة» [1]. فَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ صحيحةٍ، فَشَلَتْ لِسُوءِ أُسْلُوبِ أصحابها. وكم من دعوةٍ باطلة، سُمِعَتْ لِحُسْنِ أسلوبِ دُعَاتِها.

إن الأسلوبَ الحسن، والكلمةَ الطيبةَ، ليجريان مع دم السامع في عروقه، فتفتح سمعه. وتشد بصره. وتشرح صدره، وتلين فؤاده. وتغذي نفسه بغذاء القبول. وتدفع قلبه للتذكُّر والخشية. ثم الاستجابة. إذا كان الله يريدها له، لعله يتذكر أو يخشى. فهل نحن مدركون؟!

والواقع أنَّ إهمال مسألة الأسلوب دَفَعَ الدعوةَ إلى الوراء، وصَدَّ كثيرًا من الناس عن الحق.

والداعية كالطبيب، والمدعوون هم المرضى. فكما أن الطبيب الصادق لا ينظر إلى أصل المريض ولونه، ونسبه، ودينه. بل يعامل الجميع بصدق، ورفق، واهتمام، وأسلوب حسن. فكذلك الداعية الحكيم؛ يجب أن يعامل جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، بارهم وفاجرهم، كبيرهم وصغيرهم، عزيزهم وصعلوكهم. معاملة طيبة، وأن يخاطبهم بأسلوب حسن، دون النظر إلى سوابق لهم، أو إلى ما هم عليه من الفجور.

ومن السلبيات التي تقع في الأسلوب؛ تأثر الداعية بما يكون عليه المدعو من فسادٍ وفجور. وما يقوم به من ردود فعل تجاه الداعية. الأمر الذي يدفع بعض الدعاة إلى التجاوب مع هذا الاستفزاز، وتغيير أسلوبه، بألفاظ شديدة. وصوت مرتفع. وسَحْنَةٍ مُتَجَهّمة، إما بغير شعور، وإما ظناً منه أن مثل هؤلاء لا ينفع معهم إلا الشدة، ولا يرتدعون إلا بالغلظة. وهذا -بلا شك -خطأ هذا التصرف.

---

(1) صحيح البخاري. كتاب: الأدب، باب: طيب الكلام. 8/ 11.

والمقصود من هذا؛ اهتمام الداعية بأسلوبه، وتركيز المُرَبِّينَ والعلماء على إصلاح أساليب الدعاة، لما للأسلوب من أثر كبير في نجاح الداعية، وقبول دعوة الحق. [1]

الآية الجامعة لأساليب الدعوة.

جمعت آية كريمة من القرآن الكريم أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وبيَّنت للدعاة إليه، والهداة إلى سبيله الطرق المُثلى التي يجب انتهاجها في الدعوة إلى شريعته، وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥

المطلب الثاني: أسلوب الحكمة

الحكمة لغة: تطلق الحكمة على معانٍ عديدة منها: العدل، والعلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، والسُّنَّة. كما تطلق على العِلَّة، يُقال: حكمة التشريع.

تعريف الحكمة اصطلاحًا: هي: (إصابة الحق بالعلم والعمل)

وقيل هي: (وضع الأشياء في مواضعها، ومنها الإصابة في القول والعمل معًا).

التعريف المختار هو: قول ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي بالطريقة التي تنبغي.

فالدعوة بالحكمة، تكون بالنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغَيْرَة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.[2]

إن تعريف الحكمة يشمل تحليلها إلى العناصر المكونة لها، وهي على ما يبدو ثلاثة: الذكاء، والمعرفة الواسعة، والإرادة الصّلبة، حيث تكوِّن معًا الحكمة. وعلى مقدار كمال

---

(1) انظر: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسُّنَّة. ص 197 ـ 201، بتصرف. مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب. 4 / 2201. مرجع سابق.

هذه العناصر يكون كمالها.

إن الذكاء بمفرده لا يجعل الإنسان حكيمًا، كما أن المعرفة دون ذكاء تجعل استفادة صاحبها منها محدودة، وتجعل وظيفته مجرد الحفظ والنقل، والمعرفة دون ذكاء تؤخر ولادة الموقف الحكيم. ولا يكفي الذكاء اللمَّاح، ولا الخبرة الواسعة في جعل الإنسان حكيمًا ما لم يمتلك قوة الإرادة إذ إنها وحدها هي التي تجعلنا ننصاع للأمر، وهي التي تنتج سلوكًا يختفي فيه الفارق بين النظرية والتطبيق.

والحكمة منها:

- الحكمة التامة، وهي لمن اصطفاهم الله مِنْ خلقه من الأنبياء.
- والحكمة الدنيوية، وهي التي تُكتَسب بالمران والممارسة والخبرة.
- والحكمة المكتسبة، وهي لمن تعلم العلوم الشرعية والعمل بما فيها. [1]

أهمية أسلوب الحكمة يبدو من خلال الأمور الآتية:

1. أن الله عز وجل اختار لنفسه اسم «الحكيم»، وتكرر في القرآن الكريم ما يقارب ثمانين مرة. وهذا يدل على مكانة هذا المفهوم وعلوّ معناه.

2. من خلال معنى كلمة الحكمة ذاتها، والتي تجمع في معناها بين الجوانب النظرية والعملية؛ ولذلك لا يُسمَّى الرجل حكيمًا إلا باجتماع النوعين معًا.

3. أن الله عز وجل جعل الحكمة من عطاياه لنبيه محمد ﷺ، فملأ قلبَ الرسولِ ﷺ بالحكمة، فقد جاء في الحديث الشريف: فُرِجَ سقفُ بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففَرَج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه[2].

---

(1) مفهوم الحكمة شرعا ووضعا. يعقوب عادل ناصر الدين، جامعة الشرق الوسط (الأردن: 2013) ص:3.

(2) صحيح البخاري. كتاب الصلاة. باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء. 1/ 78، رقم 349.

4. أن الله عز وجل جعل تعليم الحكمة للناس من أبرز أعماله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الجمعة: ٢

5. أمر الله تعالى بالدعوة بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ...﴾ النحل: ١٢٥ وهذا دلالة على علوّ شأنها وعظيم أثرها في الدعوة.

6. أن الله عز وجل جعل الحكمة من أفضل ما يُعطى المرء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩

7. كونُهَا من الحسد المحمود[1] عليها في الدنيا. ففي الحديث الشريف: «لا حسد إلا في اثنتين.... ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[2]

من مظاهر الحكمة في جانب الأساليب

تظهر الحكمة في اختيار الأساليب الدعوية من خلال الأمور الآتية:

-**اختيار الأسلوب المناسب لكل موقف**، فما يقال في الأفراح يختلف عما يقال في الأتراح، وما يقال في الشدة غير ما يقال في الرخاء، وللترغيب موطن يغاير موطن الترهيب، فمن غلب عليه الخوف يُستخدَمُ معه أسلوب الترغيب والرجاء. كما اختلف أسلوبه ﷺ في الجهر بالدعوة عن أسلوبه حال الاختفاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وموقفه في غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية، وهكذا.

-**اعتماده على مراتب الاحتساب** المتدرجة في درجتها وهي: التعريف، الوعظ، التعنيف، التهديد، استعمال اليد، والضرب. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ

(1) الحسد نوعان: محمود ومذموم. أما المذموم فهو تمني زوال نعمة الغير، وهذا ما جاء النهي عنه في الكتاب والسنة، وأما الحسد المحمود والذي يدخل فيه هذا الحديث فهو بمعنى الغبطة ومعناه تمني ما عند الغير من علم أو حكمة أو مال، أو ما سوى ذلك مع عدم تمني زوال هذه النعم من عند صابها.

(2) صحيح البخاري. كتاب: العلم. باب: الاغتباط في العلم والحكمة 1/ 25، رقم: 73.

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ النساء: ٣٤. وجاء في الحديث الشريف: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[1].

-**البحث عن الدوافع والأسباب**؛ لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة؛ فإن أسلوب معالجة الجاهل يختلف عن أسلوب معالجة العدو، وأسلوب معالجة الضعيف المقصِّر، يختلف عن أسلوب معالجة المعاند المتعصب، وهكذا. ويراعى في ذلك أن الأصل في تشخيص الدافع عند الداعية هو حُسن الظن بالمسلم، والحذر من العدو، وعلى الداعية مراعاة حالة المدعو والتخطيط لمعالجتها دعويًّا، مع مراعاة اختيار الأسلوب المناسب لها.

-**مراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية الفردية والجماعية**، فإن الأساليب الدعوية تختلف من ظرف إلى ظرف، ومن حال إلى حال فإن أسلوب العمل الدعوي مثلا في دولة مسلمة أو مسالمة يختلف عن أسلوب العمل الدعوي في دولة غير مسلمة أو محاربة.

☜ من خصائص أسلوب الحكمة

-**إمكانية تعلُّمِهِ واكتسابه**. حيث يمكن اكتساب الحكمة من خلال قراءة القرآن الكريم، والسنَّة النبوية، والسيرة النبوية قراءة تَدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ وتأسي. وصحبة الحكماء والاقتباس منهم، ومن سيرتهم، والعمل بها، وتطبيقها في مجال الدعوة، ومجاهدة النفس عليها، والاستفادة من التجارب الدعوية الشخصية.

-**عظيم آثار أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى**، حيث يَصِلُ الداعية من خلاله إلى تحقيق أهدافه من أقرب طريق بنتائج طيبة. كما أنه يقرِّب القلوب من الدعوة ودعاتها. ويزيل الشحناء والبغضاء من القلوب.

---

(1) صحيح مسلم. كِتَاب: الإِيمَانِ. بَاب: بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص. حديث رقم: 73.

المطلب الثالث: أسلوب الموعظة الحسنة

الوعظ: ويُقصَدُ به: النصح والتذكير بالعواقب، والأمر بالطاعة والتوصية بها، والصبر عليها. وهي جماع معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك معنى النصيحة والتي تُعَدُّ جماع الدِّين كله، قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]

والموعظة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفْقٍ، وتتعمق في المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير مُوجِبٍ. ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهلٍ أو حُسْنِ نِيَّةٍ. فإن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وتكون الموعظة الحسنة بالقول الصريح اللطيف اللين ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣، وتكون بالإشارة اللطيفة المفهومة، وبالتعريض والكناية المؤدية إلى المعنى المقصود، وبالقصَّة والخطابة المؤثرة، وبالفكاهة أحيانًا، وبالتذكير بالنعم المستوجبة للشكر، وبالذم والمدح، وبالترغيب والترهيب، وبالتحمُّل والصبر، والوعد بالنصر والتمكين، وكل أسلوب مباشر، أو غير مباشر يؤثر في المدعوين، ويدفعهم إلى الطاعة والاستجابة.

وتظهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة من خلال الأمور الآتية:

-أَمْرُ الله الصريح باستعماله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥، دلالة على عُلُوِّ شأنه ودوره في الدعوة.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: الدين النصيحة. 1/ 21. رقم: 56.

-أن رسول الله ﷺ جعل النصيحة أساسَ الدِّين كما جاء في الحديث السابق «الدين النصيحة.. »، والنصيحة مرادفة للموعظة الحسنة. بل إن الرسول ﷺ بايع الصحابةَ عليها «... والنُّصح لكل مسلم»[1]

-استخدام جميع الأنبياء - عليهم السلام- لها في دعوتهم لأقوامهم، قال -تعالى- على لسان نوح -عليه السلام-: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٦٢ وقال -تعالى- على لسان -هود عليه السلام- : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف: ٦٨

☜ خصائص أسلوب الموعظة الحسنة

تتضح خصائص أسلوب الموعظة الحسنة من خلال :

-لطف عباراته وألفاظه، ومناسبتها للمقام. وتنوع أشكاله وكثرتها؛ مما يُيَسِّرُ على الداعية اختيار ما يتناسب مع المواقف الدعوية المختلفة.

-عِظَمُ آثاره في نفوس المدعوين، وذلك من خلال ما يلي:

-قبول الموعظة، وسرعة الاستجابة لها.

_غرس المحبة والمودَّة في قلوب المدعوين.

_محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها.

-استخدام النبي ﷺ له. ومثال ذلك: موقفه من الأعرابي الذي بال في المسجد[2].

---

(1)صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: قول النبي ﷺ: الدين النصيحة 1/ 21. حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه.

(2) انظر: صحيح مسلم، كتاب: الطهارة. باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. 1/ 236، رقم 285.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ فِيهِ، فَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: "دَعُوهُ لا تُزْرِمُوهُ فَلَمَّا فَرَغَ دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاةِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ شَنًّا وَتَرَكُوهُ."

وموقفه ﷺ يوم حُنَيْن من تقسيم الغنائم، ووعظه للأنصار[1].

المطلب الرابع: أسلوب الجدل

الجدل: هو دَفْعُ المرء خصمه عن فساد قوله بِحُجَّةٍ أو شُبْهَةٍ، وهو مقابلة الأدلة ببعضها لظهور أَرْجَحِهَا. والمجادلة: المناقشة والمخاصمة، والجَدَلُ: اللَّدد في الخصومة والقدرة عليها.

-الجدل المقصود هنا: هو الجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون

---

(1) انظر: مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، 18/ 253. رقم: 11730.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد)غضب (هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟، قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا من ذلك، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله، وعالة) فقراء (فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل، قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم، فَلَصَدَقْتُمْ، وَصُدِّقْتُمْ، أتيتنا مُكَذَّبًا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شِعبا، وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى الخير؛ ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيَّدًا قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥

والجدل بالتي هي أحسن يكون بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن المدعو إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلًا عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن[1] من هذه الكبرياء الحساسة. ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر! ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة لِلَّجَاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله.[2]

وتظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله تعالى من عِدَّة أمور منها:

-**أنَّ الجَدَل أمرٌ فِطْري**، جُبِلَ عليه الإنسان، يصدر من الصالح والطالح، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ الكهف: ٥٤. مما يجعل استخدامه سهلا ميسورًا على كل الناس.

---

(1) يطامن الشيء: يخفض من حِدَّتِهِ.

(2) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب. 4/ 2201، مرجع سابق.

-**أمر الله تعالى باستخدامه**، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦

-**استخدام الأنبياء (عليهم السلام) للجدل في دعوتهم** ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ البقرة: ٢٥٨

-**اهتمام الدعاة به** منذ زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا.

- **احتياج الدعوة لهذا الأسلوب** بعدما انتشرت الدعوات المضَلِّلَة التي تعتمد على إثارة الشُّبَهِ وتزوير الحقائق.

☜ *ومن خصائص أسلوب الجدل ما يلي:*

-**اعتماده على العلم والمعرفة**، فلا يصح جدال من غير معرفة وعلم. وإقامة الحجة على الخصم وإفحامه.

-**تنوع بواعثه ودوافعه تنوعًا كبيرًا**، ومنها:

☜ بواعث نفسية مثل: القناعة بفكرة ما، أو التعجب والاستغراب من أمرٍ ما.

☜ بواعث علمية: مثل: الاستفادة والسؤال عمَّا يجهل، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها.

☜ بواعث اجتماعية: مثل التحمس والتعصب لقول أو لرأي أو موقف...الخ.

المطلب الخامس: أسلوب القدوة الحسنة

القدوة هي: الأسوة، والمثال الذي يَتَشَبَّهُ به غيره، فيعمل مثل ما يعمل. «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً، فله أجرها، وأجر من عمل بها... الحديث»[1]

(1) صحيح مسلم. كتاب: الزكاة. باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. 2/ 704، رقم: 1017.

وتنقسم القدوة الحسنة في الإسلام إلى قسمين هما:

-قدوةٌ حسنةٌ مطلقة (معصومة عن الخطأ) وتتمثل في أنبياء الله ورسله عليهم السلام. قال تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ، بعد أن ذكر جملة من الأنبياء والرسل ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام: ٩٠، وقال في حقِّ رسوله محمدٍ ﷺ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ الأحزاب: ٢١

-قدوةٌ حسنةٌ مقيدةٌ بما شرعه الله عزَّ وجلَّ وهي غير معصومة، وتتمثل في الصالحين من هذه الأمة، ومن الأمم السابقة كذلك.

-أسلوب القدوة الحسنة يشمل التأسِّي بكل مَنْ عَمِلَ عملًا صالحًا حسنًا سواء كان نبيًّا رسولًا، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله.

أهمية أسلوب القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى تبدو من خلال الآتي:

- نص القرآن الكريم على القدوة، وطلب الله من المؤمنين الاقتداء بالرسول ﷺ.

-من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها، أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع خاصة في الأمور العملية. ولذلك جَعل الله عزَّ وجلَّ لعبادهِ أُسْوَةً عملية في الرسل والصالحين من عباده.

-أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حيث يمكن لكل إنسان محاكاة فعل غيره، وتقليده ولو لم يفهمه.

☜ من خصائص أسلوب القدوة ما يلي:

سهولته، وسرعة انتقال الخير مِنَ المقتَدَى به إلى المقتَدِي؛ لأنَّ الأخذ بالشيء

عمليًّا، والتمسك به أكثر إقناعًا للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه. وسلامة الأخذ وضمان الصحة خاصة في الأمور العملية الدقيقة. وعمق التأثير في النفس البشرية، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية.

– ومن الأمثلة الدالة على ذلك مشورة أم سلمة (رضي الله عنها) في صلح الحديبية على رسول الله ﷺ.

فقد روى الإمام أحمد بسنده من طريق المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم – رضي الله عنهما –قصة صلح الحديبية في حديث طويل، ذكر فيه أنه لما تم الصلح بين النبي ﷺ ومشركي قريش قام رسول الله ﷺ فقال :يا أيها الناس انحروا واحلقوا، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال: يا أم سلمة !ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدًا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون.[1]

(1) مسند أحمد. حديث المسور بن مخرمة الزهري، ومروان بن الحكم، 31/ 20. رقم 18910.

خلاصة الفصل الثاني

- أصول الدعوة تطلق على أركان الدعوة وهي الداعي والمدعو وموضوع الدعوة والوسائل والأساليب.
- الداعي: هو المُبَلِّغ للإسلام، والمعلِّمُ له، والساعي إلى تطبيقه في الحياة. وهو القائم بأمر الدعوة إلى الله تعالى. والداعية هو المحور المُحَرِّك للدعوة، وبواسطة مزاياه الإنسانية يتمكن من نقل الدعوة من خلال الوسيلة المناسبة -والمتاحة له-إلى المدعوين.
- الداعية هو حامل الرسالة الدينية؛ لهذا كان من الضروري أن يتمتع بصفات عقلية ودينية وخُلُقية تُمَكِّنُهُ من القيام بدوره... وتحتاج هذه المواصفات إلى إعداد مُسبَقٍ، ومتابعةٍ دائمةٍ، وعَوْنٍ مستمرٍّ.
- المدعو: هو مَنْ تُوَجَّهُ إليه الدعوة وهو الإنسان مطلقًا قريبًا أو بعيدًا مسلمًا أو كافرًا ذكرًا كان أو أنثى...والمدعوون عنصر أساسي من عناصر الدعوة إلى الله عز وجل.
- المدعوون مختلفون في الاستجابة، وفي الفهم، وفي العلم، وفي التدين، فمخاطبتهم على حدٍّ سواء، ليس من الحكمة في شيء. ويجب تنويع الخطاب حسب نوعية المدعوين.
- موضوع الدعوة الإسلامية هو الإسلام الذي يُدْعَى الناسُ إليه قرآنًا وسنة.
- أهم المبادئ التي يُدعى الناس إليها، جانب الصِّلة بالله، وجانب الصِّلة بالناس، وجانب الصِّلة بالنفس وما يتفرع عن كل جانب من أمور.
- الوسيلة هي: مجموع الطرق المؤدية إلى تبليغ الدعوة الإسلامية، وإيصالها إلى عموم

المدعوين. وتأخذ الوسيلة شكل الأدوات والأوعية الحسية والمعنوية؛ لنقل مضمون الدعوة، فهي أداة وقناة يَعْبُرُ منها المعنى إلى الناس.

- الوسائل منها المادية والمعنوية، ولكل منها مميزاتها وخصائصها.
- الأسلوب عبارة عن: ألفاظ مُختارةٍ مركَّبة في صِيَغٍ مُؤَلَّفة للتعبير عن المعاني المطلوب إيصالها للآخرين؛ قَصْدَ الإيضاح والتأثير، والأداة الناقلة للأسلوب هي الوسيلة.
- لا تكتمل الرسالة الدعوية إلا باكتمال أركانها.

أسئلة التقويم الذاتي

أولًا: أسئلة المقال:

س1: دلّل على ما يلي في ضوء ما درست:

(1) تنوع الأساليب الدعوية.

(2) الداعية أسوة للمدعوين.

(3) استعمال الأنبياء لأسلوب الجدل في الدعوة.

(4) الحكمة من نعم الله على المسلم.

س2: علّل ما يأتي:

(1) تؤثر عزلة الداعية عن مجتمعه (سلبًا) على أدائه الدعوي.

(2) عدم التكلُّف في استعمال الوسائل الدعوية مهم لنجاح الداعية.

(3) توسيع دائرة الوسائل الدعوية ضرورة في العصر الحاضر.

(4) بات الإنترنت من الوسائل المهمة في الدعوة.

(5) يذهب الداعية للمدعو ولا ينتظر مجيئه إليه.

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1- الوسائل الدعوية توقيفية ولا يجوز التجديد فيها. ( )

2- الإعداد الأخلاقي للداعية من أسباب نجاح الدعوة في كل العصور. ( )

3- يستفيد الداعية من فنون القول المختلفة في الموقف الدعوي الواحد. ( )

4- الجدال لا يكون إلا مع المعارضين للدعوة. ( )

5- الأسلوب الدعوي واحد مهما اختلفت أنواع المدعوين. ( )

ثالثاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

ضع دائرة حول رقم الخيار المناسب في كل مما يأتي:

1- استعمل الرسول ﷺ في دعوة الملوك والرؤساء في عصره وسيلة:

أ-سمعية.

ب-بصرية.

جـ-بصرية سمعية.

2- يتوقف تحقق نجاح الداعي في دعوته على:

أ-أدائه للبلاغ المبين.

ب-إسلام المدعوين له.

جـ-قلة المعارضين لدعوته.

د-هلاك المخالفين له.

النشـــاط التعـليمي

عزيزي الدارس: [1]

1- اكتب بحثا -فيما لا يزيد عن خمس صفحات-عن إعداد الداعية في الوقت الحاضر مبينًا المؤسسات المخولة بإعداد الداعية. (نشاط فردي)

2- للدعوة الإسلامية وسائل قديمة معروفة وأخرى حديثة قارن بين الوسائل القديمة والحديثة من حيث الخصائص والمميزات. (نشاط جماعي)

3- من خلال دراستك لأساليب الدعوة برأيك ما أهم الأساليب التي تتناسب مع الملحدين ومع العصاة من المسلمين ولماذا؟ (نشاط فردي)

4- اعقد مجموعة نقاش مع الزملاء تتناقشون فيها حول كيفية استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة في الدعوة بين الشباب. (نشاط جماعي)

(1) توجد أنشطة إضافية للفصل بالملحقات.

مصادر ومراجع إثرائية

عزيزي الدراس:

للتوسع حول موضوعات هذا الفصل يمكنك الرجوع للمصادر العلمية الآتية:

- أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان.
- الوسائل الدعوية بين التوقيف والاجتهاد، لأبي يزيد سليم بن صفية المدني الجزائري، منتديات تَبِسَّة الإسلامية، ورابطه: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=213080
- قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية مصطفى بن كرامة الله مخدوم.
- التخطيط الدعوي دراسة تأصيلية، عبد المولى الطاهر المكي.
- الخطابة وإعداد الخطيب د. عبد الجليل شلبي.
- تذكرة الدعاة، البهي الخولي.
- ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوي.
- صفات الداعية النفسية د. عبد الله ناصح علوان.
- هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ.
- وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مجلة دراسات دعوية، ورابطها: http://investigate-islam.com/al5las/showthread.php?t=4140
- الإنترنت في خدمة الإسلام، عبد المنعم حسن النهدي.
- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني.
- الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، د. أحمد غلوش.

الفصل الثالث

مناهج الدعوة إلى الله تعالى

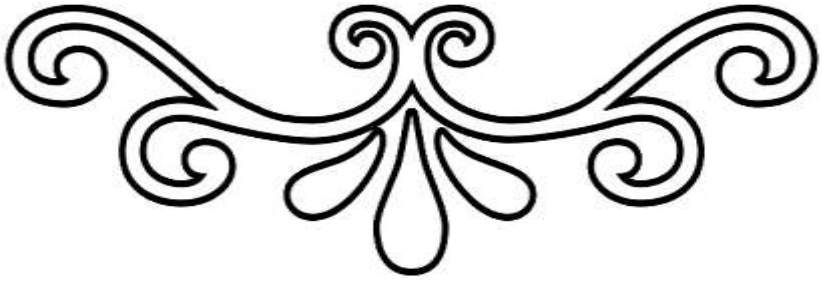

خارطة الفصل الثالث: مناهج الدعوة

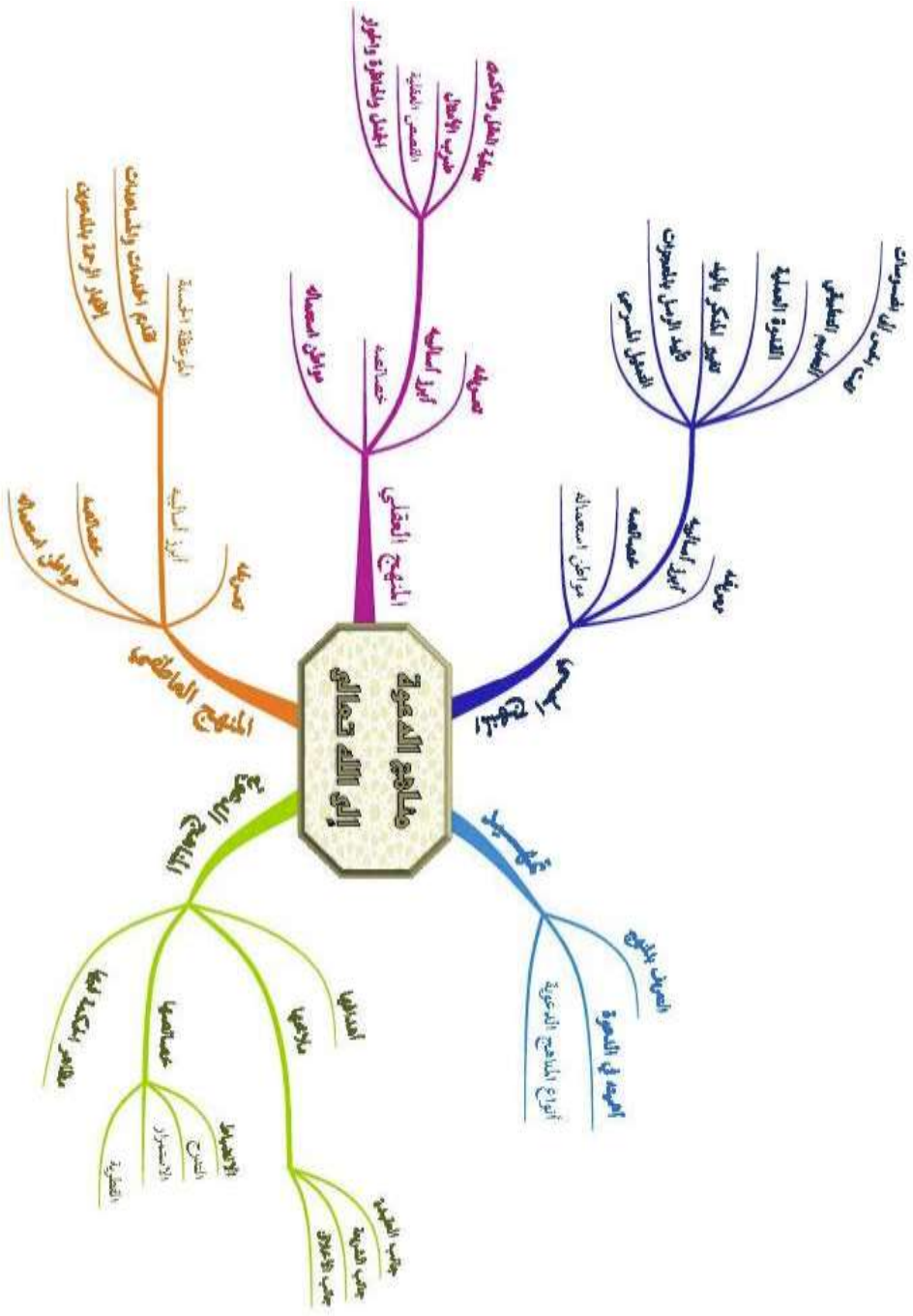

محتويات الفصل الثالث

التمهيد وفيه:

التعريف بالمنهج وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الأول:

أهداف المناهج الدعوية وخصائصها ومظاهر الحكمة فيها.

المبحث الثاني:

المنهج العاطفي (تعريفه-أبرز أساليبه وصوره-خصائصه-مواطن استعماله)

المبحث الثالث:

المنهج العقلي (تعريفه-أبرز أساليبه وصوره-خصائصه-مواطن استعماله)

المبحث الرابع:

المنهج الحِسِّي (تعريفه-أبرز أساليبه وصوره-خصائصه-مواطن استعماله)

أهمية دراسة الفصل الثالث:

تكمن أهمية دراسة هذا الفصل في معرفة المناهج الدعوية وأهميتها في الدعوة إلى الله-تعالى-والوقوف على أبرز أساليبها، وإدراك تنوع أشكالها وصورها، واستيعاب خصائها، ومواطن استعمالها، والتمكن من تطبيقها في واقع حياة المدعوين، من أهم ما يصبو إليه الداعية وهو في طريق دعوته؛ حتى يستبين له الطريق، وتتضحَ معالمه، وتثمر دعوته في البيئة التي يتواجد فيها.

الأهداف التعليمية:

يُرجى منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذا الموضوع:

1ـ أن تتعرف حاجة الدعاة اليوم إلى الإلمام الجيد بمناهج الدعوة، وطرق إيصالها إلى المدعوين.

2ـ أن تدرك أهمية هذه المناهج الدعوية، وكيفية استخدامها في الدعوة إلى الله تعالى.

3 ـ أن تتبين خصائص كل منهج منها، ومواطن استعماله.

4- أن تطبق هذه المناهج الدعوية عمليًّا بوعيٍ وإدراكٍ في المجتمع الذي تعيش فيه.

بين يدي الفصل:

يتناول هذا الفصل بيان مناهج الدعوة، والتي من خلالها يخاطب الداعية من يدعوهم إلى الله تعالى، مُحَرِّكًا لوجدانهم ومشاعرهم، أو مخاطبًا لعقولهم محاولًا إقناعهم بما يدعوهم إليه، أو لافتًا لأنظارهم إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحال أو الأمر من خلال القدوة الحسنة، وتمثيل الأدوار. وهذه من ركائز الفطرة الإنسانية التي خُلِقَ الإنسانُ مزودًا بها؛ حتى تتحقق رسالته في الحياة.

وهذه المناهج -على تنوعها في لفت انتباه المدعو، وحثه على تحقيق الهدف الدعوي المراد-لها من الأساليب والأشكال الكثير الذي يساعد الداعية على ذلك. ولها مواطن ومواقف وأحوال يجدر بالدعاة مراعاتها، حتى يتحقق مظهر الحكمة الدعوية من خلال تطبيقها في الواقع الدعوي المعيش.

الفصل الثالث: مناهج الدعوة إلى الله تعالى

تمهيد: المنهج تعريفه وأهميته

(أ) المنهج في اللغة

بالنظر في قواميس اللغة لكلمة (منهج) نجد أنها تدل على الطريق الواضح البَيِّنِ المستقيم.

قال ابن فارس: (النون والهاء والجيم، أصلان متباينان. الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج...)[1].

(ب) المنهج في الاصطلاح

من خلال التعريف اللُّغَوِيِّ للمنهج، يمكن القول بأنه: هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مَسْلَكَ الفرد أو المجتمع أو الأمة؛ لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم.

ومن خلال الاستقراء في المناهج عامة نجد أنها قسمان: صحيحة وفاسدة، والذي يعنينا هنا: الأول، وهو المنهج الذي يَتَّخِذُ من الكتاب والسُّنَّة أصولًا يعتمد عليها، وهذا هو محور الحديث عن المنهج الذي نريده.

(جـ) المنهج الدعوي

سبق وأن عُرِّفَ المنهج في اللغة بأنه: الطريق الواضح البَيِّن. وهذه الدلالة اللُّغَوِيَّةُ تعني: وضوح الخُطة، واشتمال الطريق على كل ما تحتاجه الحركة خلاله، فهو طريق شامل لخطة متكاملة، ومن ثمَّ كانت الخُطَّة المتكاملة ضرورة في أي نظام تام. وتُعْرَفُ هذه الخُطَّة بالمنهج، فيقال: منهج التعليم، ومنهج الحُكم، ومنهج القضاء،.... وهكذا.

---

(1)معجم مقاييس اللغة. ابن فارس. مرجع سابق. (كتاب: النون. باب: النون والهاء وما يثلثها.) 5/ 361.

وبناءً على هذا المفهوم اللُّغوي للمنهج فقد عُرِّفَ المنهج الدعوي بأنه: الخُطَّة الشاملة الموضوعة لتحديد أُطُرِ أيِّ نظامٍ. ومنهج الدعوة يعني: الأُطُر الموضوعة المُحَدِّدَة لمسار حركة الدعوة بكل جزئياتها، فهو نظريَّةٌ متكاملة تتناول كافة جوانب عملية الدعوة، وبها تتحدَّد وظائف كل جانبٍ، وطريقة القيام بدوره في الدعوة إلى الله تعالى. وهذه الجوانب تتمثل في الآتي:

1. مضمون فكري هو الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.
2. أسلوب يحتوي على الفكرة، ويتحرك بها ويوصلها إلى مَنْ يستقبلها من الناس.
3. أدوات تحمل الأسلوب بمضمونه ومحتواه (الوسائل)
4. شخصية عاقلة مُدرِكة تجمع الأجزاء المذكورة في صورة حسنة مقبولة؛ لِتَصِلَ بها إلى المدعوين رجاء إيمانهم وهدايتهم.
5. أناسٌ يتوجه إليهم الدعاة بالفكرة واضحة، مقنِعة، بأسلوب مناسب، وأدوات ملائمة؛ رجاء تحقيق ما تريده الدعوة منهم.

هذه الجوانب هي علوم للدعوة إلى الله تعالى، يجب الاهتمام بها من قِبَلِ المتخصصين في المجال الدعوي، وذلك بوضع القواعد، وإعداد الدراسات التي يحتاجها كل علم منها. ومنهج الدعوة هو الخطة الكلية، والنظام العام الذي يُحَدِّد الإطار لكل هذه الجوانب، ولسائر هذه العلوم وينسق بينها، لتتكامل وتترابط، وتحقق للدعوة ما يُراد منها على الوجه الصحيح.

وخلاصة القول أنَّ المنهج الدعوي هو: الخُطَّة المرسومة للدعوة، والنظام الموضوع، والمُحَدَّدِ ليسير عليه الداعية في معالجة الأحوال والمواقف، بقواعد واضحة، ومعالم محدَّدة؛ لتحقيق هدف معيَّنٍ، والوصول إلى غايةٍ مُحَدّدَةٍ.[1]

(1) مناهج الدعوة إلى الله. جلال سعد البشَّار (د. ت. ط) ص 29. وانظر: المدخل إلى علم الدعوة. ص 46. مرجع سابق.

ومنهج الدعوة ربانيٌّ كله يمكن أخْذه من تعاليم الإسلام المُوحَى بها، من كافة جوانبه؛ لأنَّ الجوانب الثابتة مثل: موضوع الدعوة وغايتها، ثابتة مفصَّلة في أغلبها.

أمَّا الجوانب غير الثابتة كالوسائل والأساليب، وصفات القائم بالدعوة، وأحوال المدعوين، فإن تعاليم الإسلام تضع لها الأسس والشروط، وتترك التفاصيل فيها للاجتهاد والبحث وما تقتضيه الضرورة والواقع.

ومنهج الدعوة ليس هو الحركة بالدعوة فقط؛ لأنَّ الحركة تعني: الصورة العملية التي تظهر حين يقوم الرُّسُلُ والدعاة بتبليغ دين الله للناس، والمنهج أعَمُّ من ذلك.[1]

(د) أهمية المنهج ودواعي العناية به

قضية المنهج قضية مهمة للغاية، لا سيما في النواحي العلمية. وقد ذخر التاريخ الإسلامي بكوكبة من العلماء ما أعظمهم قدرًا وأكبرهم أثرًا وأوضحهم منهجًا، كما واجهت الساحة العلمية عبر التاريخ مشكلات عديدة كان من أخطرها غياب المنهج الصحيح، أو عدم وضوحه للمتلقين. ونستطيع أن نستخلص أهمية المنهج ودواعي العناية به من خلال النقاط الآتية:

- السير العلمي بخطوات سليمة متسمة بالوضوح والبيان.
- اختصار الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة والهدف المرسوم.
- أنه ضمان بإذن الله من التعثر والعقبات التي تحول دون الوصول إلى المقصود.
- تحقيق النفع المنشود والأثر المعقود.
- التزود بأهم رصيد في حياة العلماء، وما هو أهم من مجرد المعلومات، ألا وهو قضية المنهج القويم؛ لنسير على مسارهم الصحيح.

(1) الدعوة الإسلامية أصولها-وسائلها-أساليبها في القرآن الكريم. ص: 58-59 بتصرف. مرجع سابق.

(هـ) الآثار الإيجابية والسلبية في قضية المنهج

من خلال ما سبق في ذكر أهمية المنهج تبرز أهم الآثار الإيجابية لتطبيق المنهج، وهي:

1. ضمان المسيرة الصحيحة على ضوء ركائز قويمة.

2. التميز بالوضوح والبيان.

3. تحقق المنافع المقصودة.

4. السلامة من المضار والتعثر والعقبات.

5. الوصول إلى المراد بأقصر طريق وأيسر سبيل.

... تلك أهم الآثار الإيجابية التي تتحقق من خلال الالتزام بالمنهج الصحيح.

★★ أما ترك المنهج وإهماله فينتج عنه آثار سلبية من أهمها:

1. السير بلا خطوات هادية للمراد تحقيقه.

2. الوقوع في التخبط والتعثر والعوائق المانعة من الوصول إلى الهدف المنشود.

3. حصول الغموض والتناقض عند المتلقين فتحدث الحَيْرَةُ ويَتَعَسَّرُ الفهم.

4. طول الطريق واكتنافه[1] بالعقبات.

5. النفور من العلم وأهله والأخذ والتلقي من غيرهم.

6. التخبط العلمي والفوضى الفكرية وما ينبني عليها من نتائج ضارة وأفكار منحرفة تعود على المجتمع والأمة بالسلبيات المتعددة والأضرار الخطيرة.

هذه أهم الآثار السلبية لتجاهل قضية المنهج وعدم التزامها مما يؤكد العناية بها وضرورة الاهتمام بتحقيقها.

والمستقرئ لحال العلماء رحمهم الله في التاريخ القديم والمعاصر يجد أن للعلماء

---

(1) اِكْتَنَفَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: أَحَاطَ بِهِ. وسَادَهُ من كل جانب.

المشهورين أصولا راسخة ومنهجًا واضحًا بَنَوْا عليه مذاهبهم، فتحقق الأثر والنفع من علومهم ومعارفهم. ولا أدل على ذلك من منهج الأئمة الأربعة رحمهم الله.

والملاحظ: أنه بقدر الاهتمام بالمنهج، يهيئ اللهُ القبولَ للعالِمِ والاستفادة منه.

★★★ ★★★

وتتنوع المناهج الدعوية من حيث ركائزها تبعًا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: القلب، والعقل والحِسّ.

- فالمنهج الذي يرتكز على القلب يسمى المنهج العاطفي.
- والمنهج الذي يرتكز على العقل يسمى المنهج العقلي.
- والمنهج الذي يرتكز على الحِس يسمى المنهج الحسي أو التجريبي.

ومن الملاحظ أنه يصعب الفصل بين هذه المناهج الثلاثة فصلًا تامًا؛ نظرًا لتلازم وترابط الركائز الفطرية في النفس البشرية، ولكن قد يغلب منهج على آخر وذلك حسب استخدامه وملاءمته للمدعوين. والداعية مطالب أن يتخير المنهج الأنسب لمقتضى الحال بهدف تغليبه على بقية المناهج، دون أن يعني ذلك إسقاط المناهج الأخرى.

وبقي أن نشير هنا أن بعض الباحثين مثل: الدكتور علي جريشة، جعل منهجًا جديدًا أسماه المنهج **الفطري**[1].

هذا، ولَمَّا كان القلب والعقل والحس **يرتكز كلٌّ منها على الفطرة** فإنه ليس سائغًا أن نفصل المنهج الفطري عن تلك المناهج الثلاثة[2].

---

(1) انظر: مناهج الدعوة وأساليبها. علي جريشة (ط:1، دار الوفاء-المنصورة، 1407هـ-1986م) ص: 28-37.

(2) انظر: المدخل إلى علم الدعوة. ص 219. مرجع سابق.

أنواع المناهج الدعوية

(أ) من حيث واضعها أو مصدرها الذي تنتمي إليه تنقسم إلى:

مناهج ربانية: (وضعها الشارع الحكيم للدعوة عن طريق الكتاب والسنَّة، وهي معصومة، وهي أصل للمناهج كلها).

مناهج بشرية: (وضعها العلماء المتخصصون والدعاة باجتهادهم في جوانب الدعوة المختلفة، تطبيقًا للمناهج الربانية، واعتمادً ا عليها، بما يتناسب مع الزمان والمكان، وبيئة المدعوين).

(ب) من حيث موضوعاتها التي تتناولها تتنوع إلى:

مناهج عقدية، عبادية، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية.... إلخ، ولكل جانب منها خطط ونظم يضعُها الدعاة في ضوء المناهج الربانية، والأحكام الشرعية.

(جـ) من حيث طبيعتها تنقسم إلى:

-مناهج دعوية خاصة (فردية)

-مناهج دعوية عامة (جماعية)

-مناهج نظرية.

-مناهج تطبيقية.

(د) المناهج الدعوية من حيث الركائز التي ترتكز عليها (تبعًا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية). وتنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

-المنهج العاطفي

- المنهج العقلي

ـ المنهج الحِسِّي أو (التجريبي)

المبحث الأول: أهداف المناهج الدعوية وأهم خصائصها

الهدف الدعوي هو: المطلب الذي يُوَجِّهُ إليه الدعاة قصدَهم، والغايةُ التي يَسْعَوْن من أجلها. وتنقسم الأهداف الدعوية إلى قسميْن هما:

أهداف خاصة، مثل: الغاية التي شرعت من أجلها العبادات (الصلاة الصيام. إلخ).

أهداف عامة (**مجملة**، ومفصلة)

الأهداف المجملة وتتمثل في: تحقيق مرضات الله تعالى على جميع المستويات، وفي جميع الميادين.

الأهداف المفصلة: مثل:

- إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى.
- بناء الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم.

أهمية تحديد الأهداف الدعوية

تظهر هذه الأهمية من خلال الآتي:

- عدم الانحراف عن طريق الدعوة الصحيح.
- الوضوح في أسلوب العمل.
- الاستمرارية في الدعوة.

وليس من الحكمة ـ دائمًا ـ أن يُصَرِّحَ الدعاة بأهدافهم التفصيلية المحدَّدَة، كما تقتضي الحكمة أحيانًا التصريح بها، وعلى الداعية أن يختار لكل موقف ما يناسبه.

الملامح العامة للمناهج الدعوية

تشمل هذه الملامح موضوع الدعوة وهو الإسلام-عقيدة وشريعة، وأخلاقًا- وبيانها كما يلي:

أولاً: في جانب العقيدة

- تقرير مبدأ العقيدة الصحيحة بمنهاجٍ واضحٍ بعيدٍ عن التعقيدات الفلسفية، وأساليب علماء الكلام.
- توضيح أركان الإيمان السِّتَّة، والوقوف على حقيقة الإنسان، وحقيقة هذا العالم بمرتكزاته.
- تثبيت هذه الأركان في النفوس.
- إبطال جميع العقائد الفاسدة المخالفة لها.

ثانيًا: في جانب الشريعة

- تقرير منهج توقيفي[1] للعبادات.
- إقرار مالا يتعارض مع مقاصد الشريعة أو يُحدثُ مفسدةً.
- وضعُ أصولٍ وقواعدَ عامةً لأحكام الشريعة، وفسح المجال للاجتهاد والتطبيقات.

ثالثا: في جانب الأخلاق

- بيان الأخلاق الكريمة والدعوة إليها، (الدعوة لتحسين الأخلاق).
- بيان الأخلاق المذمومة والتحذير منها، والدعوة إلى اجتنابها.
- وضع ضوابط ومعايير ثابتة للأخلاق.

الخصائص العامة للمناهج الدعوية.

تتمثل هذه الخصائص في الآتي:

- الانضباط. (الالتزام بالأحكام الشرعية).
- التدرج. (تناسب المناهج مع مَنْ وُضِعَتْ لهم).

---

(1) توقيفي: أي موقوف تشريعه على الوحي فقط، لا مجال للاجتهاد فيه.

○ الاستمرار. (لا تتوقف في أي مرحلة من مراحل الدعوة، أو في أي مستوىً من مستويات الدعاة).

○ الفِطْرِيَّة. (التبسيط وعدم التعقيد).

من مظاهر الحكمة في المناهج الدعوية

الحكمة-كما سبق بيانه-تعني: وضع كل شيء في مكانه المناسب. ومن مظاهر الحكمة في المناهج الدعوية ما يلي:

○ اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة، فقد يصلح لوقت من الأوقات، أو في حال من الأحوال، أو لمعالجة موقف من المواقف منهجٌ لا يصلح غيره. ومن ثم فلا بد من اختيار المنهج العاطفي للموقف العاطفي، والمنهج العقلي للموقف الجدلي، والمنهج الحسي للموقف التجريبي. يرى الداعية ذلك واضحًا في استخدام النبي ﷺ كُلًا من المنهج العاطفي والمنهج العقلي معًا مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الترخيص له بالزنا.

○ مناسبة المنهج الدعوي لمختلف أعمار المدعوين، ولجميع مستوياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية،... الخ.

○ ترتيب الأولويات في الخطة الدعوية الموضوعة، والتدرج في تطبيقها (مثل: معالجة الأوضاع العامة، ثم معالجة أوضاع المدعوين، وهكذا...)

المبحث الثاني: المنهج العاطفي [1]

يعد المنهج العاطفي من أبرز المناهج الدعوية لكونه يخاطب العاطفة ويستثيرها والتي محلها القلب الذي إذا صَلُح صلح الجسد كله وإذا فسدَ فسد الجسد كله.

عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[2].

وقد سمي القلب قلبًا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبًا، وقد خص القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه[3]، والقلب يمكن أن تعتريه الغفلة والنوم، لذا على الداعية أن يقوم بإيقاظه عبر المنهج العاطفي الذي يختص بذلك.

وعليه فإن المنهج العاطفي هو «مجموع أساليب الدعوة التي ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان». ويمكن تفصيل الحديث عن المنهج العاطفي من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: أبرز أساليب المنهج العاطفي

للمنهج العاطفي أساليب متعددة يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولا: أسلوب الموعظة الحسنة

وهذا الأسلوب نص عليه القرآن الكريم نصًا صريحًا وأمر باستخدامه، حيث قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥

---

(1) انظر: المدخل إلى علم الدعوة. ص 204 وما بعدها. مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري. كتاب: الإيمان. باب: فضل من استبرأ لدينه. 1/ 28. رقم:50. مرجع سابق.

(3) فتح الباري لابن حجر، 1/ 128، بتصرف يسير.

أشكال هذا الأسلوب كثيرة منها:

1. الخطابة

وذلك عندما يخاطب الخطيب القلوب ويستثير العواطف، وإذا كانت الخطابة كلامًا منثورًا يشافه به الجمهور بقصد الإقناع والتأثير، فإن هذا يعني أنها ترتكز على منهجين، وهما:

أ. المنهج العقلي ومن خلاله يتعين على الخطيب أن يرتكز عليه في خطبته، فهو أعمق أثرًا، فضلًا عن تنوع واختلاف مشارب الناس وثقافتهم، وسيأتي لاحقًا تفصيل الحديث عن هذا المنهج.

ب. المنهج العاطفي وهو ما نحن بصدده، إذ ينبغي لكي يكون الخطاب مؤثرًا أن يعمد إلى **تهييج القلوب والمشاعر وفق مقتضيات** هذا المنهج العاطفي، على ألا يكون الخطاب عاطفيًا مجردًا، ولا عقليًا محضًا، بل على الخطيب أن يوازن بين المنهجين بما يحقق المصلحة والفائدة، وبما يتناسب مع الجمهور.

ومن بين هذه الخطب العاطفية المؤثرة، ما جاء في **آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز** ﷺ فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «أما بعد: أيها الناس إنكم لم تُخْلَقُوا عبثًا، ولن تتركوا سُدى، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم، فخاب وخسر وشقي عبد أخرجه الله من رحمته، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حذر هذا اليوم وخافه، وباع نافدًا بباقٍ، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين، وسيكون من بعدكم الباقين، حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله عز وجل، قد قضى نحبه وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممهد ولا موسد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء

مواثيقه، ونزول الموت بكم، ثم جعل طرف ردائه على وجهه، فبكى وأبكى من حوله»[1].

2. التذكير بنعمة الله على عبده المستوجبة شكره

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ البقرة: ٤٠ - ٤١

يقول تعالى آمرًا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه الصلاة والسلام من خلال تهييج عواطفهم، بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام وتقديره يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن الشجاع بارز الأبطال، يا ابن العالم اطلب العلم، ونحو ذلك، كما ذكرهم بأنعم أخرى كذلك، فقد فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم من عبودية آل فرعون، وجعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم أمرهم بالوفاء بعهد الله، وهو الالتزام بدين الإسلام وأن يتبعوه كي يرضى عنهم ويدخلهم الجنة، ثم انتقل بهم إلى الترهيب، فقال: ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾، فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون إلى الحق، واتباع الرسول ﷺ، والاتعاظ بالقرآن وزواجره، وامتثال أوامره، وتصديق أخباره، وحذرهم من الكفر بمحمد ﷺ والقرآن[2]؛ لأن من لم يشكر المنعم يستحق يوم القيامة العقاب والجزاء.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير. 3/ 346، مرجع سابق. وانظر: العاقبة في ذكر الموت. عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد، تحقيق: خضر محمد خضر. (ط: 1. مكتبة دار الأقصى- الكويت، 1406 هـ-1986م) ص: 84-85.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، 1/ 121. مرجع سابق.

3. مدح المدعو، أو ذمه بغية الصلاح والإصلاح

إن هدف الداعية من عملية المدح للمدعو هو أن يستحثه على فعل الطاعة ويشجعه عليها، أما إذا قام بذمه فلا يقصد بذلك الانتقاص من قدر المدعو والحط من مكانته بين الناس، وإنما تنفيره من المعصية وإبعاده عن الخطأ الذي فعل.

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين رأى رؤيا فقصها على حفصة، فَقَصَّتْهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»[1].

4. الترغيب والترهيب

إن النفس البشرية تميل إلى الرغائب والحوافز، في حين تكره العقوبة والحرمان، وما خلق الجنة والنار ثوابًا للطائعين أو عقوبة للعاصين، إلا تساوقًا مع هذا الميل، لذا استخدم النبي ﷺ الترغيب والترهيب لدفع الناس نحو الطاعة، وإبعادهم عن المعصية، ومن ذلك:

أ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»[2]

ب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ

(1) صحيح البخاري. كتاب: الجمعة. باب: فضل قيام الليل، 1/ 378. رقم: (1054) مرجع سابق.

(2) صحيح مسلم. كتاب: الإمارة. باب: ثبوت الجنة للشهيد. رقم: (3520) مرجع سابق.

وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»[1].

5. الوعد بالنصر والتمكين

و من ذلك ذكر الداعية لمن يدعوهم بأن الله ناصرٌ الحق وأهله ـ إن هم استجابوا لأمره ـ ومُظْهِرٌ دينه على الدين كله رغم مكر الماكرين، ومحاربة المعتدين له، ولأتباعه، ويذكر لهم من الأحاديث والآيات ما يطمئن قلوبهم، ويقوي عزائمهم، ويثبت أقدامهم، مستدلًّا بمثل الأدلة التالية من الكتاب والسُّنَّة: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ التوبة: ٣٣، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ النور: ٥٥

(1) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق. باب: قوله عز وجل: إن زلزلة الساعة شيء عظيم. 5/ 2392. رقم: (6049) مرجع سابق.

ومن السُّنَّة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» [1].

وما روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته فكتبت إليه بهذا الحديث أُذَكِّرُهُ إياه فقلت له إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين يعني عمر بعد الملك العاض والجبرية فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فَسُرَّ به وأعجبه» [2]

6. ذكر القصص العاطفية المؤثرة

لقد برز دور القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية في ترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة لدى أبناء المجتمع المسلم بشكل لا يخفى على ذي لب، لذا ينبغي أن يتزود الداعية بزاد من القصص العاطفية المؤثرة والمناسبة، كي يدعم بها قوله إذا أراد تهييج المشاعر تجاه أمر معين، فإن أراد حث الناس على الصدقة وترغيبهم فيها وإن وقعت في يد

---

(1) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب (ط: 2، دار ابن حزم- بيروت، 2002م) 3/ 175.

(2) مسند أحمد (30/ 355 حديث 18406)، وانظر: المعجم الأوسط. للطبراني (6577). وسند أحمد حَسَنٌ ففيه داود بن إبراهيم الواسطي روى عنه الطيالسي ووثقه وذكره ابن حبان في الثقات. وقال عنه الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات. مرجع سابق.

غير أهلها شريطة الإخلاص، والاجتهاد في إيصالها للمحتاجين، فعليه أن يقص عليهم مشهد المتصدق على زانية ثم على سارق ثم غني، ومع ذلك بشره النبي ﷺ بالقبول، فضلًا عن طمأنته بأن عمله الخير قد يكون سببًا في إصلاح من تصدق عليهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»[1].

قال ابن حجر: «وفيه أن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته ولو لم تقع الموقع»[2].

وما قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين ثم أتمها بالمائة، ثم تاب فتاب الله عليه إلا نموذج لاستخدام النبي ﷺ للقصة العاطفية الواقعية، والتي تهدف إلى تحفيز العصاة للتوبة والإنابة إلى الله تعالى، مهما عظم ذنبهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَهُ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا

(1) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها2/ 709. رقم: (1698)، مرجع سابق.

(2) فتح الباري، 3/ 21. مرجع سابق.

فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ»[1].

ثانيًا: إظهار الرحمة والرأفة بالمدعوين

وما خرج من القلب وقع في القلب، وذلك بالكلمة الطيبة مثل المناداة: «يا أبت، ويا بني، ويا قوم» وغيرها من الألفاظ التي تستميل القلب وتؤثر في النفس وقد ذكرها القرآن الكريم كثيرًا. أو أن يتوجه الداعي إلى المدعو بالقول إني أحبك، أو يشاركه في موقف وجداني يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩

ثالثًا: قضاء الحاجات وتقديم المساعدات وتأمين الخدمات

وذلك بحسب الحاجة، والمساعدة مادية كانت أو معنوية، قليلة كانت أو كثيرة، وذلك له الأثر الواضح في نفسية المدعو.

المطلب الثاني: مواطن استعمال المنهج العاطفي

يستعمل المنهج العاطفي في حالات متعددة، ومواطن متنوعة، يحسن بالداعية أن يتعرف عليها ليتمكن من استخدامها وهي:

أولًا: حالة دعوة الجاهل، لأن الجاهل بحاجة إلى الرفق والاهتمام به، وتعليمه وترغيبه بالمفيد ووعده بالخير وإبعاده عن الشر، ولنا في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد العبرة في أسلوب دعوة الجاهل وكيفية التعامل معه وتعليمه وترغيبه في الإسلام وعدم تنفيره.

ثانيًا: حالة دعوة من تجهل حاله، ولا يعرف مستوى إيمانه قوة أو ضعفًا، فيعمل الداعية على كشف حاله باستثارة عواطفه وكوامن نفسه، ليحدد حاجته، ويختار الأسلوب الذي يناسبه.

---

(1) صحيح البخاري. كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: أحاديث الغار، 3/ 1280. رقم: (3211) مرجع سابق.

ثالثا: في دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال، واليتامى والمساكين والمرضى والمصابين وغير ذلك.

رابعًا: دعوة الأقارب بعضهم بعضًا مثل دعوة الآباء للأبناء، ودعوة الأبناء للآباء، ودعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء فيما بينهم، وقد حدثنا القرآن الكريم كيف كان يخاطب إبراهيم عليه السلام أبيه بقوله له: (يا أبت) وقول نوح عليه السلام لابنه (يا بني).

خامسًا: في مواطن ضعف الدعوة، والشدة على المدعوين؛ ليحرك الداعية مشاعر المعادين، ويستميل قلوبهم لدعوته، فيستجيبوا له، أو يخفف من شدتهم وبطشهم، وذلك كما حدث مع الرسولﷺ في مكة قبل الهجرة.

المطلب الثالث: خصائص المنهج العاطفي

للمنهج العاطفي خصائص تخصه وتتناسب مع طبيعته وأهدافه، ومن ذلك:

أولًا-لطف أسلوبه وذلك لاختيار العبارات المؤثرة في عاطفة المدعو.

ثانيًا-سرعة تأثر المدعوين به، واستجابتهم لمن يحسن استخدامه، ولو نظرنا إلى إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما لوجدنا أن استثارة العاطفة لهما كان السبب في إسلامهما.

ثالثًا-تخفيف وطأة العدو أو المخالف ورفع أذاه.

رابعًا-سعة دائرة استعماله، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره وأسرع تأثيرًا في كثير من الناس.

المبحث الثالث: المنهج العقلي

لقد اهتم القرآن الكريم بالعقل كثيرًا حيث تواردت النصوص التي تحض على التفكير، وتذم الذيـن يعطلون عقولهم عما خلقت من أجله من تفكر سليم وعقل صحيح، حيث قال تعالـى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ الأنفال: ٢٢ وقال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١

تعريفه «هو النظام الدعوي ومجموع أساليبه التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار».

المطلب الأول: أبرز أساليب المنهج العقلي

ومن أبرز أساليب المنهج العقلي التي يمكن أن يستخدمها الدعاة:

أولًا: مخاطبة العقل ومحاكماته[1]

وذلك باستخدام الأقيسة بجميع أشكالها ومن ذلك:

1. قياس الأوْلى ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ التوبة: ١٣

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ الإسراء: ٢٣

.. ومن باب الأَوْلى ترك الضرب لهما، قياسًا على عدم التأفف.

---

(1) المحاكمات العقلية: هي مهارات عقلية حقيقة تكتسب من خلال المحاورة والمناقشة، والحديث في قضايا متنوعة يتم فيها تبادل الآراء، وتحكيم العقل فيها، خاصة إذا لم يَرِدْ فيها نَصٌّ شَرْعِيٌّ حاكم، أو كان الحديث فيها مع غير مسلم. فهو مصطلح غير جديد.

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة، لما قال له الصحابي الجليل معاوية بن حيدة: «يَا نَبِيَّ الله إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»[1].

2. **القياس المساوي** ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ النساء: ١٠ وكذلك فإنَّ حَرْقَ ماله مساوٍ لأكله.

ومنه قول النبي ﷺ للشاب الذي استأذنه بالزنا: «قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَالله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»[2].

3. **قياس الخَلْف(العكس)** ومنه قول الله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء: ٢٢

وقوله ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا»[3].

4. **القياس الضمني ومنه** قوله ﷺ في الصائم: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ»[4]. فقاس ضمنًا الصائم الذي أكل وشرب ناسيًا مع الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب في صحة صيامه وذلك بسبب النسيان.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب: الأدب عن رسول الله. باب: ما جاء في حفظ العورة. 5/ 110. رقم الحديث (2718) وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(2) مسند أحمد. 5/ 256، المعجم الكبير للطبراني. 8/ 162، 183، شعب الإيمان للبيهقي: 4/ 362 (5415)، قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/ 592: رواه أحمد بإسناد جيد، ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/ 129: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 712 (370).

(3) صحيح مسلم. كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة...، 2/ 697. رقم: (1674)

(4) صحيح مسلم. كتاب: الصيام، باب: أكل الناسي...، 2/ 809. رقم: (1952)

ثانيًا: ضرب الأمثال

ذكر القرآن الكريم الأمثلة بأنواعها صريحة كانت أو كامنة أو أمثالًا سائرة، وكذلك السنة النبوية من أجل مخاطبة العقل والتأثير فيه ومن ذلك:

☜ الأمثال الصريحة

أ-قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ البقرة: ١٧ - ١٨

يقول ابن كثير: «وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد»[1].

ب. قوله ﷺ فيما رواه عنه النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[2]. وغير ذلك من أمثلة صُرِّحَ فيها بلفظ المثل أو بما يدل على التشبيه.

ومن الأمثال الكامنة الحديث الذي رواه أبو ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ

(1) تفسير القرآن العظيم، 1/ 83. مرجع سابق.

(2) صحيح البخاري. كتاب: الشركة. باب: هل يقرع في القسمة...، 2/ 882. رقم: (2313) مرجع سابق.

فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام مِنْ عُنُقِهِ»[1].

قال الخطابي: «الربقة ما يجعل في عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد»[2].

وعليه يكون المعنى: أن من فارق الجماعة في الأمر المجمع عليه، فقد ضل وهلك، وكان كالدابة التي خلعت الطوق الذي يمسكها والتي هي محفوظة به، فإنه لا يؤمن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع.

- ومن الأمثال السائرة: قوله ﷺ : «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله الْجَنَّةُ»[3]. أي من خاف البيات والإغارة من العدو وقت السحر أدلج-بالتخفيف-أي سار أول الليل، وبالتشديد من آخره ومن فعل ذلك وصل إلى مطلبه[4].

قال الطيبي رحمه الله: «هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه، ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب، وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بأدنى سعى»[5].

وقد أثر عن كبار العلماء استخدامه للأمثال السائرة في توضيح آرائهم وتبسيطها

---

(1) سنن أبي داود. كتاب: السنة. باب: في قتل الخوارج، 2/ 655. رقم: (4131)، قال الألباني: صحيح. مرجع سابق.

(2) عون المعبود على شرح سنن أبي داود. شرف الحق العظيم آبادي أبو عبد الرحمن. تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري (ط:1. دار ابن حزم. 1426هـ- 2005م) 13/ 72.

(3) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق...، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، 4/ 633. رقم: (2374)، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: صحيح.

(4) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي. محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى. تحقيق: رائد بن أبي علفة (بيت الأفكار الدولية. عمان. الأردن. د. ت) 7/ 124.

(5) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

للقراء، ومن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وتلميذه ابن القيم[2].

ثالثًا: القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي

وهذا النوع من القصص يساق من أجل الاعتبار بها، ومن هذا الأسلوب ما قصه القرآن الكريم علينا من قصص الأولين، وما قصه الرسول ﷺ على أصحابه من قصص الأمم السابقة، وهو كثير في السنة النبوية حيث تساق القصة فتصغي إليها الآذان وتميل إليها النفوس وترتاح إليها الأفئدة، وتتأثر بها فيها من عبر وعظات، وتكون من طرق الإقناع والتأثير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١ وقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦

رابعًا: الجدل والمناظرة والحوار

ويعتمد ذلك على العلم والمعرفة فلا يكون جدل أو مناظرة أو حوار بدون العلم والمعرفة المعتمدة على العقل؛ لأن المقصود إقامة الحجة على الخصم وإفحامه إن أمكن، لأن الأصل في أسلوب الجدل أن تكون الحجة واضحة، وأن لا يترك للمجادل حجة يتمسك بها، أو شبهة يستدل بها على باطله، حيث قال الله تعالى عن محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود وإفحامه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ البقرة: ٢٥٨

يقول الإمام ابن تيمية: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم،

(1) انظر: مجموع الفتاوى، 12/ 445، 34/ 129. مرجع سابق.

(2) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، 5/ 416. مرجع سابق

لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[1].

وقد أمر الله باستخدام الجدل فقال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥

كما استخدم الأنبياء الجدل في دعوتهم حيث قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ هود: ٣٢

المطلب الثاني: مواطن استعمالات المنهج العقلي

يستعمل المنهج العقلي في مواطن متعددة منها:

أولًا: في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة، والبديهيات العقلية، مثل قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ الطور: ٣٥ وقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ الأنبياء: ٢٢

ثانيًا: مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوين، لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم.

ثالثًا: مع المنصفين من الناس، البعيدين عن التعصب لآرائهم، والمتجردين من الأغراض الخاصة.

رابعًا: مع المتأثرين بالشبهات، والمخدوعين بالباطل.

مع العلم أن الداعية الفطن واللبيب لا تخفى عليه مواطن استخدام المنهج العقلي لإقناع الناس بدعوته.

---

(1) درء تعارض العقل والنقل. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (ط:1، 1399هـ-1979م، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود) 1/ 357.

المطلب الثالث: خصائص المنهج العقلي

للمنهج العقلي خصائص ومزايا تتمثل في:

أولًا: اعتماده على الاستنتاجات العقلية والقواعد المنطقية والفطرية.

ثانيًا: عمق تأثيره في المدعوين، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار.

ثالثًا: إفحام الخصم المعاند كما حصل مع النمرود.

رابعًا: ضيق دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي؛ لأنه يعتمد ـ غالبًا ـ على المحاكمات والاستنتاجات العقلية، والقواعد المنطقية التي لا يعلمها إلا فئة قليلة من المدعوين وهم العلماء المتخصصون، والمعاندون الذين يتحاكمون إلى العقل والمنطق. ومن ثمَّ يجب على الداعية الحكيم أن يحسن اختيار المنهج المناسب للموقف المناسب.

المبحث الرابع: المنهج الحسي أو (التجريبي)[1]

تعريفه: «هو النظام الدعوي ومجموع أساليبه التي ترتكز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب».

ويطلق على هذا المنهج مصطلح «المنهج العلمي» لاعتماده على العلوم التجريبية إلا أن تسميته بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق.

المطلب الأول: أبرز أساليب المنهج الحسي

للمنهج الحسي أساليب عدة منها:

أولًا: لفتُ الحِسّ إلى التعرف على المحسوسات، للوصول عن طريقها إلى القناعات كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢٣، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣

يقول ابن كثير: «أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًا منزلًا من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية... ودلائل في أنفسهم... ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى»[2].

ثانيًا: أسلوب التعليم التطبيقي على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به،

---

(1) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص214 وما بعدها. مرجع سابق.

(2) تفسير القرآن العظيم، 4/ 133. مرجع سابق.

والمدعو إليه، كما فعل النبي ﷺ في دعوته لتعلم الصلاة، والحج، فقد جاء في الحديث الشريف: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[1]، وجاء أيضًا: «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[2].

ثالثًا: القدوة العملية في تعلم الأخلاق والسلوك، وقد كان النبي ﷺ القدوة العملية للمؤمنين، حيث قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١

كما وُصِف خُلُق الرسول ﷺ بأنه القرآن حيث قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه. عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: «أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[3].

رابعًا: تغيير المنكر باليد، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر، ويُعدُّ هذا الإنكار أقوى درجات الإنكار. كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[4].

والاستطاعة في الحديث تعني التمكن من تغيير المنكر، دون ضر يلحق الداعية، أو يلحق عموم الناس كالفتنة[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر...، 1/ 226. رقم (595)

(2) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي - بيروت، د. ت. ط) 1/ 920، قال الألباني: صحيح. وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة...، 2/ 942. رقم: (2386)

(3) مسند أحمد بن حنبل، كتاب باقي مسند الأنصار، باب باقي المسند السابق، 6/ 163، رقم: (24139) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، 1/ 69. رقم: (70)

(5) انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق. 1/ 1220.

قال العلماء: «الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس»[1].

وقد استخدم النبي ﷺ اليد في تغيير المنكر يوم فتح مكة، حيث حطم الأصنام التي كانت حول الكعبة، بأن طعنها بعود في يده فتساقطت على وجهها.

خامسًا: تأييد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالمعجزات الحسية والخوارق كما حدث مع الرسل السابقين، ومع رسولنا محمد ﷺ، وهو منهج حِسي للإقناع.

ومن ذلك معجزة انشقاق القمر، فقد طلب المشركون من النبي ﷺ آية حسية تدل على صدق دعوته، تسليمًا منهم بأهمية هذا المنهج الحسي في ترسيخ القناعات وتعزيز الإيمان بالشيء المشاهد والمحسوس.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتْ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إِلَى قَوْلِهِ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ يَقُولُ ذَاهِبٌ»[2].

سادسًا: أسلوب التمثيل المسرحي، وعرض بعض الأمور الدعوية على خشبة المسرح، كما أصبح مألوفًا في هذا العصر، وكما هو معتمد في الحفلات الإسلامية، وما يعرض من مسرحيات دعوية، حيث يعد التمثيل الأكثر جذبًا للمشاهدين، وأنجح أسلوب في امتلاك القلوب وأسْرِ الأفئدة، ومن ثم يجب على الدعاة أن يستغلوا التمثيل في دعوة الناس إلى الخير، وتنفيرهم من الشر.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط:2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964م) 4/ 49.

(2) سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله. باب: من سورة القمر، 5/ 397، رقم: (3208) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المطلب الثاني: مواطن استعمالات المنهج الحسي

يستخدم المنهج الحسي في مواطن عديدة ومتنوعة منها:

أولا: غرس المفاهيم الدينية في قلوب المدعوين، ومن ذلك تحقير النبي ﷺ للدنيا من خلال إيقاف نفر من الصحابة على مشهد سخلة ميتة ملقاة، وربط ذلك المشهد الحقير بتفاهة الدنيا وحقارتها على الله، كي تهون في نفوسهم، فيزهدوا في طلبها، ومن ثم تتوجه قلوبهم للآخرة.

عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيِّتَةِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا؟ قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ الله قَالَ: فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا»[1].

ثانيًا: في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقًا وهامًا كانت الحاجة إليه أشد، كما فعل النبي ﷺ في تعليم الوضوء والصلاة والحج وغيرها من العبادات.

وقد استخدم الصحابة الأجلاء المنهج الحسي في تعليم الناس، ومن ذلك تعليم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهم كيفية وضوء النبي ﷺ بأسلوب تطبيقي.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: «رَأَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَاحِدَةً ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَوَضَّأَ رَسُولُ الله ﷺ»[2].

ثالثا: يستخدم في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

---

(1) سنن الترمذي. كتاب: الزهد عن رسول الله. باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله، 4/ 560، قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ الْمُسْتَوْرِدِ حَدِيثٌ حَسَنٌ، رقم: (2243)، وقال الألباني: حديث صحيح.

(2) سنن أبي داود. كتاب: الطهارة. باب: صفة وضوء النبي، 1/ 76، رقم: (100)، قال الألباني: حديث صحيح.

رابعًا: يستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية، والمنكرين للبديهيات العقلية، لأن المعاندين لا تفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام مادية محسوسة.

المطلب الثالث: خصائص المنهج الحسي

من أبرز خصائص المنهج الحسي:

أولًا: سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسلم بها كل إنسان عادة، فإذا لم يُسلم دل ذلك على عناده وإصراره على باطله.

ثانيًا: عمق تأثيره في النفوس البشرية، لمعاينتها الشيء المحسوس، ومن هنا قيل: ليس الخبر كالعيان.

ثالثا: سعة دائرته، لاشتراك الناس جميعًا في أنواع الحس أو بعضها، لا يتخلف عن هذا كبير أو صغير، ولا عالم أو جاهل.

رابعًا: يحتاج في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص، فلا يحسنه جميع الدعاة ولا سيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية.

هذه المناهج الدعوية الثلاثة كلما تمكن الداعية من استخدامها بطريقة صحيحة كلما نجح في دعوته، وأدى الدور المناط به في هداية الناس إلى الإسلام.

خلاصة الفصل الثالث

من خلال مدارسة هذا الفصل يمكن الوقوف على بعض النتائج المستخلصة منه، والتي تتمثل في الآتي:

- معرفة الداعية لمناهج الدعوة من الضرورة بمكانٍ؛ ليتضح له الطريق الذي يسلكه في تبليغ رسالة الإسلام، ويكون على بصيرة بما يدعو إليه.
- ترتكز المناهج الدعوية على الفِطرة الإنسانية، ومن ثم لا يمكن الفصلُ بينها فصلًا تامًّا، لكن قد يغلب استخدام منهج على آخر بحسب ما يقتضيه حال المدعوين.
- للمناهج الدعوية مواطن استعمال يجب مراعاتُها حسب ما تقتضيه الضرورة الدعوية، ومن ثم كان إلمامُ الداعية بها، والبراعة في استخدامها أمرًا مهمًا له في دعوته.
- إلمام الداعية وإحاطته بأساليب وأشكال المناهج الدعوية يساعده-كثيرًا-في تحقيق أهدافه الدعوية، ويوفر عليه الكثير من الجهد والوقت.
- غياب المنهج الدعوي الصحيح عن الداعية، أو إهماله له، يؤدي إلى التخبطِ في العمل الدعوي، والعشوائية، ونفور الناس من الدعاة، وتبعثر الجهود المبذولة، وعدم تحقيق الأهداف المرجوة من الدعوة. فليحذر الدعاة ذلك.

أسئلة التقويم الذاتي

أولًا: أسئلة المقال:

س1: بيِّن ما الذي يترتب على غياب المنهج الدعوي الصحيح لدى الدعاةِ إلى الله؟

س2: من خلال دراستك لمناهج الدعوة، بيِّن مظاهر الحكمة فيها.

س3: قارن بين كلٍّ من المنهج العقلي والمنهج العاطفي من حيث:

المنهج العاطفي		المنهج العقلي	
أبرز أساليبه	1 2	أبرز أساليبه	1 2
مواطن استعماله	1 2	مواطن استعماله	1 2

س4: في ضوء دراستك للمواقف الدعوية الآتية، وضح الأسلوب والمنهج الدعوي الذي اسْتُخْدِمَ فيها.

1. موقف النبي ﷺ مِنَ الأعرابِيِّ الذي بالَ في المسجد.
2. موقفُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّابِّ الذي جاء يستأذنُهُ في الزِّنَا.
3. ذَبْحُ الصحابَةِ ـ رضي الله عنهم ـ لِهَدْيِهِم حينما شاهدوا النبِيَّ ﷺ يذبح هَدْيَهُ بعد صلح الحديبية.

س5: علل لما يأتي:

أ – لا يمكنُ الفصلُ بين مناهج الدعوة الثلاثة فصْلًا تامًّا.

ب– يغلب استخدام الدعاة للمنهج العاطفي والحِسِّي على المنهج العقلي في الدعوة إلى الله تعالى.

جـ– اسْتِحْسَانُ اسْتِخْدَامِ المنهجِ العَاطِفِي مع المُعَانِدِينَ والمُعَادِينَ للدَّعوة والدُّعَاة.

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1- يتوافقُ أسلوبُ القدوةِ الحَسَنَةِ مَعَ المنهجِ الحِسِّي في الدَّعوةِ إلى الله تعالى. ( )

2- يتوافقُ أسلوبُ التمثيل للأدوار مَعَ المنهجِ العاطفي في الدَّعوةِ إلى الله تعالى. ( )

النشـــاط التعليمي1

عزيزي الدارس: [1]

1- اكتب بحثا -فيما لا يزيد عن ثلاث صفحات- عن المنهج الدعوي، وأهميته في حياة الداعية، مُبَيّنًا أنواعها، ومظاهر الحكمة من معرفتها. (نشاط فردي)

2- للمناهج الدعوية أساليب وأشكال متنوعة، ولها مواطن استعمال متباينة كذلك. والمطلوب منك؛ عقد مقارنة بين كل من المنهج الحسي والمنهج العاطفي موضحًا أسباب هذا الاختلاف. (نشاط جماعي)

3- من خلال دراستك لمناهج الدعوة، بَيّنْ بشيءٍ من التفصيل أهم صور المنهج العقلي، وما الفرق بينها المنهج العاطفي؟ (نشاط فردي)

(1) توجد أنشطة إضافية للفصل بالملحقات.

النشـــاط التعليمي2

3- نظـم فقـرة دعويــة مكتوبــة فــي هـذه المواقـف مستخدمًا فيها الأسلوب العاطفي.
- ☜ دعوة رجل للصلح مع أخيه.
- ☜ دعوة قوم للدفاع عن عِرْضِ امرأة مسلمة.
- ☜ دعوة مسلم للعفو عن رجل أساء إليه.
- ☜ دعوة امرأة للاستجابة لأوامر زوجها.
- ☜ دعوة مسلم للتبرع لمسجد الحَيّ.

4- نظـم فقـرة دعويــة مكتوبــة فــي واحـد مـن هـذه المواقف مستخدمًا فيها الأسلوب العقلي:
- ☜ دعوة ملحدٍ إلى لإسلام.
- ☜ دعـوة رجـل يـدعي أن الإسـلام ديـن العنـف والإرهاب.
- ☜ دعوة مجموعة شباب للإقلاع عن التدخين
- ☜ دعـوة مجموعـة شـباب للحفـاظ علـى قواعـد المرور.
- ☜ دعوة طلاب الجامعة للابتكار في التعليم.

(استخدم الإحصائيات والمقارنات والأدلة العقلية والاستنتاجات الفكريـة والحـوادث الواقعيـة لتسـاعدك على الصياغة المطلوبة (يمكن الاستعانة بالإنترنت)

مصادر ومراجع إثرائية

عزيزي الدراس:

للتوسع حول موضوعات هذا الفصل يمكنك الرجوع للمصادر العلمية الآتية:

- منهج الدعوة إلى الله في مواجهة البدع في غرب إفريقيا محمد بن إبراهيم بن محمد-(رسالة علمية من جامعة الإمام: محمد بن سعود الإسلامية- كلية الدعوة والإعلام - تخصص: الدعوة والاحتساب. العام: 1428 - 1429 هـ) يمكن تحميلها من الرابط التالي:

http://www.alukah.net/library/0/80630/#ixzz4pcX7QRAI

- تأصيل المناهج الدعوية في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح (مقال)، يمكن متابعته من هذا الرابط:

http://www.assakina.com/mohadrat/18885.html#ixzz4pcXbjT9S

- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى. د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -العدد 119 -السنة 35 -1423هـ/2003م. متوفر على الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الرابط: http://shamela.ws/index.php/book/8955

الفصل الرابع

الدعوة والدعاة في العصر الحديث

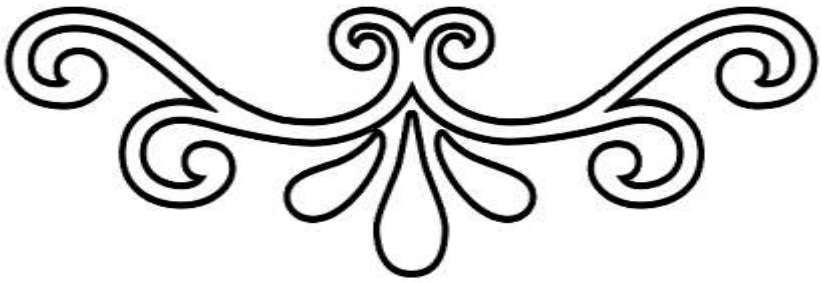

خارطة الفصل الرابع: الدعوة والدعاة في العصر الحديث

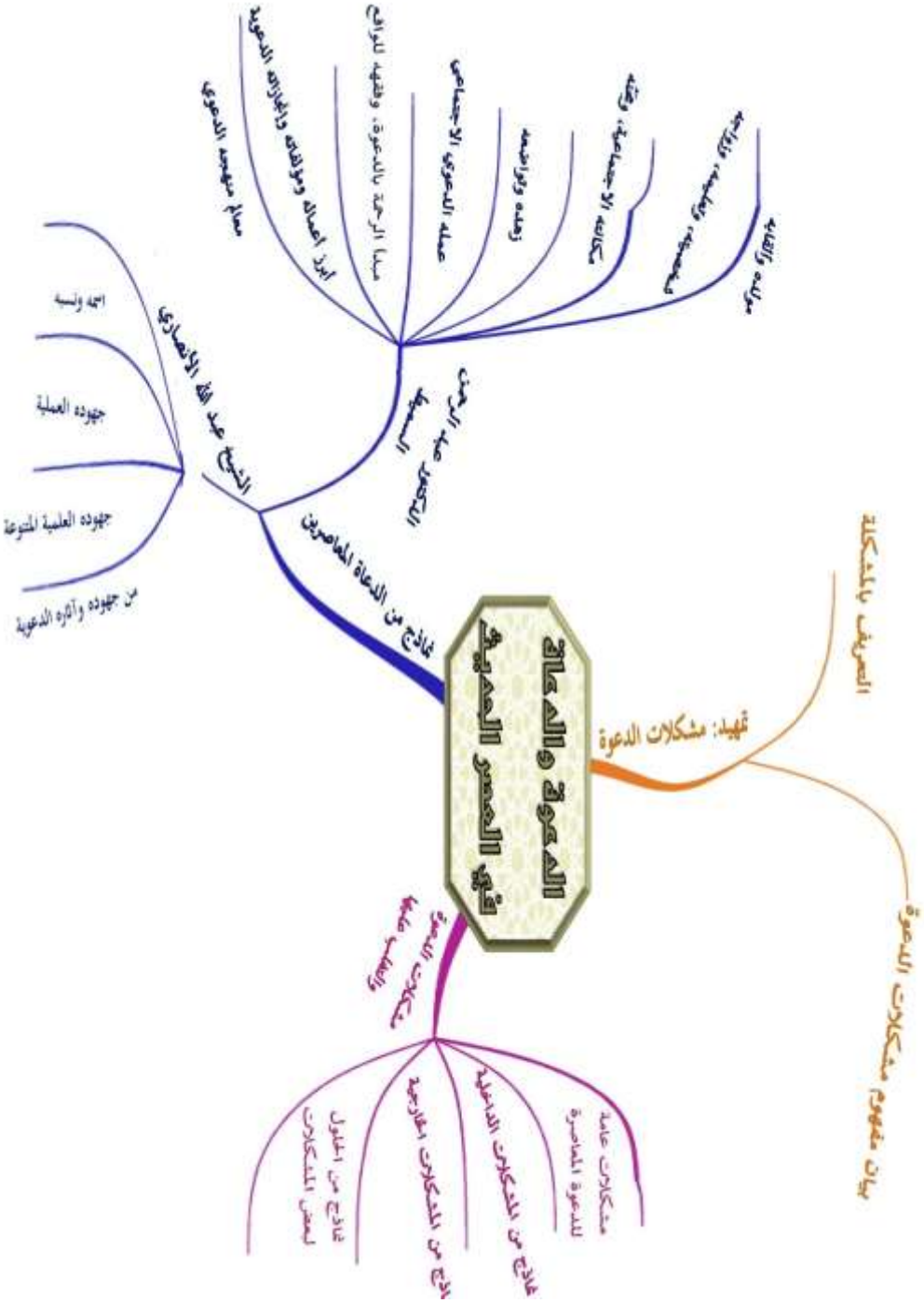

محتويات الفصـــل الرابع

التمهيد وفيه:

- التعريف بالمشكلة لغة واصطلاحًا
- بيان مفهوم مشكلات الدعوة

المبحث الأول: المشكلات التي تواجه الدعوة، وكيفية التغلب عليها، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: المشكلات العامة للدعوة في العصر الحاضر.
- المطلب الثاني: عقبات الدعوة والدعاة.
- المطلب الثالث: نماذج من المشكلات الدعوية وحلها.

المبحث الثاني: نماذج من الدعاة المعاصرين.

- الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود – رحمه الله.
- الشيخ عبد الله الأنصاري – رحمه الله.
- الدكتور عبد الرحمن السميط إلى الله تعالى

أهمية دراسة الفصل الرابع:

تكمن أهمية دراسة هذا الفصل في معرفة الداعية بمشكلات الدعوة، والتحديات التي تواجهها في العصر الحاضر، والوقوف على الأسباب التي أوجدتها، وإدراك تنوع أشكالها وصورها، واستيعابها من جميع جوانبها، حيث تساعده -كثيرًا- في البحث عن حلولٍ جِذريَّةٍ لها، وإمكانية التَّغَلُّبِ عليها؛ مما يفسح له الطريق أمام دعوته، ويُمَكِّنُه مِنْ نَشْرِهَا وتبليغها لِمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ... كما أن وقوف طلاب الدعوة على نماذج من الدعاة المعاصرين، ودراسة سيرتهم الدعوية، وجهودهم في تبليغ رسالة الإسلام، من الأهمية بمكانٍ؛ ليحذوا حذوَهُم، ويتمثلوا طرائق دعوتهم، ويتخذوهم قدوة صالحة، وهم في طريقهم لنشر هذا الدين الخاتم.

الأهداف التعليمية:

يُرجى منك عزيزي الدارس بعد دراستك لهذا الموضوع:

1- أن تتعرف حاجة طلاب الدعوة اليوم إلى الإلمام الجيد بمشكلات الدعوة والعقبات التي تواجهها.

2- أن تدرك أهمية معرفة أسباب هذه المشكلات، وكيفية التَّغَلُّبِ عليها.

3- أن تتبين أنواع هذه المشكلات، والعمل على إيجاد حلول لها.

4- أن تُجَرِّبَ هذه الحلول -المقترحة- لهذه المشكلات الدعوية عمليًّا في المجتمع الذي تعيش فيه.

5- أنْ تتلمس خُطى السابقين من الدعاة المعاصرين الذين أبلَوْا بلاءً حسنًا في الدعوة إلى هذا الدين.

بين يدي الفصل:

في ميدان العمل الإسلامي اليوم مشكلات عديدة تتعرض لها الدعوة كما يتعرض لها الدعاة، مشكلات في محيط الأسرة والمجتمع، مع النفس ومع الجنس، في نطاق التنظيم والتخطيط، في دائرة التصور والتفكير، هذه وغيرها من المشكلات أَوْجَدَتْهَا، بل فرضتها الظروف والأوضاع والمناخات غير الإسلامية التي تعيشها الدعوة والداعية في مجتمعات منحرفة عن وسطية الإسلام واعتداله!! والداعية مضطر للعيش في مثل هذه البيئة، فهي ميدان عمله الوحيد، وعليه أن يتفاعل معها، يؤثر فيها ولا يتأثر بلوثاتها، ومهمة خطيرة ودقيقة كهذه ينبغي أن يأخذ لها الدعاة كل أسباب الوقاية والحماية والمناعة.

إن من واجب (الدعوة) أن تكون دقيقة غاية الدقة، واعية تمام الوعي، مهتمة كل الاهتمام في تكوين دعاتها والمنتسبين إليها وفق مناهج سليمة محكمة تُسْلَكُ لبناء الشخصية الإسلامية؛ ولإصلاح الواقع، فلا تفريطٌ ولا إفراطٌ، ولا تَرَخُّصٌ ولا تَزَمُّتٌ، ولا غُلُوٌّ ولا تساهلٌ تحقيقًا للتوازن الفطري الصحيح بين عناصر الشخصية (العقلية والنفسية والجسدية).

إن التناقض المخيف بين ما يؤمن به الداعية من أفكار وقيم وأخلاق ومبادئ ومُثُل، وبين ما هو كائن في المجتمع من مظاهر الجاهلية الحديثة، سبب رئيسٌ مساعد في نشوء كثير من المشكلات والأزمات في حياته، ومن واجب (الدعوة) في كل الأحوال أن تتابع بيقظة ووعي بواعث هذه المشكلات وعوارضها بالتشخيص أولًا، ثم بالحلول الجِذْرِيَّةِ السليمة تفاديًا لما قد تُخَلِّفُهُ من عُقَدٍ وانحِرَافَاتٍ، وشذوذ في حياة الشباب المسلم.

هذا بجانب أنَّ الحركة الإسلامية لا يزال أسلوبها في العمل هو نفس الأسلوب الذي مارسته في ظل أوضاع غدت في خبر كان، بل وغدت ممارستها له اليوم، وفي أعقاب التحول الجذري الذي شهدته المنطقة ضربًا من الانتحار، وجريمة لا يجوز السكوت عنها؟!

الفصل الرابع: مشكلات الدعوة وعقباتها في العصر الحديث

تمهيد: تعريف المشكلة

(أ) المعنى اللغوي

يُقالُ: شَكَلَ الأمر يشكُل شَكلاً، أي: التبس الأمر، والعامة تقول شَكَل فلان المسألة أي علّقها بما يمنع نفوذها[1]. وعند التهانوي: «المشكل اسم فاعل من الإشكال وهو الداخل في أشكاله وأمثاله، وعند الأصوليين اسم للفظ يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد منه إلاّ بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال والمشكل مالا ينال المراد منه إلا بالتأمل بعد الطلب»[2]، كما أننا نجد عند الجرجاني، بالإضافة إلى المعنى المذكور عند التهانوي حول المشكل، نجد مفهوم المسائل، وهي عنده: «المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك معرفتها»[3].

(ب) المعنى الاصطلاحي

المشكلة هي نوع من أنواع الالتباس يعتري سبيل الإنسان في أموره وقضاياه. والحلّ هو نشاط ذهني يقوم به الإنسان ويمارسه من أجل التوصّل إلى ما يزيل هذا الالتباس[4].

وبعبارة أخرى: المشكلة هي فجوة أو حاجز بين الإنسان وبين ما يريد، والحلّ هو اتباع الخطوات التي يقوم بها صاحب المشكلة من أجل ملء الفجوة القائمة أو إزالة

---

(1) محيط المحيط. بطرس البستاني: (ط: 3، مكتبة لبنان – بيروت 1993م) ص 477.

(2) كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي الفاروقي التهانوي (بيروت، د.ت. ط) 2/ 786.

(3) التعريفات. علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الكريم القاضي (ط:1، دار الكتاب المصري اللبناني– القاهرة، 1991م) ص 224.

(4) المنجد في اللغة. علي بن الحسن الهنائي، المشهور بكراع النمل. تحقيق: أحمد مختار عمر –ضاحي عبد الباقي (ط:2، عالم الكتب، 1988) مادة (ش ك ل). ص232.

الحاجز الموجود بينه وبين انجاز ما يريده.

وعلى هذا، لا يتمكّن صاحب المشكلة من الوصول إلى الحلّ إلاّ عن طريق فهم ما لديه في الواقع الحاضر، وما يريد تحقيقه في المستقبل، ومعرفة المسافة الموجودة بين الواقع الراهن والمستقبل.[1]

وبناءً على ما سبق، فإن المشكلة بصفة عامة هي: كل موقف غير معهود لا يكفي لِحَلِّهِ الخبرات السابقة والسلوك المألوف، والمشكلة هي عائق في سبيل هدف منشود، ويشعر الفرد إزاءها بالحيرة والتردد والضيق مما يدفعهُ للبحث عن حل للتخلص من هذا الضيق وبلوغ الهدف المنشود، والمشكلة شيء نسبي فما يعده الطفل الصغير مشكلة قد لا يكون مشكلة عند البالغ الكبير[2].

ومشكلات الدعوة-بناء على ما سبق ذكره من بيان مفهوم المشكلة-هي: مجموعة من العوائق التي تعرقل مسيرة الدعوة في سبيل تحقيق الهدف المنشود منها، حيث يشعر الدعاة إزاءها بالحَيْرَةِ والتَّرَدُّدِ والضيق مما يدفعهُم للبحث عن حلٍّ للتخلص من هذا الضيق، والسعي لبلوغ الهدف المنشود.

(1) تنمية الوعي. علاء الحسّون (ط: 1، دار الغدير: قُمْ – إيران، 1424هـ) 20 – 21.

(2) انظر: تعريف المشكلة على موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

المبحث الأول: المشكلات التي تواجه الدعوة، وكيفية التغلب عليها

المطلب الأول: المشكلات العامة للدعوة إلى الله في العصر الحاضر

كثيرةٌ تلك التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية ودعاتها اليوم، داخلية كانت أم خارجية، تعوق التَّحَرُّكَ بها، وتَحُدُّ من انتشارها، **ومن أهم التحديات داخل مجتمع الدعوة:**

أ- تبنّي السُلطة الحاكمة لوسائل الإعلام:

في كثير من دول الإسلام تتبنى السلطة الحاكمة وسائل الإعلام الحديثة بكافة صورها بمضمونها المخالف والمناوئ لشريعة الإسلام وتعاليمه السمحة، وذلك على حساب الدعوة الإسلامية بوسائلها التقليدية، ولا تسمح للدعاة بعرض مناهجهم الدعوية عبر هذه الوسائل الحديثة بالصورة المرجوَّة، **ويرجع ذلك إلى عِدَّة أسبابٍ منها:**

1. تمثيل هذه الوسائل السلطة الحاكمة بكل أحلامها ورغباتها وأهوائها دون اعتراض أو مواجهَةٍ أو مراجعةٍ من هذه الوسائل لها، وهذا التمثيل لا تقوم به الوسائل الدعوية التقليدية القائمة على الاتصال الشخصي بالجمهور عن طريق الخطابة وغيرها إلا نادرًا.

2. جماهيرية الوسائل الحديثة ـ كثرة المتابعين لها ـ مِمَّ يُسَهِّلُ مهمة التلقِّي والإلقاء بصرف النظر عن التأثير والتأثُّرِ اللَّذَيْنِ تتميَّزُ بهما الوسائل التقليدية للدعوة؛ لأنَّ الأهمَّ لدى السلطة هو الكمُّ لا الكَيْف.

3. سهولة السيطرة على الوسائل الحديثة والتحكُّم في كل مضامينها، ومراقبة كل ما يصدر عنها، وذلك على خلاف الدعوة الإسلامية بوسائلها التقليدية.

هذه الأمور-وغيرها-جعلت السُّلطة الحاكمة-في أغلب بلدان العالم الإسلامي- تتبنى هذه الوسائل بصورها المتعددة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية وسينما ومسرح-وغير ذلك-ومن خلالها يكون الترويج لأنواع خاصة من الكتابة والكُتَّابِ،

ولأشخاص يخدمون السلطة. وكان الاختيار لرجال الإعلام ولمضمون هذه الوسائل المحكومة بهذه الأغراض، وتلك التَّوَجُّهَاتِ، فكانت الحالة-كما هو ظاهر اليوم-لِينٌ واستجابة لرغبات السُّلطة الحاكمة من جانب هذه الوسائل الإعلامية، ومقاومة ومخاصمة من جانب الدعوة الإسلامية ودعاتها المخْلِصين لفساد هذه السلطة بسبب محاربتها للدعوة ورجالاتها.

وكانت هذه الوسائل الإعلامية-بكافَّة صورها-فرصة للعملاء ولأعداء الدعوة من الداخل والخارج؛ للتأليب والتحريض على الدعوة ودعاتها، وللنَّيْل منهما، فكان الصِّدامُ، وكانت الغلبة لجبة الباطل على حساب الحق ومناصريه. ولم يجد المنافقون ـ اتباع كل ناعقٍ ـ إلا الانضمام إلى صفوف الغالبين، فكانت الفتاوى منهم لصالح الباطل، وكان الترويج لها ولأصحابها من جانب هذه الوسائل الإعلامية الحديثة...؛ لِتتكَوَّن بذلك جبهة العداء للدعوة الإسلامية ودعاتها، وبقيت بذلك الدعوة بوسائلها القديمة ـ التقليدية ـ وعلى رأسها الاتصال الشخصي بالجمهور.

ومما تجدر الإشارة إليه أن السُّلطةَ الحاكمة عملت جاهدة على إقامةِ حاجزٍ وهْمِيٍّ بين الدعوة والإعلام، وأصبح رجل الإعلام عملة جيدة مرموقة، ورجل الدعوة عملة رديئة منبوذة.

ب. التحكم في موارد الدعوة الإسلامية المادية والثقافية

كان ـ وما زال ـ التحكم في المرتبات والمُخَصَّصات الحكومية للدعوة والقائمين عليها، ضمانًا لتنفيذ القيود التي تفرضها جهة العطاء والمَنْحِ، وأصبح المَنْحُ والمَنْعُ مرهونيْنِ بالولاء وعدم الولاء لها. كما خضعت الترقِيَّاتُ والمناصب وكذلك الألسُنُ ـ لأوامر وتوجيهات هذه السُّلْطة؛ فكان الاستيلاء على الأوقاف المُخَصَّصة للدعوة والقائمين بشأنها ـ والتي كانت سببًا رئيسًا من أسباب التحرر للدعوة ورجالها ـ واستبدالها بالمرتبات والمُخصصات لتتمكن السلطة الحاكمة من التحكُّم في الكلمة.

جـ. تفريغ المناهج التعليمية من مضمون الدعوة الإسلامية.

التفتت السلطة الحاكمة إلى النظم التعليمية والمناهج الدراسية ـ خاصة التعليم الديني كما هو الحال في الأزهر بمصر، والمدارس القرآنية المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي ـ وراعت في مضمونها ـ في جميع المراحل التعليمية ـ تعليم الناشئة والطلاب وتدريبهم على الولاء والإخلاص للحضارة المادية، ونظام الحكم في الدولة، تحت مسميات متعدِّدَةٍ مثل: المواطنة، والقومية العربية، كما يرونها. وهذا بدوره يؤدي إلى مناوأة الدعوة الإسلامية ومحاربتها باعتبارها حجر عثرة في طريق التقدم والحضارة كما يراه هذا النظام التعليمي الذي وضع أُسُسَه ولَبِنَاتِهِ الأولى القس الإنجليزي (دانلوب)[1] والذي تبنته

(1) ولد "دانلوب" في اسكتلندا 1860 م وتخرج من القسم اللاهوتي في إحدى كلياتها وجاء إلى مصر مبشرًا 1889 م وعين مدرسًا في مدرسة "سانت أندرو" التابعة للمجتمع التبشيري باسكتلندا بمرتب فرنكات معدودات. وسعى لدى "كرومر" بمساعدة السير "فونكريف" وكيل الأشغال حتى عين مدرسًا للغة الإنجليزية في مدرسة المهندسخانة فالمعلمين الخديوية.

ويعد "دانلوب" واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام عن برامج التعليم في المدرسة المصرية، باعتبار أنّ التعليم والتربية لها أكبر الأثر في مخطط التغريب والشعوبية والتبشير والاستشراق إن لم تكن هي جوهر هدف الاستعمار الأساسي.

فإنّ خلق طبقة من المتفرنجة الذين ينكرون الدين والخلق معًا (الإلحاد والإباحية) هو عمل أساسي، فعلى هؤلاء يعتمد الاستعمار مستقبلاً في تنفيذ مخططه وتكوين ركائزه التي يعتمد عليها بعد جلاء القوات المحتلة. وقد قام "دانلوب" بدور كبير في تعميق مخطط التغريب وهدم مقومات الفكر الإسلامي وكان أبرز ما عمل له: نزع اعتقاد الشباب المسلم في القرآن وكان مذهبه (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة)

وقد عين "دوجلاس دانلوب" سكرتيرًا عموميًا للمعارف في 8 مارس سنة 1897 ثم مستشارًا في 24 مارس سنة 1906، وقد كان في أول أمره قسًا مبشرًا عمل في وظيفة مدرس للغة الإنجليزية والخط الإفرنجي في مدرسة رأس التين الثانوية ثم لفت نظر "كرومر" فدفعه إلى العمل في نظارة المعارف فما زال يترقى بها حتى أصبح مسيطرًا سيطرة تامة على شئون التربية والتعليم في مصر.

ومن أبرز أعمال دانلوب:

1 –العمل على محاربة اللغة العربية والإسلام والأزهر، لذلك عمل على اضطهاد معلمي اللغة العربية من الأزهريين.

2 –نشر لواء اللغة الإنجليزية وتأهيلها للسيطرة الكاملة على كل شئون التعليم، وبذلك أمكنه القضاء على نفوذ اللغة =

الحكومات الإسلامية في بلادها من خلال مدارسها ومعاهدها التعليمية، والذي من خلاله يتم تدريجيًّا فصل الدين عن واقع حياة المجتمعات الإسلامية.

وخلاصة الأمر، أنَّ نجاة الدعوة الإسلامية ـ اليوم ـ من هذا الخِناق القاتل يحتاج إلى التحرر من مرتبات السلطة الحاكمة وذلك من خلال إحياء دَوْر الوقف الإسلامي المقصور على الدعوة ومؤسساتها العاملة على نشرها وتعليمها وتطبيقها، كما يحتاج إلى التحرر من سُلطة الإعلام والتعليم المخالِفَيْنِ لتعاليم الإسلام السمحة، وذلك باستقلالية التعليم الديني ـ الإسلامي ـ في بلدان العالم الإسلامي عن منظومة التعليم العام القائم على تهميش الدين ودوره في واقع حياة المجتمع الإسلامي، والعَوْدُ بالمناهج التعليمية إلى سابق عهدها من حيث التخصصات المتنوعة–لا الدمج لها تحت مسميات برَّاقة–وكذلك المضمون الجيد الذي يراعي خصوصيات المجتمع الإسلامي وثقافته الإسلامية.[1]

المطلب الثاني: عقبات الدعوة والدعاة

لا يمكن للكاتب في علم أصول الدعوة، أو المتحدث في شأنها أن يفصل في كتابته، أو في حديثه بين الدعوة والدعاة إذ إنهما في حقيقة الأمر متحدان، فكل بلاء يصيب الدعاة هو بلاء للدعوة، وكل عقبات الدعوة هي في واقع الأمر عقبات أمام الدعاة إلى الله تعالى. وإن كان ثمة فصل فلأغراض دراسية فقط ليس غير.

والهدف من ذكر هذه العقبات وتحديدها–وإن كانت كثيرة– هو أن يركز الدعاة على

= العربية ولقد مضى في ذلك إلى حد أنّه جعل تعليم سائر العلوم كالرياضيات والتاريخ والكيمياء والجغرافيا والرسم باللغة الإنجليزية، وضيق على اللغة العربية تضييقًا كبيرًا. ويعد "دانلوب" واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام عن برامج التعليم في المدرسة المصرية، باعتبار أنّ التعليم والتربية لها أكبر الأثر في مخطط التغريب والشعوبية والتبشير والاستشراق إن لم تكن هي جوهر هدف الاستعمار الأساسي.

– **انظر:** الموقع الإلكتروني: http://ar.islamway.net/article/

(1) فقه الدعوة والإعلام. عمارة نجيب (د. ت، د.ط.) ص 6 ـ 13 بتصرف كبير.

أنفسهم حتى لا يضلوا الطريق في وصولهم إلى أهدافهم الدعوية المنشودة.

وعقبات الدعوة كثيرة ومتنوعة؛ فمنها: [1]

1 – عقبات توجد بين الدعاة أو يصنعها الدعاة أنفسهم.

2 – عقبات توجد في المجتمع المراد إصلاحه (مجتمع الدعوة)

أولاً: من جملة العقبات التي توجد بين الدعاة أنفسهم:

أ. الاختلاف فيما بينهم.

لا شك أن الاختلاف سنَّة كونية، ولا يمكن تجاهله، والتنوع بين الخلائق إنما كان للتكامل والتجانس، لا للتناحر والتباعد والمهاوشة. والمطلوب من الدعاة–متى وقع الخلاف بينهم– أن يقننوا نقاط الاختلاف ويحصروها، وأن يضعوا لها قواعد تحكمها؛ حتى يتم تحريرها والفصل فيها؛ اجتنابًا للوقوع في التنازع المنهي عنه شرعًا ﴿وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ. ... الآية﴾ الأنفال: 46.

☜ *ويرجع سبب الاختلاف الحاصل بين الدعاة إلى جملة أسباب منها:*

الأهواء الشخصية، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، والتعصب المقيت للرأي وللمذهب، وللقومية، ومنع الكلمة والتعبير عنها، وقهر الناس على رأي حاكم، أو طائفة–كما فعل أهل الاعتزال زمن الخليفة المأمون– مع أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل.

إن مما لا شك فيه أن ثمة مسائل كثيرة تحمل أوجهًا تقع في دائرة المباح، أو المتروك، أو ما اختلف فيه مَنْ قبلَنا، وفي هذه سعة كبيرة حتى يقبل بعضنا بعضًا.

---

(1) فقه الدعوة، د. بسام العموش (الأردن، 1425هـ– 2005م، دار النفائس، ط: أولى) ص: 109–119. بتصرف كبير من الكاتب.

ب. الانحرافات المنهجية عن طريق الدعوة

مما لا شكَّ فيه أنَّ منهج الدعوة الذي تقوم عليه واضح غاية الوضوح لمن يسلك طريقها-طريق الهداية إلى الله تعالى- ومعالمه واضحة لسالكه، إذ يتصف بالأمور التالية ومنها:

- مشقة هذا الطريق، وكثرة ابتلاءات السالكين فيه، وابتلاءات الدعاة -في معظمها- تقع لهم من صُنع غيرهم من المتربصين بهم.
- نهاية هذا الطريق النصر الموعود به متى تحقق شرطه من الدعاة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: 7.
- لا نصر لدعوة الله تعالى إذا كان أتباعها أفرادًا متفرقين، أو جماعات متناحرة، بل لا بد أن يكونوا متحدين متعاونين متحابين، على قلب واحد منهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد واحدة على مَنْ سِواهم.
- الدعوة المنصورة-بإذن الله- هي التي تلتزم أمر الله ونهيه-منهجه- في أفرادها ومجموعها، إذ لا نصر مع المعصية.
- المنهج الدعوي الصحيح يتطلب من الدعاة أن يكونوا على ذكاء وفطنة ودهاء ودراية كاملة بحيث لا يخدعهم أعداؤهم-من الداخل والخارج على السواء- وأن يكونوا على علم ودراية بما يجري حولهم من أحداث إقليمية وعالمية، مقدرين الأمور بحسابات مدروسة، مدركين للمآلات القريبة والبعيدة من تحركاتهم بالدعوة في محيطها الدعوي.
- لا يمكن تحميل كل بلاء يصيب الدعوة والدعاة على تخطيط الأعداء ومكرهم، بل يوجد جزء كبير منه نتيجة الطيش، والاستعجال، واستدعاء البلاء.
- لا بد من تقدير الدعاة لقوتهم- بكل أنواعها-تجاه هذا التآمر العالمي عليهم، فيسيرون في طريق دعوتهم بتعقُّل يجنبهم وغيرهم الدمار والدماء والاستئصال.

جـ- فتن تواجه الدعاة، ومنها:

-فتنة المال:

لا شك في أن المال نعمة من نعم الله الكثيرة على بني آدم-مسلمهم وغير مسلمهم- والمطلوب أن يكون المال في الأيدي -تتداوله استثمارًا له، لا أن يتم اكتنازه وحبسه في يد فئة قليلة من البشر- وألا يكون في القلب بحيث يستحوذ حبه عليه، ويمنع صاحبه من حق الآخرين فيه.

إن المؤمن الغني أنفع لعباد الله الفقراء، وأنفع لدعوة الإسلام. والداعية الغني خير وأنفع من الداعية الفقير الذي يبذل وسعه من وقت وجهد بحيث ينشغل عن دعوته بتحصيل معاشه، وهذا لا بد منه وقاية له من ذل المسألة، وحفظًا لمن جعلهم الله تحت رعايته، وألزمه السعي لأجل عفافهم وتحقيق الحياة الكريمة لهم.

يجب على الداعية ألا يميل إلى جمع المال كليةً، فيترك أمر الدعوة، أو يدخل في عالم الربا والغش والاحتكار والرشوة، ويقوده المال إلى هلاكه وبوار دنياه وآخرته.

وعلى الدعاة أن يتذكروا-دائمًا- أن المال مال الله، وأنهم مستخلفون فيه، وهم مسؤولون عن كل ما جمعوه من أين اكتسبوه؟ وفيما أنفقوه؟ وعليهم أن يتذكروا وعظهم للناس، ودعوتهم إياهم إلى الزهد في الدنيا ومتاعها.

-فتنة المنصب

مما يجهله الكثير مِنْ مَنْ يسعون إلى تولي المناصب أن المنصِبَ مكان للنَّصَبِ والتعب والمشقَّة. والأصل في تولي المنصب والترشيح له أن يكون لأجل المصلحة العامة، والقضاء على مظاهر الفساد في هذا المكان، لا أن يكون لمصلحة مَنْ تولى المنصب، أو مصلحة أقربائه، ... الخ. إلا أن السائد في أيام الناس هذه أن تولي المناصب وسيلة للسلب والنهب والظلم، والمصلحة الخاصة.

والداعية حين يتولى منصبًا ما فهو-حيثما حَلَّ-يجب أن يطابق قوله وفعله وسلوكه

ما أمره به دينه، وعليه أن يتميز فلا يسير سير الآخرين، بل يُضْرَبُ به المثل في التواضع والزهد والأمانة والحفظ والرعاية للحقوق، ونظافة اليد، وألا يسقط من قوائم الدعاة.

ويجب ألا يزهَدَ الدعاة-جملة-في تولي المناصب حتى لا يتركوها في أيدي الفاسدين، أو غير المؤهلين لها، فيكثر الفساد، وتفسد حياة الناس، وتضيع الحقوق على أصحابها، وتُعَطَّلُ المصالح، بل يجب أن ينبريَ لهذه المهمة مَنْ تتوفر فيه شروطها من الحفظ للأمانة والدين والعلم بأمور هذا المنصب، والقوة والقدرة على القيام بأعبائه ووظائفه، وأدائه على أكمل وجه.

كما يجب عليهم أخذ الحذر من الفتنة بما تولوا من مناصب، وألا يتم استقطابهم فيكونوا أبواقًا داعية لكل فاسدٍ.

-فتنة الزوج والجنس الآخر

يتغير بعض الدعاة بعد الزواج لأسباب كثيرة منها: عدم وجود التوافق والتكافؤ بينهما، فتقع الخلافات التي تعوق العمل الدعوي، بحيث ينشغل الداعية بهذه الخلافات عن أمر الدعوة، فيقل نشاطه فيها، أو ينقطع عنها، وقد ينحرف عن طريقها بسبب فتنته بالجنس الآخر إن لم يكن متزوجًا في الأصل؛ نظرًا لعدم الالتزام بأوامر الشرع ونواهيه، والحي لا تؤمَنُ عليه الفتنة.

-فتنة الصحبة والصداقات

مما يقال: إن الصاحب ساحب، والطيور على أشكالها تقع. والداعية مطالب بأن يصاحب الأخيار ويجالس أهل الفضل، وأن يكون على حذر شديد تجاه أصدقائه، إذ المؤَمَّلُ فيه أن يؤثِّرَ في غيره، لا أن يتأثر بأي قول أو فعل تجاهه، حيث يعطي ويقدم وينصح، لا أن يكون متلقيًا متأثرًا فحسب.

ولا يمنع هذا –الداعية– من أن يخالط الناس بكل أطيافهم وتوجهاتهم؛ لأجل التأثير فيهم إيجابًا.

-فتنة البطش والتعذيب

يجب أن يفرق الدعاة بين أمرين مهمين هما:

1. التعامل مع البلاء حين يقع وضرورة الصبر والمصابرة.

2. استدعاء البلاء والتعرض التلقائي له دون روية ولا حساب ولا أخذ الحيطة.

ومما هو معلوم-لدى كل عاقل- أن سياسة البطش من الأعداء-داخليًّا وخارجيًّا- تجاه الدعاة في كل زمان ومكان، قديمة، تتجدد في كل عصر بأساليب ووسائل متنوعة حسب مقتضيات الواقع، وغرض العدو، ومكانة الداعية.

وآيات القرآن في هذا المجال كثيرة ومتنوعة، ولنطالع قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم (قوم نوح، قوم هود، قوم صالح، قوم إبراهيم، قوم لوط، قوم شعيب) وما قريش من ذلك ببعيد، وصدق الله العظيم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ الذاريات: 52،53.

والدعاة إلى الله -تعالى-بشر منهم مَن يصمُدُ أمام البلاء ويصبر ويحتسب كما فعل سيدنا بلال بن أبي رباح، ومنهم من يفتن في دينه ولا يتحمل-وهو معذور- كما كان حال سيدنا عمار بن ياسر-رضي الله عن الجميع- فيجب على الدعاة ألا يُعَيِّرَ أحدٌ أحدًا؛ نظرًا لوجود الرخصة والعزيمة، وأن يدعو بعضهم لبعض بالثبات على الحق، وأن يتواصوا فيما بينهم بالصبر عليه.

ثانيًا: من العقبات التي توجد في مجتمع الدعوة:

أ- الجهل والفقر والأمية والتخلف

كلها عناوين تحتاج إلى بذل جهد وعمل دؤوب متواصل، وبرامج واقعية، وتصميم، وحسن إدارة.

ولا شك أن الفقر والتخلف يرتبطان بالأمية، والأمَّةُ التي ينتشر فيها هذا الداء العُضالُ تحتاج إلى دعاة مؤهلين على دراية ووعي كاملين بأحوال هذا المجتمع، وعلله

وأمراضه. يعرفون كيفية التعامل الصحيح معها؛ لاجتثاث جذورها.

ب- العادات والأعراف السلبية السائدة في المجتمع

إنَّ شيوع العادات السيئة وإلف المجتمعات لها، وانتشار الأعراف السلبية وتجذُّرِهَا في المجتمعات المعاصرة، لهوَ عقبة كبرى في سبيل الدعوة بسبب ما يلمسه الداعية من تناقض مخيف بين ما يؤمن به، وبين ما هو كائن في المجتمع من مظاهر الجاهلية الحديثة، مما يكون سببًا في نشوء كثير من المشكلات تحتاج إلى بذل جهد من أجل مواجهتها وعلاجها.

جـ- كثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق.

يقول ابن تيمية: أهل الإسلام قليل في أهل العالم، وأهل السنة قليل في أهل الإسلام، ولذلك قال سُبحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الأنعام:116.

نزل عمر ﷺ إلى السوق، فسمع أعرابياً مسلماً يقول: اللهم اجعلني من عبادك القليل، فأخذ عمر بمنكبه، وقال: ما هذا الدعاء؟ قال: يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ:13 ، فدعوت الله أن أكون من هذا القليل، قال عمر: [[كل الناس أفقه منك يا عمر]]

فالقليل دائماً هو الخير، ولذلك ليفهم الدعاة وطلبة العلم قضيتين اثنتين، ومن أكبر القضايا:

القضية الأولى: لا يمكن أن يكون أهل الحق أكثر من أهل الباطل ولن تجد هذا أبداً، فتجد في المسرحية وحفل الأغنية جماهير مجمهرة، نعم قد يحضر بعض المحاضرات -إذا كثروا- خمسة آلاف وستة آلاف، ولكن يحضر حفل الأغنية ستون ألفاً، فأهل الباطل أكثر؛ وهذه قاعدة وكأن من سنن الله في الكون أنهم أكثر من أهل الحق.

القضية الثانية: لا تحمل الدعاة رؤيتهم كثرة أهل الباطل لأن يتكاسلوا، ويقولوا: مادام الناس قد فسدوا، فلا فائدة في دعوتنا، لا، ادع، وإن لم يستجب أحد، وأجرك على الله قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ ﴾ الشورى:48 وقال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ النحل:125 ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ الأنعام:107.

فلا يغتر الدعاة بكثرة الهالكين.. فلقد دعا نوح وما استجاب له إلا قليل، وبعض الأنبياء ما استجاب له أحد، ولكن أجرهم عند الواحد الأحد، فادع وما عليك، وأجرك على الله. أهل الباطل عندهم السلاح والوسائل والمغريات ووسائل أهل الحق منبر وكلمة ودرس ومحاضرة، مع أن الوسائل التي في ساحة العالم عظيمة جد عظيمة.

قال سبحانه: ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ المائدة:100

فكثرة أهل الباطل من عقبات هذه الدعوة، وقد قال بعض العلماء: أهل الإسلام قليل في العالم، وأهل السنة قليل في أهل الإسلام، فلا عليك من قلة أصحابك، فإن الخير في القليل. قال بعض التابعين: [لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها، ولا تغتر بكثرة الهالكين].

هذه أبرز العوائق التي يمكن الوقوف عليها–وإن كانت كثيرة ومتنوعة– التي تعوق سير الدعوة وتعرقل أهدافها، وتحول بين الدعاة وأنشطتهم الدعوية، يجب الوقوف عليها ودراستها بعناية لإمكانية تجنبها، وتأمين طريق الدعوة كي تصل إلى تحقيق المطلوب منها في بيئة المدعوين.

المطلب الثالث: نماذج من المشكلات الدعوية وحلها

من خلال العرض السابق يمكن القول: إن المشكلات الدعوية تنقسم قسمين:

- مشكلات داخلية (ذاتية)
- مشكلات خارجية.

☜ *ويُقصد بالمشكلات الداخلية:* مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدعاة، ويواجهونها في طريق دعوتهم، وهي مشكلات تنبع من واقع الدعاة أنفسهم أو من واقع بيئة الدعوة في جانب المفاهيم الدعوية، والمناهج، والوسائل والأساليب، وليس لغيرهم دخل فيها، **وهي كثيرة جدًّا، أشرنا لبعض منها فيما سبق، ويمكن أن نعددها في نقاط محددة؛ فمنها:**

- خطأ كثير الدعاة في مفهوم الدعوة الإسلامية. (تحويلها من دعوة ربانية إلى تنظيمات حزبية)
- تقصير كثير من المسلمين في القيام بواجب الدعوة الى الله. (وظيفة طبقة مخصوصة من الناس)
- قصر بعض الدعاة مفهوم الدعوة على عنصر واحد من عناصرها.
- غفلة كثير من الدعاة والعلماء عن حقيقة علم الدعوة. (ظن البعض أنه يمكن الاستغناء عنه بالعلوم الشرعية الأخرى)
- غفلة بعض الدعاة عن الإفادة من السنن الربانية الثابتة في حياة الدعوات.
- تكرار حدوث الأخطاء في طريق الدعوة، وقلة الاستفادة من التجارب والأخطاء السابقة.
- قلة الوعي في صفوف كثيرٍ من الدعاة.
- شيوع بعض الأمراض الاجتماعية الخطيرة بين صفوف الدعاة.

- شيوع ظاهرة انفصال الفقه عن الفكر في صفوف الدعاة.
- شيوع ظاهرة انفصال العلم عن العمل.
- اضطراب طريقة التعامل مع المصطلحات.
- إهمال كثير من الدعاة ترتيب الأولويات في عملهم.
- ضعف العلاقات الأخوية بين المؤمنين عامة وبين الدعاة خاصة.
- انتشار النظرة الخاطئة إلى التعددية العلمية والعملية في العمل الإسلامي.
- تفرق كلمة أهل الحلِّ والعَقْدِ في الأُمَّة.
- ضعف اعتماد المسلمين على الله عز وجل، وتوكلهم عليه.
- تواكل كثير من المسلمين وإهمالهم الأخذ بالأسباب المادية.
- إهمال المشاريع الاقتصادية الاستثمارية المغطية لاحتياجات الدعوة الإسلامية.

☜ *أما المشكلات الخارجية* فهي مشكلات خارجة عن واقع الدعاة، وبيئة الدعوة، ومن هذه المشكلات:

- مكر الأعداء المستمر بالإسلام والمسلمين، (آيات المكر والكيد في القرآن الكريم)
- تعاون الأعداء فيما بينهم على تطبيق هذا المكر.. ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ....﴾ النمل:.، وحديث: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم... »
- تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة، (المواجهة الصريحة للدعوة وللدعاة، احتواء الأعداء لها ولأصحابها، خداع واستدراج الدعاة، تنوع مستمر...).
- قوة وسائلهم المادية وتسخيرهم العلوم الحديثة والدراسات العلمية في سبيل تحقيق أهدافهم. (مراكز أبحاث لأحوال العالم الإسلامي، صناعات ثقيلة، أسلحة مدمرة، عقد مؤتمرات معاهدات اتفاقيات...)

هذا الكم الهائل من المشكلات التي تتصل بواقع الدعوة ودعاتها يعود في حقيقته إلى أمرين:

- ضعف المسلمين وتحكم مشكلاتهم الداخلية فيهم مما يضعفهم عن مثل هذه المعالجات للمشكلات الخارجية.
- قوة الأعداء في مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم... وأنَّى للضعيف أن يواجه القوي!!؟

وفيما يلي تحليل لنماذج من المشكلات وحلِّها (ويمكن للدارس تناول بعض المشكلات بالتحليل في ضوء هذه النماذج)

(أ) مشكلة إهمال المشاريع الاستثمارية التي تغطي احتياجات الدعوة

تتمثل هذه المشكلة في اعتماد الدعاة في سدِّ متطلبات الدعوة المادية على أموال التطوع والصدقات الآنية المحدودة، مما أوقع الكثير من المسلمين في العجز المادي، والأزمات الاقتصادية الحادة، وأصبحوا عُرضة للحركات التنصيرية المعادية.

العلاج: عمل مشاريع استثمارية موقوفة على تمويل المؤسسات الإسلامية المتنوعة – الدعوية والتعليمية على اختلاف تخصصاتها وتنوع مجالاتها – وذلك بالاستثمار في الشركات الخاصة وغيرها لتغطية متطلبات العمل الدعوي والقائمين عليه في شتى مجالاته.

(ب) مشكلة انتشار النظرة الخاطئة إلى التعددية العلمية والعملية في العمل الإسلامي

يرجع السبب في وجود المشكلة إلى: إساءة فهم الخلاف بين المسلمين، والغفلة عن طبيعته وأسبابه مما أثار العداوة فيما بينهم، وفرَّق صفوفهم، وعمَّق في نفوسهم الفردية والأنانية، وأشاع روح العصبية والحزبية...الخ.

العلاج: يكمن العلاج لهذه المشكلة في رفع الحواجز الانتمائية على مستوى الأفراد، ونبذ العصبية الحزبية على مستوى الجماعات، وعقد لقاءات دعوية مفتوحة على سبيل الحوار للوصول إلى الحل الأفضل، والعلاج الأنجع، ثم ترك «الأنا الفردية، و «الأنا الجماعية»

(جـ) تعدُّ الدعوة في مفهوم بعض الدعاة وعظ وخطابة فقط

يرجع **السبب في ذلك** إلى: غفلة كثير من الدعاة عن حقيقة علم الدعوة، وأصل نشأته، وحاجة الناس إليه، ونظرة بعضهم إلى التخصصات الدعوية بانها مُحْدَثةٌ لا حاجة إليها.

العلاج: يكمن العلاج في معرفة الدعاة بمصطلحات علم الدعوة، ومعرفتهم للصلة بينه وبين العلوم الشرعية الأخرى. ويجب على من يتصدى لأمر الدعوة إلى الله تعالى ألا يقصر مفهومها على الوعظ والخطابة، حيث لا يعدو ذلك إلا أن يكون أسلوبًا من أساليب تبليغها، وعليه أن يفهم الدعوة بمعناها الشامل فهي منهج حياة كامل في الجوانب الحياتية المختلفة؛ ذلك لأن الدعوة الإسلامية موضوعها الإسلام بجوانبه الثلاثة العقيدة والشريعة والأخلاق.

(د) كثرة المؤسسات والمراكز الاستشراقية التي تدرس واقع المسلمين

تكثر المؤسسات والمراكز الاستشراقية التي تدرس الإسلام وأحوال المجتمعات الإسلامية في الدول الغربية، وتظهر آثار هذه المشكلة من خلال:

- دراسة أحوال العالم الإسلامي للوقوف على نقاط القوة والضعف فيه، وبناء خططهم الكيدية تبعًا لذلك، ويتمثل هذا في مراكز الدراسات الاستشراقية التي تُعنى بهذا الأمر.

• دراسة نفسيات زعماء العالم الإسلامي لمعرفة جوانب الضعف فيهم، والتي يمكن من خلالها السيطرة عليهم، وفرض ما يريدون على شعوبهم من خلالهم.

• دراسة تطورات مواقف العالم الإسلامي المختلفة تجاه الأحداث الجارية، والنظريات المتنوعة التي تريد الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ.

• عقد المؤتمرات، وإبرام المعاهدات والاتفاقات بين الغرب، وبين دول العالم الإسلامي الضعيفة التي تؤثر سلبًا على واقع الإسلام والمسلمين.

العلاج: يكمن العلاج لحل هذه المشكلات في تقوى الله عزَّ وجلَّ والصبر على هذا المكر السيء من المتربصين بالدعوة والدعاة، وإتقان العمل الصالح، والاستمرار عليه، وتحقيق وحدة الصف المسلم، ونبذ التفرق والشقاق، واللجوء إلى الله وحده، والتضرع إليه، والبذل والتضحية في سبيل الله، والجهاد في سبيله، والتعقل في العمل الدعوي، وعدم استعجال النتائج، وعدم الركون إلى الأعداء وتَوَلِّيهِم، والتصديق بوعد الله، والجزم بأن العاقبة للمتقين، وتفويض الأمر إليه، وحُسن التوكل عليه.

(هـ) كثرة المؤسسات الدعوية وتنوعها

تتمثل مشكلة هذه المؤسسات في الآتي:

• انتشار النظرة الخاطئة إلى التعددية العلمية والعملية في العمل الإسلامي.

• عدم تنسيق الجهود في العمل الدعوي فيما بينها.

• إساءة فهم الخلاف أيًّا كان نوعه بين هذه المؤسسات، والغفلة عن طبيعته وأسبابه مما أثار العداوة والشقاق فيما بينهم، وفرَّق صفوفهم، وعمَّق في نفوسهم الفردية والأنانية، وأشاع روح العصبية والحزبية...الخ.

العلاج: يكمن العلاج لهذه المشكلات في المراجعة المستمرة للعمل الدعوي، واعتماد مبدأ النقد الذاتي، والعمل الجاد على متابعة الخطط الدعوية ومراجعتها، وتطوير الأساليب، وتقوية الوسائل، وتصحيح الأخطاء. كما يكمن العلاج لهذه المشكلة في رفع الحواجز الانتمائية على مستوى الأفراد، ونبذ العصبية الحزبية على مستوى الجماعات، وعقد لقاءات دعوية مفتوحة على سبيل الحوار للوصول إلى الحل الأفضل، والعلاج الأنجع، وترك «الأنا الفردية، و «الأنا الجماعية»

المبحث الثاني: نماذج للدعاة في العصر الحديث

في هذا المبحث سنعرض لنماذج من أبرز الدعاة المعاصرين الذين لهم أثرٌ وجهدٌ واضح في الدعوة إلى الله علميًا وعمليًا، على نطاق واسع.. وهم:

- الشيخ: عبد الله بن زيد آل محمود. – رحمه الله.
- الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري – رحمه الله.
- الدكتور عبد الرحمن بن حمود السميط – رحمه الله تعالى.

وسوف يكون التركيز على إبراز معالم المنهج الدعوي والأساليب والوسائل والآثار الدعوية لهؤلاء الأعلام، مع إحالة القارئين والدارسين لوسائط ومصادر تعليمية أخرى لمعرفة المزيد عن حياتهم ونشأتهم وجهادهم في سبيل الدعوة.

(1) الشيخ: عبد الله بن زيد آل محمود ـ رحمه الله

هذه ترجمة مختصرة لعلم من أعلام القضاء في الجزيرة العربية وعالم من علمائها الأفذاذ الشيخ العلامة عبد الله بن زيد آل محمود– رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

اسمه ونسبه

هو العالم الجليل والفاضل النبيل، الشيخ العلامة (عبد الله بن زيد بن عبد الله بن محمد بن راشد بن إبراهيم بن محمود)، ينتهي نسبه إلى الأشراف من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. كنيته: أبو محمد ومحمد أكبر أبنائه.

مولده ونشأته

ولد الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود بحوطة بني تميم في نجد عام 1329هـ، وقد نشأ بها في كنف والديه، وقد توفى أبوه ولم يبلغ الشيخ عبد الله سن الرشد، فتولى رعايته خاله حسن بن صالح الشثري، وقد سمت همته لطلب العلم منذ الصغر، فتلقى العلم

على عدد من مشايخ الحوطة.

وكان قد بدأ بالقرآن الكريم فحفظه وهو صغير، وبدأ بدراسة العلم مع ما موهبة الله من استيعاب ذهني؛ حيث فاق زملاؤه في الطلب، وتقدم إمامًا على جماعته في الصلاة والتراويح، ويم يتجاوز سنه الخامس عشرة.

وقد وفق لطلب العلم على عدد من أئمة الدعوة السلفية في زمنه، فأخذ عنهم العلم الشرعي، ومنهم:

1- مفتي الديار السعودية العلامة الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المتوفي سنة 1389هـ.

2- العلامة الشيخ/ محمد بن عبد العزيز بن مانع المتوفي سنة 1385هـ.

3- الشيخ / عبد العزيز بن محمد الشثري المتوفي سنة 1387هـ، الشهير بأبي حبيب.

4- الشيخ / عبد الملك بن الشيخ إبراهيم بن عبد الملك بن حسين آل الشيخ.

نبوغه في العلم

ومن شواهد نبوغ الشيخ عبد الله استظهاره لعدد من المتون العلمية ومنها:

1- **في العقيدة:** الأصول الثلاثة وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله، والواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية ـ رحمه الله ـ.

2- **في الحديث:** بلوغ المرام للحافظ بن حجر، وعمدة الحديث للحافظ عبد الغني المقدسي، وحفظ ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.

3- **في الفقه:** آداب المشي إلى الصلاة، وزاد المستقنع، ونظم المقنع لابن عبد القوي.

4- **في العربية:** حفظ متن الآجرومية، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك.

أبرز أعماله

تولى الوعظ والتدريس بالمسجد الحرام بتكليف من مفتي المملكة الشيخ محمد بن

إبراهيم آل الشيخ، وقد مكث ما يقرب من سنة في مكة، ثم رحل إلى قطر لتولي القضاء فيها بعد أن رشحه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع بمباركة من الملك عبد العزيز آل سعود، والشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني.

وقد باشر عمله بالقضاء والخطابة والتدريس منذ وصوله إلى قطر، ولم يزل فيها إلى أن توفي، مع تردده إلى مسقط رأسه ومرتع صباه (الحوطة) جنوب مدينة الرياض.

صفاته

كان الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود يتمتع إلى جانب العلم الواسع بتواضع جم وحكمة ولباقة في تيسير المسائل الشرعية، وبيان مشرق عذب في الخطابة والمحاضرة، وصياغة جميلة وأسلوب رصين في الكتابة والتأليف في المواضيع الإسلامية التي عالجها وفي المشاكل التي يواجهها المسلمون اليوم.

ولخصاله الحميدة وأخلاقه الجميلة كان موضع حب الناس وتقديرهم على اختلاف الطبقات.

مؤلفاته

ألف ـ رحمه الله ـ كثيرًا من الرسائل والكتب المهمة، تناول بعضها اجتهاداته في الأمور الشرعية وقد جاوزت مؤلفاته الستين رسالة؛ منها: تيسير الإسلام، بدعة الاحتفال بالمولد، أحكام عقود التأمين، الجهاد المشروع في الإسلام، الأحكام الشرعية ومنافاتها للقوانين الوضعية، كتاب الصيام، الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة.

وفاته

بعد حياة حافلة في خدمة الإسلام والمسلمين أدى فيها الشيخ دورًا مهمًا وفاعلاً في الحياة العلمية والاجتماعية على نحو مشرف وغاية سامية نبيلة.

انتقل الشيخ إلى جوار ربه سبحانه وتعالى في حوالي الساعة التاسعة من صباح يوم

الخميس في أواخر العشر المباركة من الشهر الفضيل رمضان، وذلك في اليوم الثامن والعشرين منه من عام 1417هـ الموافق للسادس من فبراير لعام 1997م عن عمر ناهز التسعين عامًا.

وصلى عليه بالمسجد الكبير، بعد صلاة عصر يوم الخميس، وقد أم المصلين للصلاة عليه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وقد ازدحمت جنبات المقبرة وغصت بالناس وقد بكاه أهل قطر رجالاً ونساءً، وقد رؤيت له رؤى حسنة قبل وفاته وبعدها.

فجزاه الله خيرًا.. وأدخله فسيح جناته.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(2) الشيخ/ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله على الأنصاري، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل ابن الصحابي قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهم. وقد سأله الأستاذ أحمد حمماني عن نسبه في الأنصار، وهل يعرف جده منهم، فقال: سعد بن عبادة رضى الله عنه.

كنيته: أبو محمد ، **لقبه:** خادم العلم

مولده ونشأته

ولد- رحمه الله – عام 1335 هـ، 1916م، بقرية (جعفر مسلم) إحدى قرى ساحل فارس، من أبوين كريمين، فقد كان أبوه الشيخ إبراهيم الأنصاري- رحمه الله تعالى- شغوفًا بالعلم منذ صباه، فحفَّظ القرآنَ الكريم، وقام بتعليم الأولاد، ومن رغب من الأنصار، ثم رجع إلى فارس عام 1332هـ، 1913م فلازم مجلس سلطان العلماء (في لنجة) وتزوج أم عبد الله، ومَنَّ الله تعالى عليه.. وقيل: ولد في مدينة الخور سنة 1340هـ، 1922م

عمل والده- رحمه الله- مفتيًا لهذه المنطقة والمحكَّم فيها، وكان هو العالم والمعلم لعلوم الشريعة واللغة العربية في هذه الأسرة، وتحت هذا الوالد نشأ عبد الله فحفَّظَهُ والده

القرآن الكريم وتولى تأديبه، وحين عاد الشيخ إبراهيم إلى الخور عام 1344هـ، كان عبد الله في صحبته، وقد بلغ التاسعة من عمره، وقد أوشك أن يتم حفظ القرآن الكريم، فتابع معه التحفيظ حتى وفقه الله تعالى لختم القرآن الكريم وهو في العاشرة أو بعدها بقليل.

ورث عبد الله عن والده، خُلقًا كريمًا، وأدبًا جمًا، وشغفًا بالعلم، وسدادًا في الرأي، وقوة في الحق، وبشاشة في الوجه، وبِرًا بأهله، ووفاء لوطنه، وقد زكَّي ذلك فيه اعتصامه بالدين وتعلقه بالقرآن الكريم. وقد كان بكاءً، لذكر الله، خاشعاً، طيب السريرة والطوية رحمه الله رحمة واسعة.

أبرز أعماله الدعوية والتربوية والاجتماعية:

- عمل إماما وخطيبًا للمسجد الجامع في قرية دارين.

- كان للشيخ الأنصاري-رحمه الله- مجلسٌ بعد صلاة العشاء في المسجد الذي يؤم فيه الناس للصلاة، وقد التفَّ حوله الشباب والرجال من أهل دارين.

- تولى معالجة الخلافات والبت في القضايا التي كانت تحدث بين أهل القرية.

- تولى عقود الزواج والطلاق والأحوال الشخصية طوال هذه المدة.

- عمل قاضيًا مساعدًا لقاضي القطيف.

- انتقل للعمل بالتدريس ومدير للمدرسة الرسمية التي أنشأتها وزارة المعارف السعودية عام 1369 هـ، حيث قضى فيها ثلاث سنوات.

- أنشأ أول معهد ديني في قطر سنة 1376هـ.

- أسندت إليه مسؤولية إدارة الشؤون الدينية والقروية التابعة لوزارة المعارف حتى عام 1397هـ، حيث أُنشئت إدارة الشؤون الدينية على مستوى دولة قطر إليه، واختصت بالوعظ والإرشاد ونشر التراث الإسلامي، وطباعة الكتب الإسلامية وتحقيقها ومراجعتها، وإنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم.

- أقام ندوات إسلامية عديدة ومتنوعة في مساجد الدوحة على مدار أيام الأسبوع.

– كان عضوًا في أغلب الهيئات الإسلامية، منها رابطة العالم الإسلامي التي كلفته بالإشراف على المصالحة بين منظمات الجهاد الأفغاني مع علماء آخرين، ولقد وفقهم الله في إتمام هذا الصلح في بداية حركة الجهاد.

– أشرف على مدارس تحفيظ القرآن الكريم في قطر، وأجرى لها مسابقات سنوية، إضافة إلى تشجيع الطلاب على الاشتراك فيها، وصرف مكافآت تشجيعية لهم.

– اهتم بنشر الدعوة الإسلامية، وعمل على تفريغ الدعاة والأئمة والمدرسين للدعوة وللتعليم حيث قام بتوفير المساعدات المالية لهم، وساهم بدور كبير في إنشاء المدارس والمعاهد والمساجد والمراكز الدعوية والتعليمية، واستمرار الدعم لها ورفدها لتنهض في أداء رسالتها الإسلامية.

– شارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، كما كان عضوًا في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

– ترأس المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة في قطر في العام الهجري (1400هـ)، وكان المؤتمر ناجحًا بكل المقاييس، تمخض عن توصيات ومقترحات أصبح لها دور فاعل وكبير في التربية والفقه وعلوم السنة والسيرة، على الخريطة العربية والإسلامية.

– ساعد الكثير من البلدان الإسلامية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان له نشاط اجتماعي ملموس في عمل الخير والإصلاح بين الناس في داخل قطر وخارجها.

– أسهم في الكثير من الأنشطة الخيرية الإسلامية، فقد كان عضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا برابطة الأدب الإسلامي، وعضو مؤسس لمنظمة الدعوة الإسلامية، والمجلس الأفريقي الإسلامي.

– أسهم في تأسيس المراكز الإسلامية في كل من كوريا واليابان والفلبين وسنغافورة وتايلاند وألمانيا وفرنسا وبعض الولايات الأمريكية.

– شارك في افتتاح المركز الإسلامي الياباني الذي قدَّم له الدعم السخي.

– سافر إلى باكستان لزيارة العلماء والدعاة فيها فقد كان له دور بالغ الأهمية في جمع كلمة المجاهدين الأفغان، وتكوين الاتحاد الإسلامي.

– ترأَّس بعثة الحج القطرية لسنوات عديدة، وبنى مسجدًا جامعًا في مكة المكرمة، وأنشأ مكتبة إسلامية عامرة تقوم بتوزيع كتب التراث الإسلامي.

– أوكلت إليه إدارة إحياء التراث الإسلامي بأمر من سمو أمير دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، في عام (1402هـ،1982م).

– أسس دار الأيتام الأنصارية في كيرلا بالهند، والتي أصبحت اليوم من أكبر الجامعات التكنلوجية بالهند، وأصبحت مدارسها من المدارس الرفيعة المستوى على صعيد كيرلا حتى أصبح يؤمُّها أبناء المسلمين وأبناء الهندوس، وأصبح يدرس فيها الفقراء بالمجان، بينما يدفع الأغنياء ورجال الأعمال ورجال الحكومة مصاريف أبنائهم ليضموهم إليها.. مما سهَّل عمليه تعليم الفقراء.

– شارك في العديد من الأنشطة الخيرية في داخل دولة قطر وخارجها.

– من أبرز جهوده في خدمة العلم، نشره الكتب المفيدة، فقد كان له جهود في التأليف والتحقيق والمراجعة والعناية بالطباعة والنشر للكتب النافعة؛ من أجل خدمة الدعوة الاسلامية داخل وخارج قطر [1]

–كان له برنامج إذاعي في كل يوم جمعة عبر أثير إذاعة قطر، وكانت موضوعاته متنوعة، فكان يتحدث في المناسبات الدينية المختلفة ويعظ الناس خاصة في شهر رمضان، وفي موسم الحج، حيث كان يعلم الناس شروط الحج وفرائضه، ومبطلاته، ويأمرهم بأن يحسنوا نياتهم وأن يجتنبوا الرياء والسمعة.

–ترأس الشيخ المؤتمر العالمي في دورته الثالثة سنة 1400هـ، والذي حقق العديد

(1) الموقع الرسمي لأهل السنة والجماعة في إيران؛ مقال بعنوان الشيخ عبد الله الأنصاري؛ عبقري من عباقرة فارس؛ المنشورة بتاريخ: 09 يوليو 2011م.

http://www.sunnionline.us/arabic/index.php/genius-of-iran

من النجاحات بسبب جهوده المباركة، ومقترحاته التي طرحها والتي كان لها عظيم الأثر في التربية وعلوم السنة. (1)

-ألقى الكثير من المحاضرات والخطب الدينية في مجالات الدعوة الإسلامية في دولة قطر، والكثير من دول المنطقة ودول العالم بجانب المؤلفات الأخرى الدعوية والتي جابت العالم شرقًا وغربًا.

-وصلت دعوته إلى قارات العالم (آسيا وأفريقيا وأوروبا) والتقى بكثير من الدعاة والعلماء ورؤساء المؤسسات والجمعيات الخيرية.

-ساهم في حصول منح طلابية لمسلمي لقارة أفريقيا، وساهم في دفع مبالغ مالية للمساعدة بالإضافة إلى الكتب التي تقدم لهم مجانًا من أجل التشجيع لهم. (2)

-شارك رحمه الله في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

-أثنى من خلال محاضراته على الصحوة الإسلامية المباركة، ودعا لمن كان السبب في جمع الشباب المسلم على المنهج الصحيح والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين، والتصدي لتيارات الكفر المستوردة التي تريد إبعاد الأمة عن دينها. (3)

-كان للشيخ دور بارز في إحياء التراث الإسلامي، وذلك من خلال الإشراف على مختلف الأنشطة المتعلقة بذلك الأمر في مختلف دول ومناطق العالم الإسلامي.

وفاته:

لقد كان لوفاة الشيخ الأنصاري-رحمه الله- ردود فعلٍ مدوِّية في أنحاء العالم

---

(1) فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري رحمه الله، تم استرجاعها بتاريخ 1 ديسمبر 2014، من:
http://www.islamweb.net/ar/index.php

(2) كتاب: رجل من قطر؛ لمحمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري؛ من موقع؛ مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه: http://www.quran.com/writings-of-abdullah-alansari

(3) كتاب؛ فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري – يرحمه الله؛ واقع وتاريخ؛ مرجع سابق، 2001م.

الإسلامي، وكانت جنازته من الجنازات المشهودة في قطر، بل والعالم الإسلامي، فقد فارق الحياة، ولحق بجوار ربه في الخامس عشر من أكتوبر، عام 1989م، عن عمر يناهز 75 سنة، ودفن بالدوحة.

وقد أمَّ الصلاة عليه سماحة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود قاضي القضاة ومفتي الديار القطرية، وألقى سماحة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي كلمة تأبينية حُفرت في القلوب وتناقلتها العقول، وقد غصَّ جامع قطر الكبير (مسجد الشيوخ) بالمصلين، حتى كان يقام صفٌّ لمصلي الجنازة بين الصفين، ومع ذلك تعبأت الساحات الخارجية للمسجد، وأغلقت بعض الشوارع المحيطة بالمسجد.

وفي رثائه يقول القاضي الفاضل/ عبد القادر العماري في مجلة المجتمع الكويتية: (إن الحزن على الشيخ عبد الله الأنصاري حزن على ثروة من الخُلُقِ والعلم والفضائل والتجارب، فقد كان بالأمس بيننا ملء السمع والبصر، يفيض علينا من روح السماحة والمحبة ودماثة الأخلاق وكريم السجايا ونور العلم، فقد حرص على أن يكون كل ذلك، وأن يكون واسطة خير، وأن يستخدم مكانته وجاهه ونفوذه من أجل نشر العلم، وفعل الخير، وقد وجد التجاوب من الدولة وأميرها وولي عهده لتحقيق الهدف السامي في نشر الثقافة الإسلامية وتعميم الكتاب الإسلامي، إذ لا تكاد تجد مدينة في العالم الإسلامي إلا وفيها هدايا دولة قطر من الكتب النافعة.)

وفي وفاته جاء إلى الدوحة (420) مُعَزٍّ، أما البرقيات فقد بلغت (1400) برقية، إنه فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

وقد استمر مجلس عزائه لمدة زادة عن العشرة أيام، وظل المعزون يتوافدون بعد ذلك بقرابة الشهر.

رحم الله الأنصاري، فقد وهب نفسه للإسلام والمسلمين، وأعطى للعلم جلَّ حياته فحقَّ أنْ يُلقَّب: «بخادم العلم»

(3) الداعية الدكتور/ عبد الرحمن بن حمود السميط (رحمه الله)

مولده

ولد في الكويت عام (1366هـ/ 15 أكتوبر 1947-وتوفي عام 8 شوال 1434هـ / 15 أغسطس 2013)

وهو داعية كويتي مؤسس لجمعية العون المباشر -لجنة مسلمي أفريقيا سابقًا - ورئيس مجلس إدارتها ورئيس مجلس البحوث والدراسات الإسلامية، ولد في الكويت عام 1947. أسلم على يديه أكثر من 11 مليون شخص في إفريقيا بعد أن قضى أكثر من 29 سنة ينشر الإسلام في القارة السمراء ما يقرب حوالي 972 مسلمًا يوميًا في المعدل.

ألقابه

لقب بعدة ألقاب، من أشهرها: خادم الدعوة ـ المؤسس ـ الدكتور ـ رجل بأمة ـ خادم فقراء إفريقيا ـ سفير الخير ـ فارس العمل التطوعي ـ ملك إفريقيا ـ سيد دعاة العصر ـ مؤسسة في رجُل ـ عبد الرحمن الفاتح.

شخصيته

كان مُحِبًّا للقراءة منذ صغرة فكان يُطالع في شتى العلوم، ولم يكن ليترك كتابًا بدأه حتى ينتهي من قراءته، وكان شغوفًا بشراء الكتيبات والكتب الجديدة وقراءتها، وكان لالتحاقه بالكشافة منذ صغره أثر كبير على شخصيته، فقد تعلم الجلد والصبر والقيادة والتعاون وتنفيذ المهام بإتقان ومواجهة الصعوبات بالتحدي والعزيمة؛ ولذلك استطاع أن يتجاوز الكثير من العقبات في سبيل الدعوة في أفريقيا فقد كان يبيت في الصحراء ويعيش الأيام على القليل من الطعام ويواجه صعوبات كثيرة في التنقل بين القرى وكان يسير على قدميه كثيرًا ويتنقل بين القرى بأي وسيلة تنقله إلى هدفه وما كان يستصعب شيئًا خطط له ورام تحقيقه.

كان السميط هادئا ذا شخصية قوية قليل الكلام محبًّا لعائلته، يعشق الأطفال، شديد الكرم، صاحب همة عالية وجلد كبير، صبور عجز الآخرون من مسايرته، ويعتبر ذلك ضعفاً منهم، له رؤية واستبصار، قوي يستطيع تحديد الأولويات، ولا يتفاعل مع المواقف بل له رؤية استراتيجية واضحة، كما كان زاهداً في كل شيء، فيلبس الأرخص وحياته كلها بساطة مثل سيارته وساعته التي دامت معه 30 سنة، أُهدي له الكثير من الساعات فكان إما يعيدها، أو يرفضها، أو يتبرع بها إلى اللجنة، أو تباع، أو تهدى لمسؤول في دولة أفريقية شكرًا له لتسهيله أمور اللجنة وتقريبًا للقلوب، فالحقيقة قد سقطت الدنيا من عينيه، وتجرد من كل متاعها.

وبعد تخرجه كان السميط قريبًا من أفراد أسرته، شديد الكرم مع شدة حرصه وزهده مع نفسه، كان يغضب كثيرًا إذا علم أن أحد إخوته اشترى شيئًا يراه غاليًا ويراه إخوته شيئًا متوسطًا يشتريه كل مَنْ حولهم من نفس طبقتهم الاجتماعية. كانت لدى السميط آله حاسبة في ذهنه تترجم سريعًا قيمة أي شيء إلى كمْ يكفي هذا المبلغ لكفالة طالب علم أو توفير احتياجات أسرة في أفريقيا؟ أو كم يستطيع إنقاذ مريض به؟ وقد انتقل ذلك إلى حد كبير فيما بعد إلى أسرة آل سميط جميعها، فأصبحوا يحاسبون أنفسهم كما يفعل عبد الرحمن.

كان كثير المزاح خاصة مع الصغار وكبار السن حتى كان الصغار ينتظرون قدومه في يوم اللقاء العائلي ويبدؤون بالضحك والصراخ والجري من لَعِبِهِ ومازحته لهم وهداياه لهم، أما كبار السن فيمازحهم ويدخل السرور إلى نفوسهم بفهمهم الكبير لهذه الحياة. كما عُرف عنه بأنه صعب المراس له أهداف واضحة شغوف بمساعدة الفقراء من دون النظر إلى ديانتهم. وجمعية العون المباشر الآن بجهود السميط تعمل في ثلاثين دولة أفريقية سار فيها السميط على قدميه لخدمة دينة والإنسانية جميعًا.

وصفه البعض لاحقًا بأنه ظاهرة في العمل الخيري والإنساني، كان السميط حازمًا

في عمله، رقيقًا في التعامل مع الآخرين، طفلاً مع الأيتام، عشق عمله وأحبه الآخرون، لديه روح الإبداع والتحدي، ميدان من الطراز الأول يبكي لمرض يتيم أو حاجة عجوز أو عوز فقير، كان يبتسم ويفرح حين يعرف أن أحد الأيتام نجح بامتياز وأصبح ذا شأن في بلده، كان أبًا مع الأيتام، يتمتع برفقتهم، يشرف على كل كبيرة وصغيرة، وفي حال عودته إلى الكويت كان دائم السؤال عن أحوال الموظفين وتلمس حاجاتهم، وكان دائم التواصل مع المتبرعين في السراء والضراء.

تعليمه

كان طبيبًا متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي. تخرج في جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ثم حصل على دبلوم أمراض مناطق حارة من جامعة ليفربول عام 1974، واستكمل دراساته العليا في جامعة ماكجل الكندية متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي.

زواجه

تزوج من زوجته أم صهيب بعد تخرجه من الجامعة بعام ونصف وأنجبت منه أربعة من الأبناء، وكانت تقوم بواجب رعايتهم أثناء غيابه، ولا تحمله مشاكل مرضهم أو تعليمهم؛ ليتفرغ للدعوة إلى الله تعالى، وقد تربوا جميعًا على حب الدعوة والعمل الخيري. وكانت زوجته أم صهيب نعم العون له على الدعوة إلى الله تعالى فقد تبرعت بكل ميراثها في سبيل الدعوة، ورحلت معه للعيش في أفريقيا والدعوة، تاركة الترف والراحة. ولما رجع الدكتور السميط يومًا إلى الكويت عمل تاجرًا وكان يربح كل يوم مبلغًا كبيرًا فنهته زوجته، وقالت له: أنت لم تُخلق للتجارة، إنما للدعوة إلى الله في أفريقيا، وبذلك ضربت هذه الزوجة الوفية المثل في التضحية وحسن العشرة لزوجها وخدمة دينها، وصارت نموذجًا لبنات عصرها زُهْدًا وَوَرَعًا وعلمًا وحكمةً.

مكانته الاجتماعية

نال السميط عددًا من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز جائزته والتي تبرع بمكافأتها وقدرها-750 ألف ريال سعودي -لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

شارك السميط في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 1976، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام 1980، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة 1987، وهو عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو في جمعية النجاة الخيرية الكويتية، وعضو جمعية الهلال الأحمر الكويتي، ورئيس تحرير مجلة الكوثر المتخصصة في الشأن الأفريقي، وعضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، وعضو مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن، ورئيس مجلس إدارة كلية التربية في زنجبار، ورئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كينيا، ورئيس مركز دراسات العمل الخيري حتى وفاته.

كما ساهم في تأسيس فروع لجمعية الطلبة المسلمين في مونتريال وشيربروك وكويبك بكندا بين العامين 1974 و1976، ولجنة مسلمي أفريقيا، وهي أول مؤسسة إسلامية متخصصة عام 1981، ولجنة الإغاثة الكويتية التي ساهمت بإنقاذ أكثر من 320 ألف مسلم من الجوع والموت في السودان وموزمبيق وكينيا والصومال وجيبوتي خلال مجاعة عام 1984. وتولى أيضًا منصب أمين عام لجنة مسلمي أفريقيا منذ تأسيسها والتي أصبحت أكبر منظمة عربية إسلامية عاملة في إفريقيا.

محنته

تعرض في أفريقيا لمحاولات قتل مرات عديدة من قبل المليشيات المسلحة بسبب

حضوره الطاغي في أوساط الفقراء والمحتاجين، كما حاصرته أفعى الكوبرا في موزمبيق وكينيا وملاوي غير مرة لكنه نجا بفضل الله تعالى. بالإضافة إلى لسع البعوض في تلك القرى وشح الماء وانقطاع الكهرباء، وتسلق جبال كلمنجارو في سبيل الدعوة إلى الله، وتعرض في حياته لمحن السجون وكان أشدها قسوة أَسْرَهُ على يد البعثيين في العراق فقد أشرف فيها على الموت لكنه كان يقول: كنت على يقين أني لن أموت إلا إذا جاء أجلي.

قضى ربع قرن في أفريقيا، وكان يأتي للكويت فقط للزيارة، أو العلاج كما مارس الدعوة في كل من الأسكيمو والعراق. كانت سلسلة رحلاته في أدغال أفريقيا وأهوال التنقل في غاباتها محفوفة بالمخاطر، وذلك بتعريض نفسه للخطر لأجل أن يحمل السلام والغوث لأفريقيا بيد فيها رغيف ويد فيها مصباح نور وكتاب، وسلاحه المادي جسده المثخن بالضغط والسكر والجلطات، وأما سلاحه الإيماني الذي حسم معارك السميط في سبيل الله والمستضعفين فآيات استقرت في قلبه.

استمر السميط يعمل في الدعوة بعد أن طعن في السن وثقلت حركته وأقدامه ورغم إصابته بالسكر وبآلام في قدمه وظهره. وفي أواخر سنواته استحالت حالته الصحية غير مستقرة وأخذ يعاني من توقف في وظائف الكلى وخضع لعناية مركزة في مستشفى مبارك الكبير. واستمر على تلك الحال حتى توفي يوم الخميس 15 أغسطس 2013.

زهده وتواضعه

أحب السميط عمله في أفريقيا حتى صار عشقًا، لم تنجح الدنيا في أن تجد لها نصيبًا في اهتماماته، ولم يكن لمتاعها أي جذب لقلبه، دخل أحد العاملين يعرض على السميط تكلفة عمل من أعمال النجارة فاستكثر السميط المبلغ المطلوب، ووجهه إلى حفظ الأموال ما أمكن، وقام بالعمل بنفسه مبينًا له بساطته، وأنه لا يستحق هذا المبلغ. استطاع السميط أن ينجز أعمال لم تنجزها مؤسسات وهيئات ودول وأحزاب.

كان إذا أراد الذهاب إلى أفريقيا لتفقد المشاريع ومعرفة الأحوال هناك، يسأل أولاً

عن الموظفين وزوجاتهم وأبنائهم ويحمل لهم الهدايا والألعاب، ويسأل عن حاجتهم حتى يلبيها لهم، كان يزورهم في بيوتهم ويجلس معهم ويداعب أبنائهم ويلاعبهم حتى ارتبط في وجدانهم باسم الوالد، ساهم في تجديد إبداعي وإضافي في الدعوة إذ كانت له المقدرة التي ساعدته على فتح قلوب الناس قبل جيوبهم، وتحبيب الدعوة والعمل الخيري إلى نفوسهم، كثيرًا ما كان يقسو على نفسه في العمل ويظل ليالي طويلة من دون نوم، أو تناول طعام أو يشرب الشراب إلى درجة لا يقوى جسده على الاحتمال فينهار مُرغمًا ويستسلم للمرض والإرهاق وفي نفسه شيء من الحزن والأسى إذْ كيف يضيع هذا الوقت في النوم والراحة والناس في حاجة إلى إليه والأعمال في انتظاره.

وفي موقف يمثل تواضعه سافر معه أحد عاملي الجمعية لأول مرة إلى أفريقيا فقال له السميط: «بما أن هذه أول مرة تسافر فيها إلى أفريقيا معي فأنت في ضيافتي طوال هذه الرحلة ولكن بشروطي» فقال له الداعية: «أقبل بكل شروطك حتى قبل أن أعرفها» فزجره السميط وعنفه وهو يقول: «لا توافق على شيء قبل أن تعرف شروطه» فقال الداعية: «كان هذا أول درس أتعلمه منه.» قال السميط: «أنت ضيفي فلا تطبخ ولا تغسل ولا تجلب شيئًا لنفسك حتى ملابسك أن أغسلها لك وأقوم بخدمتك ما دمت في ضيافتي؛ فأفريقيا بيتي، وكل قادم إليها عن طريقي هو ضيفي حتى يرجع إلى أهله.» وقد كان ما أراد فكان يطبخ ويغسل الأواني والملابس ويكنس الدار بنفسه وهو سعيد بما يفعل دون عبوس. وفي أحد الأيام قام الداعية بغسل الأواني بعد وجبة الغداء وعندما علم السميط بأمره طلب منه العودة إلى الكويت لعدم التزامه بآداب الضيافة وشروط الاتفاق.

كان يقدم الشاي والقهوة إلى ضيوفه الجالسين وكأنه خادمهم ويجثو على الأرض ويسأل الناس عن حالهم. ويقول «أنا أبسط من أن أكون داعية فما زلت في بداية الدرب، والدعوة حقيقة أكبر مني. نام كثيرًا على أرض يابسة، وأكل طعام منتهي الصلاحية، وقدم لأطفال كينيا عندما ضربتهم المجاعة شوربة الإنقاذ المكونة من طحين وماء وزيت في

وسط صحراء قاحلة لا ماء فيها وزرع.

تبوأ بجهود السميط وجمعية العون المئات من أيتام أفريقيا اليوم مناصبَ عُليا في تلك الدول. ففي إحدى المرات طلب السميط لأحد مرافقيه ممازحًا أن يكتب وصيته قبل مرافقته إياه، وأن يختار نوع الحيوان الذي سيأكله أسداً أم نمراً أم... نظرًا لخطورة الرحلة وهذا جانب آخر من شخصية السميط المتمثلة في المرح والمزح.

كان السميط زاهدًا في الدنيا معرضًا عنها، فكانت ملابسه من أرخص الملابس إذ كان يشتري الجاهز منها واليسير، وقلمه من أرخص الأقلام، وقد استخدم سيارته لمدة سبع عشرة سنة لم يغيرها، وكان يقول المهم أنها توصلني إلى هدفي، حتى أثاث بيته هو الآخر كان عمره طويلا، قال جاسم المطوع: وُلِدَ السميط وقلبه معلق بالآخرة، تراه يمشي ولكن فكره وقلبه وهمه مع المسلمين، حتى الكتب التي كان يكتبها والرسائل الإلكترونية التي كان يرسلها كان يكتب في نهايتها خادم الدعوة عبد الرحمن السميط.

قال السميط يومًا وهو يحمل يتيمًا على كتفه: «أعاني من مرض السكر، وأجريت لي ثلاث عشرة عملية جراحية، منها ثلاث في القلب، لكنني مجرد ما أجلس مع الأيتام وأعيش معهم فترة، أنسى ما بي من أمراض وآلام.»

كان السميط يعمل بصمت وبإخلاص، كان يفهم الإعلام لكنه لم يكن يحب الظهور فيه، يعرف السياسة ويتجنب دخول دهاليزها، يتقن التجارة ولكنه يتحاشاها، كان من الناجحين في مهنته الطبية لكنه تركها من أجل أفريقيا.

من أبرز صفتين فيه: حب العمل وإتقانه. ولم يفرق السميط يوما قط بين مسلم وكافر طيلة عقود عديدة في القارة الأفريقية الفقيرة، فهو لم يطعم المسلم ويحرم الكافر بجانبه بل جعلهم سواء؛ لأنهم مشتركون بحق الإنسانية. ولم يطلب يومًا شهرة ولا مكانة بل كانت همته خدمة إخوانه المسلمين في أفريقيا من الذين ابتلوا بالمرض والجوع والفقر، وكان رد المكافأة يوم مرضه واشتداد أزمته إذ بأفريقيا تصدح له بالدعاء، وقامت المساجد

في بعض البلدان حسب ما توارد من أخبار بالدعاء في الصلوات له، وهنالك الكثير لم نعلمه مما أصاب الناس بمرض السميط.

عمله الدعوي الاجتماعي، وفقهه (رحمه الله)

بدأ السميط العمل من خلال لجنة مسلمي أفريقيا في بداية الثمانينات على شكل مشاريع محدودة جدًّا وذلك ببناء بعض المساجد في ملاوي، لم يكن الدكتور السميط يدرك ضخامة وخطورة الأوضاع التي تعاني منها المجتمعات المسلمة هناك وبخاصة ما يتعلق بِهُوِيَّتِهِم الدينية والحضارية. كانت الأهداف محدودة بتقديم بعض المساعدات، وبناء بعض المساجد، وحفر بعض الآبار، إلا أنه بدأ يدرك بسرعة، عندما بدأت اللجنة تجوب البلدان وتتوغل داخل القارة، أن المخاطر والتحديات هي على درجة كبيرة جدًّا من التعقيد والشراسة، فأدرك أنه من المستحيل التفكير في دعم وترسيخ الهُوية الإسلامية للشعوب الأفريقية من دون العمل على تنمية تلك المجتمعات التي يعيش معظمها تحت خط الفقر، وبالتالي تغير مفهوم الدعوة لديه من دلالات المصطلح التقليدي إلى فهم شمولي للنهوض بالمجتمعات المسلمة الأفريقية نهضة شاملة، لقد اكتشف أوضاعًا مُرْعِبَةً للمسلمين في أفريقيا فشعر كما قال:

«إذا لم ندعم المسلمين في مجالات معينة من التنمية الاجتماعية، فسنكون عندئذ كمن يمارس نوعًا من النفاق، لأنه من غير المتصور أن نساهم في تذكير المسلمين بدينهم، ودعوة غير المسلمين إلى هذا الدين، بينما هم يتضورون جوعًا، وتموت نسبة مرتفعة جدًّا من أطفالهم بسبب سوء التغذية أو بسبب الأمراض المنتشرة.»

وضع السميط أرضية للعمل الخيري الميداني ولمؤسسة تتميز بالاستدامة وأوصل من خلالها المعْطِي بالمحتاج وفق أسلوب علمي. حرص السميط على أن يكون لعمله صفة الاستدامة فالماء جار لمن يريد أن يشرب، والدواء متوفر لمن يحتاج، والمدارس والجامعات مفتوحة لمن يشاء. أسَّسَ مشروعات للمستقبل حتى تستطيع أن تدير نفسها

بنفسها، ولم يكن يرى أن مهمته هي نقل المعطي إلى المحتاج فقط، بل كان هدفه تأسيس مؤسسات راسخة. «فمن إنجازات الداعية د. عبد الرحمن السميط –وما أكثرها –تحويل العمل الفردي إلى عمل مؤسسي لا يرتبط به.»

من أقوال الدكتور السميط عن الدعوة: «من يظن أن الدعوة يمكن أن تستمر بالعشوائية فهو مخطئ، ومن يظن أن الإسلام سينتشر بتخبط فهو واهم. العالم مليء بالمتنافسين وليس فيه مجال للمتخبطين والعشوائيين. العمل يكون بأسلوب علمي ومدروس ورزين بالتخطيط، ومن ثم قياس النجاح والفشل بشكل دوري وبطريقة علمية.»

تناول كُتَّابٌ ومحللون سيرة السميط وأعماله مؤكدين أنه قد غيَّر مفهوم الدعوة إلى الإسلام حين ربطها بتنمية المجتمعات غير المسلمة لتكون التنمية مدخلاً للإسلام.

رسم السميط لنفسه ولمن معه طريقًا يختلف عن طرائق الآخرين. طريق الجهد وتحمل التعب والمشقة وانتهاج أسلوب الحركة والعمل في الميدان لا الاقتصار على الجانب النظري والإداري فحسب كإلقاء الدروس والمحاضرات والندوات، الأمر الذي يجعل هذا النهج في أسلوب العمل الخيري والدعوة إلى الإسلام محفوفًا بالمشاق والصعاب والعقبات والمخاطر وهذا هو النهج الذي سلكه السميط في رسالته الرامية إلى نشر الخير والإسلام في ربوع القارة الإفريقية.

كما اهتم بنقل الحاجة والأخطار التي في أفريقيا لغيرها من باقي دول العالم حيث قدم السميط الكثير من الدعوات للصحفيين والمراسلين لنقل ما يحدث في أفريقيا، ونقل الحاجة لشعوبها لمن هم أفضل حال منهم. فكان السميط سببًا في تشجيع المانحين من الكويت على البذل والعطاء.

قد يكون التحدي الأصعب في تجربة السميط هو العاصفة الدولية التي ضربت العمل الخيري الإسلامي بعد أحداث سبتمبر، حيث تم اتهام أغلب الجمعيات الإسلامية

المانحة بتمويل الإرهاب، لكن السميط استطاع تجاوز هذه العاصفة بفضل الطابع الإنساني لكل نشاطاته في أفريقيا، وبسبب سيرته القائمة على التعاون والتحاور مع الإنسان مهما كان دينه أو مِلَّتُهُ، بالإضافة إلى العمل المؤسسي البعيد عن الارتجال والمنقى من أي تسييس.

حتى إنه كان يساعد بعض القرى قبل أن يسلموا وعندما يسلمون تقل المساعدات حتى لا يعتقدون أنه اشتراهم بالمساعدات، هذه مدارس جمعيته مفتوحة لكل الناس. الآبار التي حفرها مفتوحة للجميع. نموذج السميط ليس الوحيد بين العرب فثمة الكثير من الذين يسعون لإعانة الفقراء والمحتاجين في الداخل والخارج ولكنهم يعانون صعوبات متعددة أهمها: الإجراءات البيروقراطية المعقدة، ومزاحمة الجمعيات المانحة الكبرى القائمة منذ القدم على الارتجال، والبعيدة عن العمل المؤسسي الحديث.

مبدأ الرحمة بالدعوة

تركزت أعمال السميط في أفريقيا على مبدأ الرحمة فاجتذب ألوف الناس إليه، نادرًا ما كان يقدم كاش للفقراء ولكن كان يقدم مشروعات تنموية صغيرة مثل: فتح بقالات، أو تقديم ماكينات خياطة، أو إقامة مزارع سمكية، فهذه تَدُرُّ دخلاً للناس وتنتشلهم من الفقر وغالباً ما تترك أبلغ الأثر في نفوسهم.

الطريف أن بعض القساوسة يأتون للسميط غاضبين ويقولون: إن الكنيسة لاحظت انتشار الإسلام في مناطقهم وأنها طلبت منهم -باعتبارهم من السكان المحليين -الكتابة ضد الإسلام وتحذير الناس من هذا الدين. وطلب بعض القساوسة أن يمدهم السميط بالكتيبات لكي ينتقدوا الإسلام فيقول له: «أهلاً وسهلاً ونشرح له تعاليم الإسلام ونقدم له كتيبين عن الإسلام، ويذهب ليعود بعد يومين ليشهر إسلامه رغم أنه قسيس.»

فقهه للواقع

من مظاهر حكمة السميط الدعوية أنه عندما أعلن سلطان (إيسالي) في نيجيريا دخوله في الإسلام قرر هدم الكنائس في العاصمة وفي قريته، إلا أن السميط نهاه عن هدمها ودعاه إلى عدم المساس بمشاعر المسيحيين، كما دعا السميط العلماء المسلمين إلى وضع فقه الواقع للأقليات الإسلامية التي تعيش في الغرب، وانتقد بشدة الدعاة الذين يزورون بلدان الأقليات المسلمة وينشرون فتاوى مضادة للنصارى، أو يثيرون فتنًا كبرى بين المسلمين حول قضايا صغيرة قد تتسبب في زيادة العداء للإسلام وتعطيل الدعوة بين الناس هناك.

أبرز أعماله الدعوية

بناء ما يقارب من 5700 مسجد، ورعاية 15000 يتيم، وحفر حوالي 9500 بئراً ارتوازية في أفريقيا. إنشاء 860 مدرسة، وعدد 4 جامعات، وعدد 204 مركز إسلامي. قام ببناء 124 مستشفى ومستوصفًا و840 مدرسة قرآنية. قام بدفع رسوم 95 ألف طالب مسلم، وطباعة 6 ملايين نسخة من المصحف وتوزيعها على المسلمين الجدد. نَفَّذَ عددًا ضخمًا من مشاريع إفطار الصائمين لتغطي حوالي 40 دولة مختلفة وتخدم أكثر من مليوني صائم. دفع رواتب شهرية لـ 3288 داعية ومعلمًا. توزيع 160 ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس. توزيع أكثر من 51 مليون نسخة من المصحف الشريف. طبع وتوزيع 605 ملايين كتيب إسلامي بلغات أفريقية مختلفة.

الشفافية وإنشاء الكوادر والعمل المؤسسي في فكر السميط

خلال بدء عملية الحرب ضد الإرهاب امتد المفهوم ليشمل المؤسسات الخيرية التي تقدم خدماتها للفقراء من المسلمين الذين يواجهون مع الجوع التنصير في بقاع مختلفة من أفريقيا وآسيا. لم تؤثر هذه الضغوط على ما يقوم به السميط من أعمال في أفريقيا، ذلك أنه أدرك جيدًّا أنه ينبغي العمل بطريقة مدروسة وَفْقَ عمل مؤسس له كوادره ومتخصصوه،

وأن تكون الشفافية متاحة لكل خطوة إدارية أو مالية، كما كان قويًّا وواثقًا من عمله، وقنوات صرف أموال المؤسسة الخيرية التي يرأس مجلس إدارتها. بل طالب السميط دائماً بضرورة تدريس مادة إدارة العمل الخيري في الجامعات، ودعا الكويت والجامعات الخليجية إلى تدريس هذه المادة كي يتم سد العجز في الكوادر المتخصصة التي تحتاجها الجمعيات الخيرية والمانحة، خاصة أنها في حاجة ماسة إلى أفراد مدربين ومُعَدِّينَ إعداداً جيداً يُمَكِّنُهُم مِنَ الْوُلُوجِ في العمل الإداري على أسسه العلمية الصحيحة.

مؤلفاته وإنجازاته العلمية

ألَّف السميط العديد من الكتب كما كتب مئات المقالات في مجال الدعوة الإسلامية في صحف ومطبوعات مختلفة. كما ترك بحوثاً إسلامية ومؤلفات أخرى أبرزها بحث بعنوان (دور الإعلام في العمل الخيري) ألقي في ماليزيا عام 1989 ومحاضرة (الإدارة الحديثة في العمل الخيري) التي ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة عام 1989. من كتبه:

1. كتاب لبيك أفريقيا.
2. كتاب دمعة أفريقيا (مع آخرين).
3. كتاب رحلة خير في أفريقيا رسالة إلى ولدي
4. كتاب قبائل الأنتيمور في مدغشقر.
5. كتاب ملامح من التنصير دراسة علمية.
6. إدارة الأزمات للعاملين في المنظمات الإسلامية (تحت الطبع)
7. السلامة والإخلاء في مناطق النزاعات.
8. كتاب قبائل البوران.
9. قبائل الدينكا.
10. دليل إدارة مراكز الإغاثة.

وفاته

تُوفي عبد الرحمن السميط (رحمه الله) في يوم الخميس الموافق: الثامن من شوال لعام 1434هـ، الموافق: الخامس عشر من أغسطس لعام 2013م، بعد مُعاناة طويلة مع المرض، ومسيرة حافلة في مجال الدعوة الإسلاميَّة والأعمال الخيرية، وقد خرج عدد مُهيب من الكويتيين، ومن الوافدين من جميع الطوائف والتيارات وفئات المجتمع؛ لحمل جثمانه في جنازة مُهيبة لم يُرَ آخرها مِن كثرة المُشيّعين حيث حضر جنازته جمع غفير من عامة الناس، وكذلك الكثير من الشخصيات البارزة. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.[1]

دروس تربوية من حياة الدكتور عبد الرحمن السميط[2]

أهمَّ الدُّروس التربويَّة المستفادة من حياته للدعاة.

1-الله يهيِّئ أفراداً لأعمال مستقبلية

قال الدكتور السميط: "منذ كان عمري خمس سنوات وأنا دائمًا أتصوَّر أنِّي في إفريقيا والغابات، وأذكر أنِّي كانت عندي عصًا أنام وأضَعُها بجانبي، عصًا تابعة للكشَّافة لأجْل الأفاعي، وتعلَّمتُ كيف أصيد الأفاعي السامَّة".

وهذا من تَهْيئة الله لبعض عباده، ومن تأمَّل قصصَ كثيرٍ من الناجحين، تبيَّن له أنَّ فكرة مشروعه كانت تُراوده في الصِّغَر؛ إمَّا بخيال أو بتفكير.

وهذا يجعل المربِّي يلتفت إلى أحوال مربِّيه، ويقتنص تهيئةَ الله لهم إنْ وفَّقه الله إلى ذلك؛ ليصنع ما يتوافق مع حال المتربِّي.

---

(1) جريدة الشاهد الكويتية (بتصرف) نقلاً عن الموقع: http://www.dawahskills.com/ar/torchbearers/ /

(2) دروس تربوية من حياة الدكتور عبد الرحمن السميط. (مقال) للكاتب: عقيل بن سالم الشمري. موقع: صيد الفوائد. على الرابط: http://www.saaid.net/Doat/ageel/22.htmugn.

2-**التواضع هَدْيُ نبوَّة**

أثناء مقابلتي الوحيدة للدكتور في مُحافظة حفر الباطن، كان يغضب حين يُسمَّى «الداعية الكبير»، أو «فضيلة الشيخ»، ويظهَرُ الغضب من خلال اعتراضه وقسمات وجهه، واللَّقب الذي يحبُّه، ويذيِّل اسمه به دائمًا: خادم الفقراء والأيتام، وحينما سُئِل: «هل أنت داعية أم ماذا؟ قال: أنا أبسط من أن أكون داعية، فما زلتُ في بداية الدَّرْب، والدعوة حقيقةً أكبَرُ منِّي».

لا يجتمع في قلب الداعيةِ المصلح (الكِبْر والدَّعوة)؛ فإنْ خالطَ الداعيةَ شيءٌ من كِبْر، نقص من نَفْع بركة دعوته بقدر ما داخلَ الكبْرُ قلبه، نعوذ بالله من ذلك.

3-**تنمية المواهب والقدرات**

«يَحكي المقرَّبون منه أنَّ الدكتور السميط بدأ العمل الخيريَّ وأعمال البِرِّ منذ صغره؛ ففي المرحلة الثانويَّة، أراد مع بعض أصدقائه أن يقوموا بعمل تطوُّعي، فقاموا بجمع مبلغٍ من المال من مصروفهم اليوميِّ، واشتروا سيارة، وكان يقوم أحدُ أفراد المجموعة بعد انتهاء دوامه بنقل العُمَّال البُسَطاء إلى أماكن عمَلِهم، أو إلى بيوتِهم دون مقابل».

لدينا في المجتمع قدراتٌ وطاقات تحتاج إلى عملَيْن دعوِيَّيْن: الاستِكْشاف، والتَّنمية.

ولئن تخلَّت المَحاضن الحكوميَّة عن دورها في ذلك، فمن المتعين على المراكز الدعويَّة والمحاضن التربويَّة المبادرةُ لذلك، فالطاقة والموهبة التي تمتَّع بها الدكتور السميط في المرحلة الثانويَّة لها نظائر في واقعنا المعاصر، ويبقى التحدِّي مفروضًا على المربِّين في اكتشافها ومتابعتها.

4-**زرع التحدِّي عند الداعية**

يقول الدكتور: «ليس مِن عادتي أنْ أَرجع دون قرية كنت أنوي الذَّهاب لها»، وإذا استعرضنا العقبات التي تعرَّضْنا لها في إفريقيا، أدركنا أنَّ الداعية لا بد أن يتربَّى على روح

التحدِّي والإصرار، وبهذا:

- تتجدَّد الهمة في قلبه.
- تزول الانهزامية لديه.

5-الله عند قلوب المساكين

مَن يقرأ القرآن المكِّي، والنَّهج النبويَّ في الفترة المكيَّة، يلحظ أنَّها اعتنَتْ بالفئة الضعيفة في المجتمع، ومنهم: الفقراء والأيتام، والأرامل والأسرى؛ كما قال ﷻ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان: ٨

لَم تكن إفريقيا خيارًا اضطراريًّا للدكتور السميط؛ فقد كانت أوروبا الجميلة الفاتنة خيارًا ممكنًا، كما قال: «كان بإمكاننا أن نعيش في كندا، كان بإمكاننا أن نعيش في أوروبا، وعُرِضت علينا فُرَص رفَضْناها، ورفضت حتَّى الإقامة في الكويت».

وهذا يحتِّم على الدُّعاة الالتفاتَ للمناطق الضعيفة والفئات المُحتاجة، وعدم الاقتصار على العمل الدعويِّ في المجتمعات المتحضِّرة، واللقاء بالطَّبقات الغنيَّة.

6-الثبات والاستمرار في العمل الدعوي

كان عمر بن الخطَّاب يُرسِل الصَّحابة الكرام إلى البلدان والأمصار، فاتَّفَق مولدهم في الحجاز، واختلفَتْ قبورهم على أنحاء الأمصار الإسلاميَّة.

حينما سُئِل الدكتور السميط: «متى تُلقِي عصا التَّرحال؟» قال: «سأُلقي عصا الترحال يوم أن تضمن الجنَّة لي، وما دمت دون ذلك فلا مفرَّ من العمل حتَّى يأتي اليقين».

وقال: «كان بالإمكان أن أعيش بالكويت مؤخَّرًا، بعدما شعرت أنِّي قضيتُ فترة من حياتي، كان بالإمكان أن نقضِيَها في عملٍ خيري أفضل».

هذه الخاطرة التي ذكَرَها الدكتور كثيرًا ما تَطْرأ على العاملين في الحقل الدعويِّ حيث يظنُّ الشخص أنه أدَّى دورًا مشكورًا وبحاجةٍ إلى الاعتزال، وكان من نتائج ذلك ضَعْفُ الأعمال وتخلُّف بعضها، إنَّ دور الداعية ينتهي بموت صاحبه، بينما يبقى مشروعه مستمرًّا.

7-الداعية والمعاناة الدعوية

طريق الدَّعوة إلى الله طريقٌ شاق، محفوفٌ بالمَكاره، فمن الأخطاء الدعويَّة أن ينظر الداعيةُ للمكان المريح، وتوفر الخدمات أكثر من نظرته للحاجة الدَّعوية الماسَّة.

يقول السميط عن البلدة التي سكَنَها: «أنا أعيش في قريةٍ يَنْقطع فيها الكهرباء والماء يوميًّا، وهذا بالنسبة لي شخصيًّا شيءٌ كثير؛ لأني مصاب بالسكَّري، وأستخدم إِبَر الأنسولين خمسَ مرات في اليوم، وعندي أدوية لا بد أن أضعها في الثلاَّجة، أنا أعيش في قريةٍ حتَّى كيس النايلون لشراء أيِّ حاجة بالسوق لا أتحصل عليه بيسر، أنا أعيش في قريةٍ لا يوجد فيها أشياء كثيرة مما تعارَفْنا عليه أنا وأنت على أنَّه من أساسيات الحياة».

أليس من الغَبْن الدعويِّ أن تُترك الدعوة في القرى والهجر؛ لقصور خدماتها، أو لِبُعدها عن الموطن الأصلي؟ من المتقَرر في السُّنن الدعوية أن النَّجاح على قدر المعاناة.

8-أسرة الداعية مَدَدٌ وعون له:

كثيرًا ما ينفرِدُ الداعية بالعمل الدعويِّ ويحاول تنحيةَ أسرته، خاصَّة حينما يكون العمل شاقًّا، فيُشْفِق الداعية على أسرته من المعاناة، بينما تُعَدُّ الأسرة بمثابة خطِّ الإمداد للدَّاعية، يساعدونه في عمله، ويقتدون بسلوكه، ويقدِّرون كثيرًا من ظروفه وأحواله.

يَذْكر لنا الدكتور السميط تجربته في إشراك أسرته -وليس زوجته فحَسْب -في العمل الدعوي، فيقول: «أنا عشتُ في إفريقيا 26 سنة، أهلي كانوا بالكويت، ويلتحقون معي في فترة الصيف؛ لأنَّ أولادي ما كانوا يعرفونني إذا رجعتُ للكويت، أولادي الصِّغار خاصَّة يهربون منِّي، فيَجِيئون معي إلى إفريقيا، وننام في المساجد الطينيَّة، وفي

الغابات، وأحيانًا نبقى يومين وثلاثة وخمسة نأكل موزًا في الفطور والغداء والعشاء!»

ويصف لنا إحدى معاناتِه وكيف حوَّرَها درسًا تربويًّا، فيقول: «لما ملَّ أولادي أكْلَ الموز ثلاثة أيام، طلبوا أيَّ شيء ساخنٍ كالبيض مثلاً، فرفضتُ طلبهم؛ لأننا بعد يومين سنَصِل إلى مدينةٍ فيها كلُّ شيء، لكنهم أصَرُّوا فاشترَوْا من أهل الأكواخ بيضًا، من كلِّ كوخ بيضة أو بيضتين، فلمَّا طبخوها خرجَتْ فاسدةً كلها، فقلتُ: هذه عقوبةٌ من الله لكم!»

9-الهمَّة تتحدَّى الأمراض

إنَّ أحوج زادٍ يحتاج إليه الداعية: أن يُشبع روحه من الهمة العالية، إنَّ الصحة البدنيَّة تأتي في مَنْزلة متأخِّرة إذا قُورِنَت بالهمة والإرادة، إنَّ فاتح إفريقيا ومجدِّدها الدكتور السميط، يقول عن أمراضه العضويَّة: «فعندي عشراتُ الأمراض من جلطة بالقلب مرَّتين، وجلطة بالمخ، مع شلل قد زال، والحمد لله، وارتفاعٍ في ضغط الدَّم، ومرض السكَّري، وجلطات في السَّاق، وخشونةٍ في الرُّكبة تَمْنعني من الصلاة دون كرسي، وارتفاع في الكولسترول، ونزيفٍ في العين وغيرها كثير، ولكن مَنْ ينقذني من الحساب يوم يشكوني الناس في إفريقيا بأنني لم أسْعَ إلى هدايتهم».

مع قائمة الأمراض الطويلة، أصبح يَعمل عملاً لَم تصل إليه دُولٌ بَعْد، وذلك بالهمَّة العالية والإرادة الجازمة، فإذا صحَّ العزم هان الطلب، وزال المرض، واضمحلَّ العائق.

10-الانقطاع للعمل الدعوي يجعله فريداً

مِمَّا يعيق بعض الأعمال الدعوية: أن صاحبها يُعطيها فضولاً من وقته، قد يكون ذلك مقبولاً في بعض الحالات حسبَ التقديرات الدعويَّة، إلا أنه مرفوضٌ تَمامًا في العمل الذي يُوازي حجم الأمَّة بكاملها، إذا سَمِعنا الدكتور السميط يتحدَّث عن عمَلِه، عرَفْنا سرَّ التفوُّق في عِلمه، فيقول عن نفسه: «أنا ما عندي تلفاز، أنا أقدر أن آتي به، لكن أنا رفضتُ أن أشتري تلفازًا، ولا راديو، ولا جرائد، أنا أريد أن أعيش لهؤلاء فقط، ما عندي همٌّ غير هؤلاء».

الجملة الأخيرة هي سرُّ نجاحه؛ فالانقطاع في العمل الدعويِّ يجعل فِكْر الداعية واهتمامَه ونظرته تتَّحِد إلى جزءٍ محدَّد، يركِّز فيه عملَه وتطويره، ويعيشه في كلِّ لحظة، وهذا الشعور يجعلنا نفهم قول عمر بنِ الخطاب ﷺ: «إنِّي لأجهِّز الجيوش وأنا في الصَّلاة.»

11-الحال التي وصلت إليها الأمة في زماننا

من خلال سيرة الدكتور السميط، ظهرَ لنا حجمُ المعاناة التي وصلَتْ إليها الأمَّةُ في زماننا، وهي حالٌ إذا سمعها الإنسان المسلم، شعر بالأسى على نفسه في التَّخاذل عن إصلاحها، فيقول الدكتور عن حال الأمَّة الإفريقية: «سألتُ، قلت لهم: أيش دينكم؟ قالوا: الحمد الله نَحن مسلمون بروتستانت! قلتُ لهم: كيف تكونون مسلمين بروتستانت؟ قالوا: أجدادنا قالوا لنا: إنَّنا مسلمون، لكنَّنا لا نعرف كيف نصلِّي، ولا كيف نصوم، فجاءنا البروتستانت -جزاهم الله خيرًا! وعلَّمونا كيف نصلِّي، وبنَوْا لنا هذه الكنيسة -وأروني الكنيسة -وأعطونا الإنجيل! »

ويصوِّر الدكتور السميط مشهدًا من حال الأمَّة، فيقول: «في منطقة مكلوندي في جنوب النَّيجر، يوجد 200 ألف نسمة، نصفهم مسلمون، لا يعرفون الصَّلاة، ولا الصوم، بل لا يعرفون شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله!»

هذا الواقع الأليم لواقع الأمَّة المرحومة، يحتِّم على أفرادها في زماننا الدعوةَ، ورفْعَ الجهل، والبذلَ والتعاون على كافَّة المستويات والأصعدة، ولعلَّه أيضًا يعيد النَّظر في بعض مسائل العقيدة؛ مثل: العُذْر بالجهل.

12-التلطُّف بالقول مع المدعوين

قال الله لنبيِّه موسى -عليه السَّلام -: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ النازعات: ١٨ – ١٩. يُخاطب بذلك طاغيةَ الأرض في زمانه؛ فرعون مُدَّعي الرُّبوبية.

ولئن كانت الكلمة الفظَّةُ الغليظة تُغلِق القلب المفتوح، فإنَّ الكلمة اللَّيِّنة تَفْتح القلب المغلق.

يقول الدكتور السميط وهو يُخاطب مدعُوِّيه: «وقلتُ لَهم: أنا من الكويت، والكويت في أرض مكَّة، وأهلي في مكة، قالوا لي: قبل ثمانمائة سنة خرج واحدٌ من عندنا إلى مدغشقر، فما سمعنا أخباره نهائيًّا، وأرسلوني حتَّى أطمئن عليكم، أطمئنُّ عليكم، على أبقاركم، على زرعكم، على أولادكم، على زوجاتكم.»

13-الداعية العربي من بلاد العرب

فضَّل الله جنس العرب على سائر الأجناس، وجعل التَّفاضُل بينهم بالتقوى، ومن يُتابع كتابات الدكتور السميط يَلْحظ أننا نملك وسيلةً دعويَّة لَم نلتفت لها، وهي:

أنَّنا عربٌ ومن بلاد العرب، إنَّ كلمة عربيّ لها دلالة خاصة عند كثيرٍ من الشعوب، ففي إفريقيا يقول الدكتور: «في مناطقَ بأكملها في شرق كينيا، إذا رأَوا الإنسان العربي يدخلون في الإسلام بدون سؤالٍ ولا جواب، وهم يحترمون العربيَّ ويقدِّرونه، بينما الآخَرون صار لهم مائة سنة وعشرة سنوات يَعملون عندهم!»

وقُلْ مثل ذلك في البلدان الشرقيَّة، وبشكلٍ أقلَّ في بلاد الغرب، فعلى الدُّعاة العرَب الالتفاتُ لِما فضَّلَهم الله به، وتسخيره لدعوتهم.

14-صناعة الدعاة (البلديِّين)

مِن أنجح مشاريع الدكتور السميط: صناعة دعاةٍ من أهل البلد نفسه، وهو بذلك يُقرِّر تجربةً رائدة للعمل الدعويِّ؛ أن يعمل على إخراج دعاةٍ من كلِّ بلد، فأهل البلد أعرَفُ ببلده، ويروي لنا الدكتور القصةَ التالية: «عندنا داعٍ اسمه عبدالرحمن ينجورو كان تاجِرَ (ألماظ)، وطلَّقَ التجارة، كان غنِيًّا جدًّا، وبيته الآن مفتوح كلَّما أسلم واحدٌ يجيء ويسكن عنده ثلاثة أشهر، ويَذْهب، عنده خلوةٌ للقرآن، يعلِّم القرآن، ويعلم مبادئ الإسلام، وتجد عنده مسلمين أشكالاً وألوانًا، ولكن هذا الرجل ربَّاني، هذا الرجل عنده طرقٌ غريبة في الدَّعوة.»

وبِهذا نقرِّر نظريَّة في علم الدعوة: أنَّ صناعة دعاةٍ بلديِّين ضرورةٌ دعوية.

15-**الداعية ومشاريع التعليم**

مجالات الدعوة متعدِّدة، إلاَّ أن مشاريع التعليم يجب تقديمُها في زماننا المعاصر، ففي كلِّ زمنٍ تَتفاضل الأعمال فيه، ونظرًا إلى الجهل العميم فإنَّ التعليم هو المقدَّم.

سُئِل مجدِّدُ إفريقيا الدكتور السميط: «ما هي باختصارٍ استراتيجيةُ خُطَط عملكم في إفريقيا؟ فقال الدكتور: التعليم ثم التعليم ثم التعليم»، وقال: «نَحن اهتمَمْنا بالتعليم كثيرًا؛ لأنِّي تألَّمْتُ جدًّا، وبكيت عندما علمتُ أنه ليس هناك خرِّيج مسلم واحد في كلِّ ملاوي، وكان الناس يسمُّون الناس غير المسلمين: (ألاسالي)، و(ألا سالي) معناها الرَّجُل المتخلِّف.»

هذه التجربة الدعويَّة العميقة للدكتور تختصر علينا دراسةَ أولويات الدعوة، فعلى الدُّعاة أن يولوا البرامجَ التعليميَّة أولويَّة خاصة.

16-**الشفافية الدعويَّة**

أهمُّ ما ينبغي مراعاتُه في قضايا الدَّعوة المعاصِرة هو: الشفافية الدعوية، ويُراد بها وضوحُ العمل الدعويِّ في جميع مراحله، وهنا سؤالٌ يَطرأ على ذهن المُتابع للعمل الخيريِّ في الفترة الماضية، وهو:

لماذا لَم تُغلَق مؤسَّسة العون التي يرأَسُها الدكتور، في حين أُغلِقَت بعض المؤسسات الخيريَّة؟

من حيث النتيجةُ فإنَّ إسلام الملايين على يد الدكتور وجمعيَّته ليس بأقلَّ خطرًا من المؤسسات التي تدعم الجهاد؛ لأنَّ الإرهاب في قاموس الولايات المتحدة يُرادف الإسلام، إلا أنَّ أحد أبرز أسباب حِفْظ الله لجمعية الدكتور هو: شفافيتها كما صرَّح به، قائلاً: «ضمانات الشَّفافية أنَّ عندنا درجاتٍ من الرقابة الماليَّة لا توجد في أيِّ مؤسَّسة في منطقتنا، عندنا ستُّ درجات من الرقابة ابتداءً من الميدان هناك، ثُم المُحاسبة الميدانيَّة عندنا في المقرِّ الرئيسي بالكويت، ثم المحاسبة العامَّة، ثم التدقيق الداخلي، ثم التدقيق الخارجي.»

وبهذا نُقرِّر نتيجة دعويَّة مهمة، مفادها: أنَّ الوضوح الدعويَّ ضمانٌ للاستمرار.

17- الداعية واستراتيجيَّة اقتلاع اليأس

الداعية الميدانيُّ يَعرف مقدار اليأس الَّذي خيَّم على قلوب بعض الدُّعاة حين يتذكَّرون حاجة مشاريعهم إلى الدَّعم المالي، وفَقْرهم في التواصل مع المتبرِّعين، وصعوبة الوصول لأهل البَذْل والإحسان، ثم صعوبة إقناعهم، وقلَّة ما يجودون به أحيانًا!

هذه العقَبات جعلَت البعض لا يفتَح مجالاً لنفسه بالتَّفكير في مشروعٍ دعوي، وهذا ما حدث للدكتور السميط في بداية العمل، فقد تفاجأ بأنَّ مجموع ما حصل عليه (1000 دولار في السنة)، فسقطَتْ من ذهنِه مشاريعُ بناء المساجد وحَفْر الآبار، وتشييد الجامعات، إلا أنَّ الدكتور أعطى الدُّعاة استراتيجيَّة دعوية مهمَّة، وهي: تغيير سياسة جمع التبَرعات، واستبدال الطبقة الغنيَّة بالطبقة المتوسطة، فيقول: «نركِّز على متوسِّطي الدخل؛ شعرنا بأنَّ المرأة - مع كلِّ تقديرٍ واحترامٍ للرِّجال - أكثَرُ بركةً من الرَّجل، وقادرة عاطفيَّة، وتُعطي أكثرَ من الرجل، شعرنا بأنَّ المرأة الَّتي عمرها بين 25 و 45، وتَعْمل مُدرِّسة أو ممرِّضة أو طبيبةً، أو غيرها، تعطينا كلَّ شهر مائة ريال، أو مائتي ريال، أو خمسمائة ريال.»

18- المبادرة الدعويَّة وعرض النفس

في الحين الذي يَنتظر البعض من غيره أن يَرسم له عملاً دعويًّا يُناسبه، أو دعوة رسميَّة من الجهات الحكوميَّة، نجد أنَّ الداعية الموفَّق مَن يبحث عن مكانه الذي يَنفع فيه، ويُبادر الجهات الحكوميَّة، وهو ما حدث للدكتور السميط: «لما استكمَل دراسته العليا في الخارج، ورجع لبلده الكويت، وجد في نفسه طاقةً هائلة للعمل الخيريِّ، فعرض نفسه على وزارة الأوقاف للتطوُّع بالعمل الخيريِّ، وكادت البيروقراطية أن تحبطه.»

ومن المتقرِّر في القواعد الدعويَّة: أن المبادرة تُكْسِبُ الفرصة، وقد ضاعت بعض المواقع الدعويَّة بسبب تأخُّر المبادرة ليس إلاَّ.

19-**الداعية والعُرْفُ الدعوي**

من القواعد المقرَّرة شرعًا: العادة محكمة، وهي قاعدةٌ أعطَت العُرف أهميَّة للدِّراسة والمعرفة، وكما أنَّ القاعدة تنطبق على أبواب الفقه، فهي صالحةٌ للتطبيق في المجالات الدعويَّة، فالداعية عليه أن يدرس عُرف البلد والمدعُوِّين؛ ليدخل من خلال عرفهم إلى قلوبهم، وقد سار الدكتور السميط على «دراسة أعراف وتقاليد بلاد إفريقيا مُلمًّا بقبائلهم وأسمائها وأعدادها وحدودها الجغرافيَّة، وأعرافها وتاريخها القديم والمعاصر، بل يعرف تفاصيل دقيقةً لا يعرفها إلاَّ ذَوُو الاختصاص منهم، وقد ألَّف كتيبًا عن قبيلة الأنتيمور وتاريخها»، وقال: «تعلَّمتُ الكثير من إفريقيا، وأنا شاكرٌ لإخواني في إفريقيا، تعلَّمتُ أوَّلاً أنِّي أحترم عادات وتقاليدَ الآخرين وقِيَمهم ما لَم تتعارض مع أساسيَّات الدين.»

ومن خلال ذلك يتقرَّر أن العُرف الدعويَّ مُحَكَّمٌ في الدعوة، فلا يأتِ الداعية بما يخالف عرف المدعُوِّين فيما لا يتَعارض مع أحكام الله.

20-**الوَرَع الدعوي**

الورع عملٌ قلبي إيماني عظيم، إلاَّ أن الورع الدعويَّ في العمل الخيريِّ يقوم على حفظ أموال المتبَرِّعين، ومراقبتها والعناية بها، وألاَّ تكون الدعوة مبَرِّرًا للتوسُّع في الأموال، يقول الدكتور السميط عن نفسه: «أموال الناس التي دفَعوها للعمل الخيريِّ لا يُمكن أن أفرِّط في ريالٍ واحد منها»، وكثير من مشاريعه يُحسَب (بالهلل السعوديِّ أو الفلس الكويتي)، وذلك يَنعكس على ثقة المتبرِّعين!

ومن الأخطاء في الساحة الدعويَّةِ التوسُّعُ قليلاً في التصرُّف في أموال المُحسِنين، وقد شدَّد أهلُ العلم في باب الوَقْف، ومنَعوا بيعه وهِبتَه، إلاَّ حين تعذُّرِ الاستفادة منه، ولهم تفصيلاتٌ في ذلك تقوم على تحقيق الورع الدعويِّ في أموال المحسنين.

21-اللذَّة الدَّعوية

إحساس الدَّاعية يختلف عن سائر النَّاس، إنه يتلذَّذ بقلبه ووجدانه وإحساسه، لا يجد اللذَّة في استقبالٍ أو احتفالٍ أو حفاوة، إنَّما لذَّتُه حين يرى نتائج أعماله تتحقَّق أمام عينيه، يقول الدكتور السميط عن لذَّتِه: «والله أشتاق أن أعيش مع الناس البُسَطاء، أشتاق إلى رؤية الأيتام، وأن أعيش بينهم، ومُحادثتهم بعد صلاة المغرب، أو بعد صلاة الفجر، أشتاق وأشعر بالفخر عندما أرى الأيتام الذين كانوا مشرَّدين حفاةَ الأقدام، اليوم هُم أطبَّاء ومهندسون وأساتذة جامعيُّون ومديرو مدارس، وخبراءُ في أماكن مختلفة، أشعر بأنَّ هذا فخرٌ لي، وأشعر أنَّ جهدي خلال ثمانية وعشرين سنةً الله -سبحانه وتعالى- كافأني فيه أنِّي رأيتُ النتائج الآن.»

وكثيرًا ما يعبِّر عن سعادته وأنسه في حياته مع الفقراء، رغم ما يُعانيه من المتاعب، وعلى هذا فرُؤية الداعية لنتائجه مِمَّا يزيد حماسه لدعوته، ويَكْمُن الخطأ حين يتوقَّف العمل الدعويُّ؛ لتأخُّر النتائج والثمرات.

22-الداعية بين تفاوت المشاريع ومشروع العمر

يُعتبَر وضع الأمَّة في وقتها الرَّاهن مأساويًّا وبحاجةٍ إلى مشاريع دعويَّة مستمرَّة:

- على جميع الاتِّجاهات: كالتَّعليم والإعلام والمساجد والجامعات.
- وفي جميع المناطق: المدُن والمحافظات والقرى والهجر.

ولهذا؛ مما يعيق المشاريع الكبرى: انشغال الدَّاعية بين مشاريعَ صغيرةٍ يَفرضها الواقع، والحل الأمثل لقيادات العمل الإسلاميِّ أن يُفرِّغ نفسه لمشروع عمره الأكبر، وعلى هذا؛ سار الدكتور السميط - حفظه الله -: فلم تشغَلْه صغار المشاريع، وأزمات الأمَّة عن مشروعه الأكبَرِ في الدَّعوة إلى الإسلام، يقول عن مشروعه: «لقد أسلمَ في إثيوبيا وشمال كينيا خمسون ألفًا من قبيلة (البوران)، وأسلمَ ثلاثون ألفًا في شمال كينيا من قبائل (الغبرا) و(البرجي)، وأسلم مئات الألوف في رواندا، ومثلهم في ملاوي، و80 ألفًا

أسلموا في جنوب تشاد، وستُّون ألفًا في جنوب النيجر، وعشرات الألوف في جنوب السنغال، وغينيا الغابيَّة، وبنين، وسيراليون، وغيرها.»

وبِهذا الجهد الجبَّار يقرِّر الدكتور قاعدةً دعويَّة هامة في العمل الدعويِّ: أنَّ الانشغال بمشروعٍ طويل بنَّاء للأمة أولى من تشتيت الجهد، ويبقى للأزمات خصوصيَّتُها؛ ليقدِّرها أهل الاختصاص من القيادات الدعوية.

23-**حفظ الله لدينه**

من السُّنن المقرَّرة أنَّ الله يتولَّى حفظ دينه، وقد ثبت قولُ النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجل الفاجر.» (1)

ومن تأمَّل سيرة الدكتور السميط، وكيف أنَّ الله هيَّأ للقارَّة السوداءِ رجلاً يُنقِذها من الكفر، زاد يقينُه بحفظ الله، وعندما سُئِل الدكتور السميط: «من تتوقَّعون أن يكمل مشواركم الدعويَّ في إفريقيا؟ قال: إنَّ أرحام النِّساء المسلمات لم تُصَب بالعُقْم في أن تنجب مَن هو خير من عبد الرحمن السميط.»

وهذه اللفتة الدعويَّة من الدكتور يَحتاج إليها دُعاتنا في أوقات أزمات الأمَّة، ومِن خلال هذه السُّنة يَستطيع قيادة الفكر الدعوي إيجادَ مخرجٍ للأمَّة، يخطِّطون استراتيجيَّتَها على ضوئه.

---

(1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ: هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى النَّارِ قَالَ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ. صحيح البخاري. كتاب: الجهاد والسير. بَاب: إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفاجر. حديث رقم:2897. وانظر: فتح الباري. 8/ 208. مرجع سابق.

24-ضرورة بناء المراكز التربوية

كثيرًا ما يشيد الدكتور بأهميَّة بناء الجامعات، ومراكز رعاية الأيتام، ومَعاهد تخريج المعلِّمين، وهذه المَجالات تتجاوز العلاجات الآنيَّة إلى إزالة أمراض الأمَّة واقتلاعها، وضمان استمراريَّة العمل، وعلى هذا يقرِّر الدكتور بسلوكِه: ضرورة بناء المراكز التربويَّة.

25-إيجاد قدوات دعوية واقعية

يَزْخر تاريخ الأمَّة بأمثلةٍ رائعة، أخذَتْ من المَجْد أعلاه، وأتعبَتْ مَن يأتي بعدها أن يبلغ شأوَها، وما زالت الأمَّة المباركة وَلُودًا تلدُ الأبطال، ومن قرأ سيرة الدكتور السميط عرف أهميَّة وجود قدوات دعويَّة للناس يرَوْنَها في حياتهم اليوميَّة، وقد كان للدكتور أثرٌ على مَن يجالسه، وكلُّ مَن حَظِي بجلسةٍ عابرة مع الدكتور السميط، فقَدْ ترك في قلبه أثرًا لن يُنسى مع مرور الأيَّام، وبهذا كان السَّلف يزورون الصالحين؛ ليتقوَّوا على عبادة ربهم.

26-التربية بالإغاثة

الداعية لا يتخلَّى عن تعليمه للناس وتربيته لهم، وسيرة الدكتور السميط تدلُّ على أنَّ من مجالات التربية: التربية بالإغاثة، وبهذا يرسم الدكتور السميط منهجيَّةً للجمعيَّات الخيريَّة، ومراكز الإغاثة تقوم على وحدةِ التكامل بين الإغاثة والتربية.

27-بركة أهل السنة والجماعة

سيرة الدكتور السميط تظْهر فيها بركة أهل السُّنة والجماعة، فالدكتور ليس من المُبَرَّزين في العلم الشرعيِّ، ودراسته في الطبِّ البشري، ومع هذا كان له الأثرُ الأكبر في الدَّعوة إلى الله ونَفْع الناس، وبإمكان العاقل أن يُقارن بين رجالات أهل السُّنة وغيرهم من أهل البِدَع؛ لِيَعرف أنَّ منهج أهل السنة يقوم على رحمة الخلق، ودلالتهم إلى ربِّهم.

28-عاجل بشرى المؤمن تزيد الداعية حَماسًا

كثيرًا ما يسمع الدكتور السميط من عبارات الثَّناء والمدح، وقُدِّمت له عروضٌ

مغريةٌ جزاءً لدعوته؛ فقد عرَض عليه "زُعماء القبائل بناتهم، ولكنَّه كان يردُّ عليهم قائلاً: «أنا تزوَّجتُ الدعوة، ومن يتزوج الدَّعوة لا يتزوج غيرها.»

والمُلاحَظ أنَّ سلوك الدكتور السميط هو سلوك المؤمن حين يَسمع الثَّناء والمدح؛ فإنَّ ذلك يزيد في حماسه وبذله وتضحيته، ثم يرجع إلى نفسه، فيصير أشدَّ مقتًا لها، ويُثني على ربِّه الذي هيَّأه وأعانه حتَّى وصل لهذه المكانة.

29-التخصص الدعوي فريضة

مع تعدُّد حاجات الأمة المعاصرة، يتعيَّن على أهل الاختصاص الدعويِّ إحياءُ منهجيَّة التخصُّص الدعوي في أحد مجالات الدعوة، والدكتور السميط مثالٌ واقعي في أثر التخصُّص في العمل الخيريِّ، وطالب الدكتور: «بضرورة التخصُّص في العمل الخيري، وأنَّ الغرب فيه جامعاتٌ ويُعطون شهادات العليا في التخصُّص بالعمل الخيري.»

30-الإبداع الدعوي مطلب

من يعمل في الحقل الدعويِّ يجب أن يجدِّد في الإبداع الدَّعوي، وقد ضرب الدكتور السميط في إبداعه مضربًا عاليًا في الإبداع بالعمل الخيري، ومن ذلك: «أنه يبدأ أحيانًا بحفر البئر، وتجديد بعض المساكن قبل بناء المَسْجد، وأحيانًا لا يأمر بإزالة مظاهر الشِّرك؛ حتَّى يبدأ بالتعليم، ثم يَنْزعها؛ ليكون أرسخ في ثبوتها»، ومن إبداعه: «وجد أنَّ الجمعيات النصرانيَّة الإغاثية تُعطي الفقراء بسكويتًا لا يُسمن ولا يغني مِن جوع، فأصبح يُعطيهم بدلاً منه: سكَّرًا يخلطه بماء ليسدَّ جوعهم، وهو أفضل طبيًّا لهم.»

31-الداعية لعله باخع نفسه:

إذا قرأتَ بعض مواقف السميط التي يَذْكرها تطرأ عليك الآية الكريمة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ الكهف: ٦

«فيبكي على عدم استطاعته الوصولَ لقريةٍ من القرى، ويقول عن نفسه بأنَّ سيارة

إغاثةٍ تابعةً لجمعيته احترقَت، فلم أبكِ على الجوازات والوثائق الرسميَّة قدر ما تألَّمتُ لأجل كيس سكر؛ لأنَّ أهل القرية لم يذوقوا السُّكر منذ ثماني سنوات».

هذا الشُّعور مطلب للداعية ما لَم يصل بصاحبه إلى القنوط واليأس؛ لانعكاس ذلك على دعوته واستمراريَّتها.

32- الداعية وفضول الملاهي

يقول السميط: «لا أعرف في الكويت ولا إفريقيا مكانًا ترفيهيًّا أو ملهًى واحدًا».

بهذا الجهد والجلَد، وقَصْر النَّفْس على الجديَّة؛ نتج لدينا إسلامُ 11 مليون شخص على يد رجلٍ واحد، والدكتور السميط بذلك يربِّي الدُّعاة على أنَّ العمل الجادَّ لا يعرف صاحبُه فضولَ الملاهي والتَّرفيه المضيع للأوقات.

33-فتح القلوب رسولُ فتح البلدان

قال الدكتور السميط: «من خلال تجربتِي الدعويَّة؛ فإن الدعوة للإسلام تكون عن طريق المُعاملة بالحسنى».

ومن قواعد الدَّعوة العمليَّة: تكون الدَّعوة على قدر المُعامَلة؛ فمتَى حسنت المعاملة وصلت الدَّعوة إلى مساحاتٍ أكبر، ونطاق أوسع، وأثَرٍ أعمق.

34-الداعية وعبادة الزهد:

الزُّهد من أجَلِّ أعمال الصالحين، ومِن أرفَعِ أعمال القلوب، وقد تميَّز الدكتور السميط بالزُّهد بالمعنى الشرعيِّ القائم على عدم التعلُّق بالدنيا ومَناصبها، وألاَّ تشغله الدنيا عن الله وعبادته والدعوة إليه، ونَشْر الخير والتعليم والتربية.

35-المال ليس عائقًا في الدعوة

هكذا قرَّره مجدِّد إفريقيا قائلاً: «لَم يكن المال عائقًا بالمقام الأوَّل، وإنَّما الرِّجال هم العائق، وتوفُّر الطاقات هو العائق الحقيقي».

وخلاصة تجربة الدكتور تُزيل كثيرًا من الجدل حول مسألة: أيهما المُحرِّك للآخر؛ المال، أو الدعوة؟

ليجيب لنا الدكتور السميط بخبرته بأنَّ المال يُيسِّره الله، ويسخِّرُه لخدمة دينه، وذَوُوا الهمَّة من الرجال يبدؤون أعمالهم الدعويَّة بقليل من المال، لكن بعزيمةٍ وافرة، وإيمان قوي.

☜ خلاصة منهجه الدعوي

خلاصة القول في منهجه الدعوي الذي اتبعه وتفرَّد به في دعوته عن غيره من دعاة عصره: أنه اتبع المنهج الحركي، العملي التطبيقي للدعوة على أرض الواقع، حيث انتقل بالدعوة إلى بيئة المدعو، ومارس العمل الدعوي الميداني بِصُوَرِهِ المُتَنَوِّعة، ولم يَجْمُدْ بالدعوة في مكان واحدٍ، مما كان له أكبر الأثر في دخولِ الجموعِ الغفيرةِ من أهل هذه البلاد الإفريقية في الإسلام طواعية. وهذا المنهج هو الغالب على غيره من المناهج التي استخدمها في دعوته إلى الله تعالى.

هذا بجانب استخدامه للمنهج العاطفي، والذي اتسم بالرحمة والشفقة على المدعوين، وتقديم المساعدات الإنسانية لهم دون تمييز بين مسلم وغير مسلم.

أما الأساليب والوسائل الدعوية التي استخدمها في الدعوة فتتمثل في الآتي:

1. تحويله العمل الفردي إلى عمل مؤسسي لا يرتبط به. حيث لم يكتف بربط المُعْطي بالمحتاج، وإنما أسس مشروعات خيرية تدير نفسها بنفسها، وعمل على ربط الدعوة بتنمية المجتمعات.

2. رسم السميط لنفسه ولمن معه طريقًا يختلف عن طرائق الآخرين. طريق الجهد وتحمل التعب والمشقة وانتهاج أسلوب الحركة والعمل في الميدان لا الاقتصار على الجانب النظري والإداري فحسب.

3. قدَّم السميط الكثير من الدعوات للصحفيين والمراسلين لنقل ما يحدث في

أفريقيا، ونقل الحاجة لشعوبها لمن هم أفضل حالًا منهم. فكان السميط سببًا في تشجيع المانحين على البذل والعطاء.

4. تقديم المساعدات الإنسانية، وهو أحد أساليب المنهج العاطفي، حيث لم يُفَرِّقْ يومًا ـ قط ـ بين مسلمٍ وكافرٍ طيلةَ عقود عديدة في القارة الأفريقية الفقيرة، فهو لم يطعم المسلم ويحرم الكافر بجانبه بل جعلهم سواء؛ لأنهم مشتركون بحق الإنسانية.

5. استخدامه للكتب والمنشورات التي تعينه على إيصال رسالته الدعوية، فألَّف في هذا المجال ما يزيد على عشر مؤلفات، تشهد له بصدق نيته، وإخلاصه في دعوته.

6. لم يغفل السميط ـ رحمه الله ـ أسلوب الحكمة في دعوته، وسيرته الدعوية في أفريقيا تشهد له بذلك. فقد كان حكيمًا في توجيه زعماء بعض القبائل في نيجريا الذين أسلموا وأرادوا حمل الناس على الدخول في الإسلام.

7. طَالبَ السميط- دائمًا- بضرورة تدريس مادة إدارة العمل الخيري في الجامعات، ودعا الجامعات الخليجية إلى تدريس هذه المادة كي يتم سد العجز في الكوادر المتخصصة التي تحتاجها الجمعيات الخيرية والمانحة، خاصة أنها في حاجة ماسة إلى أفراد مدربين ومُعَدِّينَ إعدادًا جيدًا يُمَكنُهُم مِنَ الوُلُوج في العمل الإداري على أسسه العلمية الصحيحة.

وأخيرًا:

أترك مدرسة الدكتور السميط مفتوحةَ الأبواب؛ لِيَلِجَ إليها الدُّعاة والمُرَبُّون يستنبطون من خِبْرَتِهَا، ويستَلْهِمون من سياستها التعليمية والتربوية، ويَنْهَلون من صفو دعوتها، فرحمة الله عليه، وجزاه الله خيرًا على دعوته، وشكَرَ الله رَفْعَه التكليف عن رِقابنا، فأجزِلِ اللَّهم أجره، وأحسِنْ عملَه، وتقبلْهُ في الصالحين. [1]

(1) دروس تربوية من حياة الدكتور عبد الرحمن السميط. مرجع سابق.

خلاصة الفصل الرابع

من خلال مدارسة هذا الفصل يمكن الوقوف على بعض النتائج المستخلصة منه، والتي تتمثل في الآتي:

- معرفة الداعية بمشكلات الدعوة والتحديات التي تواجهها في العصر الحاضر من الضرورة بمكانٍ؛ حتى يتمكن من وضع حلول مناسبة لها.
- وقوف الداعية على أسباب مشكلات الدعوة، ومعرفته بأنواعها وأنماطها المختلفة؛ تساعده على تَجَنُّبِ هذ الأسباب، وتمييزه بين المشكلات الذاتية-الداخلية- والمشكلات الخارجية البعيدة عن الدعاة، والمؤسسات الدعوية المنوط بها المحافظة على رسالة الإسلام ونشرها.
- النقد الذاتي للدعاة أنفسهم، ومؤسسات الدعوة العاملة، من الأهمية بمكانٍ؛ لمعالجة الأخطاء، وضمان استمرارية العمل الدعوي بكفاءة وفاعلية.
- إلمام الداعية وإحاطته بأساليب الأعداء ومكرهم بالدعوة والدعاة، يمكنه من فهم عدوه، وكشف خططه الرامية إلى القضاء على الإسلام والفَتْكِ بأهله.
- غياب الوعي الصحيح بمشكلات الدعوة، يؤدي إلى تفاقم هذه المشكلات، واستفحال أمرها؛ مما يعيق مسيرة العمل الدعوي، ويُمَكِّنُ الأعداء من وضع المزيد من العراقيل في طريق الدعوة والدعاة، والمؤسسات الدعوية.
- يعمل أعداء الإسلام جاهدين-في الداخل والخارج-على امتلاك وسائل الإعلام بصورها المتنوعة؛ للنيل من الدعوة ودعاتها ومؤسساتها، نظرًا لقوة تأثيرها على الرأي العام، وتغيير المفاهيم.

- كانت المناهج التعليمية العلمانية البعيدة عن روح التعاليم الإسلامية-وما تزال-من أكبر التحديات التي تواجه الدعوة ودعاتها.
- السياسات المتبعة في الأنظمة الحاكمة في بلدان العالم الإسلامي تتشابه-إن لم تَتَّحِدْ- فيما بينها، في السَّطْوِ على الأوقاف الخاصة بالدعوة الإسلامية ومؤسساتها التعليمية؛ من أجل تجفيف المنابع، والعمل على تبعيَّة هذه المؤسسات، والقائمين عليها للنظام الحاكم؛ مما أدى-في الواقع المعيش-إلى ضعف العمل الدعوي داخل هذه المؤسسات، وجعل الدعوة وظيفة لا رسالة.
- وقوف الدعاة على بعض النماذج الدعوية في العصر الحاضر من خلال دراسة سيرتها الدعوية؛ يوفر من الجهد والوقت على الدعاة، ويساعد في وضع الخطط والبرامج الدعوية للبيئات المختلفة، ويجعل للدعاة قدوة وأنموذجًا يقتدون به، ويسيرون على خُطاه.

أسئلة التقويم الذاتي

أولًا: أسئلة المقال:

س1: بيِّن ما الذي يترتب على جهل الداعية بمشكلات الدعوة، والتحديات التي تواجهها في العصر الحاضر؟

س2: بيِّن ما الذي يترتب على معرفة الداعية بمشكلات الدعوة، والتحديات التي تواجهها في العصر الحاضر؟

س3: توجَدُ مجموعةٌ من التَّحَدِّياتِ تواجه الدَّعْوةَ والدُّعاةَ في العصر الحاضر. اذكر ثلاثةً منها، مع شرح مُخْتَصَرٍ لواحدٍ منها فقط.

س4: قارن بين كلٍّ من المشكلات الداخلية، والخارجية للدعوة من حيث:

	المشكلات الداخلية للدعوة	المشكلات الخارجية للدعوة
التعريف		
الأسباب	1 2	1 2

س5: من خلال دراستك لشخصية د: عبد الرحمن السميط الدعوية أجب عن الآتي:

(1) المنهج الدعوي الذي انتهجه-في دعوته-وتَفَرَّدَ به عن غيره مِنْ دُعَاةِ عَصْرِهِ.

(2) الأساليب والوسائل الدعوية التي استخدمها في دعوته إلى الله تعالى.

س5: من خلال دراستك لشخصية الشيخ عبد الله الأنصاري أجب عن الآتي:

(1) اشرح معالم منهجه الدعوي والأساليب المستخدمة لتحقيقه.

(2) تنوعت جهود الشيخ علميًا وعمليًا ودعويًا.. اشرح ذلك مع ذكر النماذج والشواهد من آثاره – رحمه الله.

س6: علل لما يأتي:

(أ) تحرص الأنظمة الحاكمة على امتلاك وسائل الإعلام والتحكم في محتوياتها الإعلامية.

(ب) مشكلات الدعوة الذاتية–الداخلية–أشد خطرًا عليها وعلى الدعاة من المشكلات الخارجية.

ثانيًا: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة:

1- علاقة الدعاة ببعضهم تعكس صورة الدعوة، وواقعها المُشاهَد. ( )

2- اضطراب طريقة التعامل مع المصطلحات الدعوية مشكلة متعلقة بموضوع الدعوة. ( )

3- مشكلاتُ الدعوةِ في مُجْمَلِهَا نابعةٌ مِنْ وَاقِعِ الدُّعَاةِ، والبيئةِ التي يعيشون فيها. ( )

النشـــاط التعـليمي

عزيزي الدارس: [1]

1- اكتب بحثًا -فيما لا يزيد عن ثلاث صفحاتٍ - توضِّحُ فيه التحديات المعاصرة التي تواجه الدعوة ودُعاتها. (واجب فردي)
2- لمشكلات الدعوة أنماط وأشكال متنوعة، ولها أسباب متباينة أدَّت إلى حدوثها. والمطلوب منك، عقد مقارنة بين كلٍّ من نوعي المشكلات من حيث: (التعريف بكلٍّ منها. الأسباب التي أدت إلى حدوثها. أشدُّها خطرًا على الدعوة، ولماذا؟ أساليب ووسائل العلاج لها.) (واجب جماعي داخل الفصل)
3- لخِّص-في حدود صفحة واحدة-ملامح دعوة د. عبد الرحمن السميط، إلى الله-تعالى-مبيّنًا المنهج والوسائل والأساليب التي استخدمها في سبيل ذلك.

(1) توجد أنشطة إضافية للفصل بالملحقات.

مصادر ومراجع إثرائية

عزيزي الدراس:

للتوسع حول موضوعات هذا الفصل يمكنك الرجوع للمصادر العلمية الآتية:

- مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها. بحث إعداد: محمد أمين حسن بني عامر-رابط المادة: http://iswy.co/e13rcr
- مشكلات الدعوة وعقباتها. إعداد: عفاف بنت يحيى آل حريد. رابط المادة http://www.al-islam.com/Content.aspx?pageid=1153&ContentID=1947
- مشكلات الدعوة والدعاة للشيخ: محمد حسين الذهبي. رابط المادة: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B4%D9%83%D9%84%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D9%88%D8%A9_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D8%A7%D8%A9_(%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8)
- العقبات الخارجية في الدعوة وكيفية مواجهتها. رابط: المادة. http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=111869
- مشكلات الدعوة والداعية تأليف فتحي يكن. طبعة مؤسسة الرسالة.
- مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية. الشيخ: محمد الغزالي. سلسلة كتاب الأمّة. الإصدار. العدد:1. جمادى الآخرة 1402 هـ راجع مادة الكتاب على الرابط: http://www.sheikhali-waqfia.org.qa/SF/AR/BookShow/Details.aspx?BookId=203

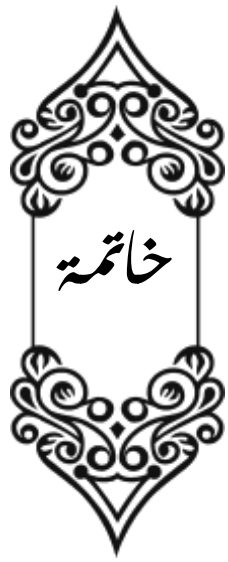

وبعد؛

فنحمد الله تعالى على توفيقه وتيسيره أمر هذا المُؤَلَّفِ في الدعوة وأصولها، ووسائلها وأساليبها، والتحديات المعاصرة التي تواجهها، وتواجه القائمين عليها، والذي نرجو من ورائه النفع لمن يقرؤه ويُعَلِّمُهَ، فطوبى لمُعَلِّم الناس الخير.

وإن كان من تيسير وتوفيق فيه، فَمِنَ الله وحده، وإن كان مِنْ تقصير فَمِنا، ومن الشيطان، وحسبنا أنا اجتهدنا قَدْرَ وُسعنا – في وقت مليء بالتَّبِعَات–لإنجازه...

والله من وراء القصد، وهو الموفِّقُ والهادي إلى سواء السبيل.

ثبت بأهم المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب السنة وشروحها.

ثالثًا، المصادر العامة:

1. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، 1974م)
2. الإحكام في أصول الأحكام. سيف الدين علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي (المكتب الإسلامي- بيروت، د. ت)
3. إحياء علوم الدين. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (دار المعرفة- بيروت، د.ت)
4. الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. أحمد الشايب (ط: 8، مكتبة النهضة المصرية، 1991م)
5. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط:1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1415هـ)
6. أصول الدعوة. عبد الكريم زيدان (ط:3، مكتبة القدس- بيروت، 1407هـ-1987م)
7. الإنترنت في خدمة الإسلام، عبد المنعم حسن الهدي (ط:1، دار المحمدي- جدة: السعودية، 2002- 1422هـ)
8. البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (دار عالم الكتب- بيروت، 1424هـ- 2003م).
9. بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها - شرح مختصر صحيح البخاري. عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ط: 1، مطبعة الصدق الخيرية بمصر، 1348هـ)
10. تاريخ ابن خلدون. تحقيق: خليل شحادة (دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ-2001م)
11. تاريخ الدعوة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، العدد الثامن والخمسون -الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة 1420هـ
12. تاريخ الدعوة. جمعة الخولي (ط:1، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، 1404هـ- 1984م)
13. تاريخ الرسل والملوك. محمد بن جرير للطبري (ط:2، دار التراث- بيروت، 1387هـ)
14. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي (ط:1، دار الغرب الإسلامي، 2002م)
15. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». محمد الطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر- تونس، 1984)
16. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي. محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. تحقيق: رائد بن أبي علفة (بيت الأفكار الدولية. عمان. الأردن. د. ت)

17. التخطيط للدعوة الإسلامية - دراسة تأصيلية. عبد المولى الطاهر المكي، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الملك محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، 1415هـ-1995م.
18. التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته. عبد رب النبي علي أبو السعود (مكتبة وهبة،1992)
19. تذكرة الدعاة. البهي الخولي (مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - القاهرة، 1418-1998م)
20. التعريفات. علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الكريم القاضي (ط:1، دار الكتاب المصري اللبناني- القاهرة، 1991م)
21. تفسير الشعراوي. محمد متولي الشعراوي (ط:1، مطابع أخبار اليوم، 1997م)
22. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). محمد رشيد رضا (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م)
23. تفسير القرآن العظيم. أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع- السعودية، 1420هـ/1999م)
24. تفسير غريب ما في الصحيحين. أبو عبد الله بن أبي نصر الحَمِيدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز (ط:1، مكتبة السنة – القاهرة، 1415هـ- 1995م)
25. التفكير الموضوعي في الإسلام. فؤاد البنا (كتاب الأمة، العدد: 237، السنة الثلاثون، جمادى الأولى 1431هـ)
26. تنمية الوعي. علاء الحسّون (ط: 1، دار الغدير: قُمْ – إيران، 1424هـ)
27. تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبد الحليم البرديني، على محمد البجاوي (الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة، د. ت)
28. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (دار السلام للنشر والتوزيع - السعودية، 1422هـ_2002م)
29. ثقافة الداعية. يوسف القرضاوي (ط: 10، مكتبة وهبة- القاهرة، 1416هـ-1996م)
30. جامع الأصول في أحاديث الرسول. مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط (ط:1، مكتبة دار البيان-بيروت، 1969)
31. جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (ط:1، مؤسسة الرسالة- بيروت، 2000م)
32. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط:2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964م)
33. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب (ط: 2، دار ابن حزم- بيروت، 2002م)
34. خصائص القرآن الكريم. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (ط: 9، مكتبة العبيكان- الرياض، 1997م)
35. الخطابة وإعداد الخطيب. عبد الجليل شلبي (دار الشروق – القاهرة، 1402هـ-1981م)
36. درء تعارض العقل والنقل. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (ط:1، 1399هـ-1979م، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود)
37. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية. محمد الراوي (مكتبة الجامعة الأردنية، 2014)

38. الدعوة الإسلامية: أصولها - وسائلها-أساليبها في القرآن الكريم. أحمد أحمد غلوش (مؤسسة الرسالة- القاهرة، 2005م)
39. دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، طبعة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1354هـ/ 1935م.
40. الدعوة إلى الإسلام. محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي - القاهرة، 1992م)
41. الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها. أبو المجد السيد نوفل (مطبعة دار الأمانة- مصر، د. ت. ط.)
42. الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترىً عليها. عبد العزيز محمد الشناوي (ط:1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م)
43. ذم الكلام وأهله. أبو إسماعيل الهروي، ت: عبد الله الأنصاري (ط:1، مكتبة الغرباء الأثرية، 1998)
44. رجل من قطر؛ لمحمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري؛ من موقع؛ مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه.
45. ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام. سيد محمد ساداتي الشنقيطي (ط:1، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع - السعودية، 1998م)
46. روح الاجتماع. غوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول (مكتبة الشعب - القاهرة، 1909م)
47. زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط -عبد القادر الأرناؤوط (ط:14، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1407هـ-1986م)
48. سير أعلام النبلاء. شمس الدين الذهبي (ط:3، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1405هـ- 1985م)
49. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط:4، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ-1987م)
50. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ط: دار إحياء التراث العربي-القاهرة)
51. صحيح وضعيف الجامع الصغير. محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي - بيروت، د. ت. ط)
52. صفات الداعية النفسية. عبد الله ناصح علوان (دار السلام- القاهرة، 1986م)
53. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي. أبو بكر ابن العربي (دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت)
54. العاقبة في ذكر الموت. عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد، تحقيق: خضر محمد خضر. (ط: 1. مكتبة دار الأقصى- الكويت، 1406 هـ-1986م)
55. علامة قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، حياته العلمية وجهوده الدعوية، عمر تهاني ناجي مختار، مركز شباب برزان، الدوحة 2006م.
56. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بدر الدين العيني (دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت. ط)
57. عون المعبود على شرح سنن أبي داود. شرف الحق العظيم آبادي أبو عبد الرحمن. تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري (ط:1. دار ابن حزم. 1426هـ – 2005م).
58. فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ط: 1، دار الريان للتراث- القاهرة، 1407هـ/ 1986م)

59. فتوح البلدان. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988م)
60. فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري – يرحمه الله؛ واقع وتاريخ؛ جمع وإعداد: محمد بن عبد الله الأنصاري 2001م
61. فقه الدعوة إلى الله. علي عبد الحليم محمود (ط:1، دار الوفاء بالمنصورة، 2000م)
62. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري. سعيد بن علي بن وهب القحطاني (ط:1، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، 1421هـ) أصل الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
63. فقه الدعوة والإعلام. عمارة نجيب (د. ت. ط.)
64. في ظلال القرآن. سيد قطب (ط:32، دار الشروق- القاهرة، 1423هـ-2003م)
65. القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ط:8، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1426هـ- 2005م)
66. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية. مصطفى بن كرامة الله مخدوم (ط:1، دار إشبيليا للنشر والتوزيع- السعودية، 1420هـ/ 1999م)
67. الكامل في التاريخ. عز الدين ابن الأثير (ط:1، دار الكتاب العربي -بيروت، 1417هـ-1997م)
68. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عُدَي الجرجاني، تحقيق: عدل عبد الموجود، علي محمد معوض، ومشاركة د. عبد الفتاح أبو سنة، منشورات: محمد علي بيضون (بيروت-دار الكتب العلمية)
69. كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي الفاروقي التهانوي (بيروت، د.ت. ط)
70. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة (مكتبة المثنى- بغداد، 1941م)
71. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ط:3، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت،1419هـ – 1999م)
72. مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ-2004م)
73. محيط المحيط. بطرس البستاني: (ط: 3، مكتبة لبنان - بيروت 1993م)
74. مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي (ط:5، المكتبة العصرية - بيروت، 1420هـ- 1999م)
75. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي (ط:3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1996م)
76. المدخل إلى علم الدعوة. محمد أبو الفتح البيانوني (ط:4، دار الرسالة العالمية- بيروت، 1431هـ - 2010 م)
77. مدرسة الأنبياء عبر وأضواء، محمد بسام رشدي الزين (بيروت: 2001، ط: دار الفكر، سورية، ط: 3) ص: 122.
78. المرأة المسلمة المعاصرة: إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة. أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين، رسالة دكتوراه (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1409هـ)
79. مراكز مصادر التعلم والتكنولوجيا المساعدة للأطفال ذوي الإعاقة السمعية. فايزة فايز عبد الله

الفايز (ط:1، دار الفكر العربي- القاهرة، 1431هـ- 2010م)
80. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. علي بن سلطان القاري (دار الفكر. 1422هـ- 2002م)
81. المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري (ط:1، دار الكتب العلمية- 1411هـ -.1990م)
82. المسند. أحمد بن حنبل، تعليق: شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة 1421هـ-2001م)
83. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، (ط:2، دار الدعوة - تركيا، د.ت)
84. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط:3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ)
85. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - السعودية، د. ت)
86. مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر- القاهرة، 1399 -1979م)
87. مقومات الدعوة والداعية في ضوء سيرة السلف الصالح. بدير محمد بدير (ط: 1، دار نور الإسلام بالمنصورة- مصر، 1416 هـ-1995م)
88. مناهج الدعوة إلى الله. جلال سعد البشَّار (د. ت. ط)
89. مناهج الدعوة وأساليبها. علي جريشة (ط:1، دار الوفاء-المنصورة، 1407هـ-1986م)
90. المنجد في اللغة. علي بن الحسن الهنائي، المشهور بكراع النمل. تحقيق: أحمد مختار عمر -ضاحي عبد الباقي (ط:2، عالم الكتب، 1988)
91. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ط:2، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1392هـ)
92. منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسُّنَّة. عدنان آل عرعور (البحث الحائز على جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة (ط:1، 1426هـ-2005م)
93. نصوص الدعوة في القرآن الكريم- دراسة تأصيلية. حمد بن ناصر العمار (ط:2، دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، 2002م)
94. النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ- 1979م)
95. هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري. لعبد الرحيم الطهطاوي (ط:3، مطبعة الاستقامة، 1363هـ)
96. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة. الشيخ علي محفوظ، (ط:9، دار الاعتصام بالقاهرة، 1979م).
97. هموم داعية، الشيخ محمد الغزالي (مصر: دار نهضة مصر، ط: 2006)
98. وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مجلة دراسات دعوية العدد 16، يونيو 2008 م.

ملحق الكتاب

أوراق عمل وأنشطة صفية

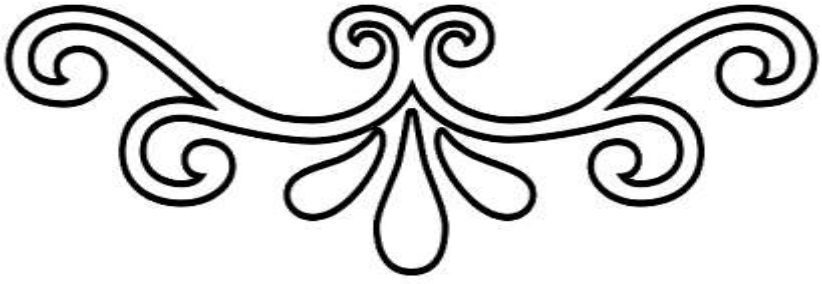

عزيزي الطالب:

شارك زميلك في استخراج الآيات القرآنية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى ثم قم بتصنيفها وفق الجدول الآتي: «**يكتفى بذكر آيتين في كل محور**»

مدلول الآيات	نص الآية	اسم السورة	رقم الآية
فضل الدعوة			
حكم الدعوة			
وسائل الدعوة			
أخلاق الدعاة			
مصادر الدعوة			
أساليب الدعوة			
موضوع الدعوة			

ورقة عمل رقم (2)

نشاط في موضوع (الدعوة في العصر الحديث) [1]

عزيزي الطالب:

اقرأ المقال الآتي بعناية ثم أجب عن الأسئلة الملحقة

التَّدَيُّنِ المغشوش

إنَّ معالجة حالات التَّدَيُّنِ المغشوش في المجتمع المسلم باب عظيم للنقد، فاجتهاد العقل الناقد هو الذي يكشف الانحرافات والسفاهات والفساد، ويبين طريق الصلاح والصواب. وما الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[2] إلا تكليف بالنقد والمراجعة لحالات التدين المغشوش، وما يمكن أن يَلْحَقَ بإيمان الأمة الإسلامية من عِلَلٍ وإصابات واختلاط التقاليد بالتعاليم، ونمو نوابت السوء. فالنقد والمراجعة من وسائل حفظ هذا الدين ـ الإسلام ـ واستمراره وخلوده، وتوقفه ـ النقد ـ يحمل الكثير من المخاطر والعِلل التي تتنافى مع خلود هذا الدين وهيمنته التي تقتضي ـ فيما تقتضي ـ استمرار الحراسة والبيان بالنقد والمراجعة. [3]

دور علماء الأمة في الحفاظ على الدين

ليس أقلَّ ـ مما سبق ذكره ـ دلالة على حفظ الدين، من إخبار النبي ﷺ ـ كما رواه عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، أَنّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ، قَالَ : «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ

(1) الأوراق من 2 إلى 7 نماذج مقترحة لأنشطة الفصل الأول (تاريخ الدعوة إلى الله)

(2) سنن أبي داود. رقم: 4291. وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم: 599

(3) التفكير الموضوعي في الإسلام. فؤاد البنا (كتاب الأمة، عدد: 237، السنة الثلاثون، جمادى الأولى 1431هـ) ص 14.

مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ»[1] فهؤلاء العلماء العدول هم (النُّقَّادُ) الذين ينفون عن الدين الانحراف والتحريف الباطل، والتأويل الجاهل، والانتحال الغالي... وهل كَشْفُ ذلك الزَّيْفِ ورَدِّهِ، وحراسة قِيَمِ الدِّين كما نزلت، إلا لون من أرقى ألوان النقد البنَّاء، والتقويم والمراجعة، وحماية الحقائق، ونشر قيم العدل والحق والرحمة والمساوة؟!

إنَّ الناظر لحال الأمة الإسلامية اليوم ليرى العَجَبَ العُجَاب، إذْ يري انطفاء جذوة النقد فيها، بعد أن كانت هي الرُّوح السارية، ويرى تعطيل أدوات النقد والمناصحة، حتى كاد أن يكون النقد من المُحَرَّمات التي يعاقب عليها قانون بلاد الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.[2]

أسئلة للنقاش

س: ما علاقة هذا النشاط بموضوع المحاضرة؟

س: ما المقصود بالتدين المغشوش؟

س: ما دور علماء الأمة الربانيين في حفظ الدين، وتبليغ رسالة الإسلام؟

س: ما السبب الرئيس في نشأة الحركات الدعوية المتنوعة في ربوع العالم الإسلامي بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية (العثمانية)؟

---

(1) انظر: ذم الكلام وأهله. أبو إسماعيل الهروي، تحقيق: عبد الله الأنصاري (ط:1، مكتبة الغرباء الأثرية، 1998). الْبَابُ التَّاسِعُ- بَابُ: إِنْكَارِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ مَا أَحْدَثَهُ...، رقم الحديث: 666

(2) التفكير الموضوعي في الإسلام. ص 15. مرجع سابق.

ورقة عمل رقم (3)

نشاط في موضوع: دعوة نبي الله نوح

عزيزي الطالب:

اقرأ سورة نوح قراءة صحيحة متأنية، واستخرج منها ما يلي:

1- ملامح دعوة نوح (عليه السلام)

أ- .....

ب-.....

جـ-.....

د-.....

2- موضوع دعوته (عليه السلام)

.....

3- الوسائل الدعوية التي استخدمها في دعوته.

.....

.....

.....

4- الأساليب الدعوية التي استخدمها في دعوته.

.....

.....

.....

5. الدروس الدعوية المستفادة من دعوة نبيّ الله نوح ـ عليه السلام ـ وتوظيفها دعويًّا في العصر الحاضر.

1) .....

2) .....

3) .....

4) .....

ورقة عمل رقم (4)

نشاط صفي في دعوات الأنبياء

عزيزي الطالب:

بالتشاور مع زميلك، قم باستكمال هذا الجدول حول تاريخ دعوة الرسل والأنبياء

م	اسم النبي	قومه	كتابه	موطنه	معجزته	موقف قومه من دعوته	مصيرهم
1							
2							
3							
4							
5							
6							
7							
8							
9							
10							

ورقة عمل رقم (5)

نشاط صفي (ملامح الدعوة في عصر النبوة)

عزيزي الطالب:

قارن بين ملامح الدعوة في العهد المكي، وملامحها في العهد المدني.

م	ملامح الدعوة في العهد المكّي	ملامح الدعوة في العهد المدني
1		
2		
3		
4		
5		

اسم المجموعة:.....

رقم المجموعة:.....

م	الاسم	رقم القيد	ملاحظات

نشاط صفي (ملامح الدعوة في عصر الخلافة الراشدة)

عزيزي الطالب:

وضح ملامح الدعوة الإسلامية في عصر كل من أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)

م	ملامح الدعوة في عصر الصديق ﷺ	ملامح الدعوة في عصر الفاروق ﷺ
1		
2		
3		
4		
5		
6		
7		

اسم المجموعة:.....

رقم المجموعة:.....

م	الاسم	رقم القيد	ملاحظات

ورقة عمل رقم (7)

نشاط صفي (الدعوة الإسلامية في العصر الحديث)

عزيزي الطالب:

من خلال ما تعلَّمْت، بَيِّن مع زميلك ملامح الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

م	الملمح
1	
2	
3	
4	
5	
6	

اسم المجموعة:.....

رقم المجموعة:.....

م	الاسم	رقم القيد	ملاحظات

ورقة عمل رقم (8)

نشاط صفي في موضوع: إعداد الداعية [1]

عزيزي الطالب: فكّر مع زملائك في هذه الأسئلة، ثم دوّنوا ما انتهيتم إليه

س1: ما فائدة إعداد الداعية؟

أولا: للداعية نفسه

1-.....

2-.....

3-.....

ثانيا: للدعوة

1-.....

2-.....

3-.....

س2: ما الآثار السلبية لعدم إعداد الداعية؟

1-.....

2-.....

3-.....

س3: ما الخلل في إعداد الداعية في العصر الحاضر من وجهة نظركم؟

1-.....

2-.....

3-.....

س4: كيف نعالج الخلل الذي ذكرتموه؟

1-.....

2-.....

3-.....

أعضاء المجموعة: 1-..... 2-.....

3-..... 4-.....

(1) الأوراق من 8 إلى 10 نماذج مقترحة لأنشطة الفصل الثاني (أصول الدعوة وأركانها)

ورقة عمل رقم (9)

نشاط صفي: أسباب الإعراض عن الدعوة

عزيزي الطالب:

نلاحظ في تاريخ الدعوة إعراضًا من المدعوين في كل العصور، رغم أن الدعاة يؤدون واجبهم ويبلغون رسالة ربهم ولا يألون جهدًا في ذلك. فما الأسباب التي جعلت المدعوين يعرضون عن قبول الدعوة؟

فكر مع زملائك ثم سطّر الأسباب التي ترونها بدأ بالأهم فالمهم حسب رؤيتكم..

فكّر مع زملائك في هذه الأسئلة، ثم دوّنوا ما انتهيتم إليه

1-.....

2-.....

3-.....

4-.....

5-.....

6-.....

7-.....

8-.....

9-.....

10-.....

أعضاء المجموعة:

م	الاسم	رقم القيد	ملاحظات

ورقة عمل رقم (10)

نشاط صفي: أركان الدعوة (فردي)

عزيزي الطالب:

تخير موضوعًا دعويًّا ثم وضح الأساليب والوسائل التي ستستخدمها في بيان هذا الموضوع الدعوي محدِّدًا الفئة الدعوية المستهدفة من خطابك الدعوي.

الموضوع :.....

الوسائل المستخدمة لتوصيل الموضوع للمدعوين

1-.....

2-.....

3-.....

4-.....

الأسلوب المختار للبلاغ هو:

1-.....

2-.....

3-.....

الفئة المستهدفة من الدعوة هي:.....

اسم الطالب:..... رقم القيد/.....

رقم المجموعة:..... أستاذ المقرر: د/.....

ورقة عمل رقم (11)

نشاط صفي في موضوع: المنهج العاطفي (فردي)[1]

عزيزي الطالب:

نظّم فقرة دعوية مكتوبة في أحد هذه المواقف مستخدمًا فيها الأسلوب العاطفي

1-دعوة رجل للصلح مع أخيه.

2-دعوة قوم للدفاع عن عرض امرأة مسلمة.

3-دعوة مسلم للعفو عن رجل أساء إليه.

4-دعوة امرأة للاستجابة لأوامر زوجها.

5-دعوة مسلم للتبرع لمسجد الحي.

☜ وهذا رابط لنموذج جيد للأسلوب العاطفي في الدعوة كنموذج جيد

https://www.youtube.com/watch?v=PghTwGZIKgU

اسم الطالب:..... رقم القيد/.....

رقم المجموعة:..... أستاذ المقرر: د/.....

(1) الأوراق من 11 إلى 12 نماذج مقترحة لأنشطة الفصل الثالث (مناهج الدعوة إلى الله)

ورقة عمل رقم (12)

نشاط صفي في موضوع: المنهج العقلي (جماعي)

عزيزي الطالب:

بالتعاون مع زملائك نظّم فقرة دعوية مكتوبة في واحد من هذه المواقف مستخدمًا فيها الأسلوب العقلي:

- **دعوة ملحد للإسلام** **-دعوة رجل يدعي أن الإسلام دين العنف والإرهاب.**
- **دعوة جماعة من الشباب للإقلاع عن التدخين**
- **دعوة جماعة من الشباب للحفاظ على قواعد المرور.**
- **دعوة طلاب الجامعة للابتكار في التعليم.**

(استخدم الإحصائيات والمقارنات والأدلة العقلية والاستنتاجات الفكرية والحوادث الواقعية لتساعدك على الصياغة المطلوبة (يمكن الاستعانة بالإنترنت)

الموضوع.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أعضاء المجموعة: 1-..... 2-.....

3-..... 4-.....

ورقة عمل رقم (13)

نشاط صفي في موضوع: مشكلات الدعوة (جماعي) [1]

عزيزي الطالب:

قارن بين كل من مشكلات الدعوة الذاتية والخارجية من حيث:

1- التعريف لكلٍّ منها. **2- الأسباب التي أدت إلى حدوثها.**

3- أشدُّها خطرًا على الدعوة، ولماذا؟ **4- أساليب ووسائل العلاج لها.**

م	المقارنة	مشكلات الدعوة الذاتية (الداخلية)	مشكلات الدعوة الخارجية
1	التعريف	....	....
2	الأسباب	1-..... ..... 2-..... ..... 3-.....	1-..... ..... 2-..... ..... 3-..... .....
3	درجة الخطورة	....	....
4	العلاج	1-..... ..... 2-..... ..... 3-.....	1-..... ..... 2-..... ..... 3-..... .....

أعضاء المجموعة: 1-..... 2-.....

3-..... 4-.....

(1) الأوراق من 13 إلى 15 نماذج مقترحة لأنشطة الفصل الرابع (مشكلات الدعوة)

ورقة عمل رقم (14)

حلقة نقاشية في موضوع: «مشكلات في طريق الدعوة»

محاور الحلقة النقاشية

تهدف هذه الحلقة لإثراء الفكر حول مجموعة من القضايا وصولاً إجابات وافية على جملة من التساؤلات؛ وهي:

س: هل توجد مشكلاتٌ -حقًّا-تعوقُ مسيرةَ الدعوةِ الإسلاميةِ؟

س: إن كانت مشكلات، فما طبيعتها؟ وما أسبابها؟

س: ما المقصود بالمشكلة؟ وما المراد بمصطلح مشكلات الدعوة؟

س: هل من الممكن وضع حلول لهذه المشكلات على اختلافها وتنوع أسبابها؟

س: ما التحديات الكبرى التي تواجه الدعوة ودعاتها في العصر الحديث؟

س: كيف يمكن للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية التَّغَلُّبُ على هذه التحديات؟

اقرأ الموضوع من الكتاب المقرر، واستعن بالمراجع الموضحة بالمصادر الإثرائية، والمصادر المعرفية الخاصة لتوسيع دائرة معرفتك بهذه القضايا، واستعد للمشاركة الفاعلة في النقاش الصفي حول هذا الموضوع، من خلال مجموعات النقاش..

ورقة عمل رقم (15)

تقرير كتابي حول نموذج لشخصية دعوية (فردي)

عزيزي الطالب:

لخِّص-في حدود صفحة واحدة-ملامح دعوة د. عبد الرحمن السميط، إلى الله-تعالى- مبيّنًا المنهج والوسائل والأساليب التي استخدمها في سبيل ذلك.

التعريف بالدكتور السميط:

.....

.....

.....

ملامح دعوته:

1-.....

2-.....

3-.....

أبرز الوسائل المستخدمة في الدعوة:

1-.....

2-.....

3-.....

من خصائص الأسلوب الدعوي

1-.....

2-.....

3-.....

أبرز الدروس الدعوية المستفادة من حياة د. السميط

1-.....

2-.....

3-.....

اسم الطالب:..... رقم القيد/.....

رقم المجموعة:..... أستاذ المقرر: د/.....

فهرس الموضوعات

مقدمة 5
مدخل لدراسة المقرر 9
أهمية الدعوة إلى الله ومقامها في الإسلام 13
حاجة الناس إلى الدعوة 16
أهداف الدعوة إلى الله تعالى وآثارها 21
السبب في بيان موضوع علم الدعوة 24
تحديد مصطلحات علم الدعوة 24
تعريف الدعوة 24
مصطلح علم الدعوة 26
تاريخ الدعوة 27
أصول الدعوة 28
فقه الدعوة 29
مناهج الدعوة 30
الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما 31
حكم تبليغ الدعوة 34
كيف نجمع بين القولين في حكم تبليغ الدعوة؟ 43
مصادر الدعوة 44
الفصل الأول: تاريخ الدعوة إلى الله ومراحلها الزمنية 59
تحديد بَدْءِ تاريخ الدعوة إلى الله تعالى 65
الملامح العامة لدعوة الرسل إلى الله -تعالى- قبل الإسلام 67
المبحث الأول: الدعوة قبل الإسلام 69
دعوة نبي الله نوح عليه السلام 69

دعوة نبي الله يوسف عليه السلام 79
المبحث الثاني: الدعوة في زمن الرسول ﷺ 107
المبحث الثالث: الدعوة الإسلامية في زمن الخلافة الراشدة 126
المبحث الرابع: الدعوة في العهود المتعاقبة بعد عهد الخلافة الراشدة 129
المبحث الخامس: الدعوة الإسلامية في العصر الحديث 132
الفصل الثاني: أصول الدعوة إلى الله 143
المبحث الأول: الداعي 148
المبحث الثاني: المدعو 165
المبحث الثالث: موضوع الدعوة 185
المبحث الرابع: وسائل الدعوة 190
المبحث الخامس: أساليب الدعوة 231
الفصل الثالث: مناهج الدعوة إلى الله 251
أنواع المناهج الدعوية 261
المبحث الأول: أهداف المناهج الدعوية وأهم خصائصها 262
المبحث الثاني: المنهج العاطفي 265
المبحث الثالث: المنهج العقلي 274
المبحث الرابع: المنهج الحسي أو (التجريبي) 281
الفصل الرابع: الدعوة والدعاة في العصر الحديث 293
المبحث الأول: المشكلات التي تواجه الدعوة، وكيفية التغلب عليها 300
المبحث الثاني: نماذج للدعاة في العصر الحديث 317
ثبت بأهم المراجع 362
الملاحق: أوراق عمل وأنشطة صفية 367
فهرس الموضوعات 385